المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
من المسرح العالمي

ياسمينا رضا

الأعمال الكاملة

الجزء الثاني

ترجمة: أ. فاطمة علي نعام
التقديم والمراجعة والدراسة:
أ. أحمد الويزي

العدد 403
نوفمبر 2019
تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

من المسرح العالمي

ياسمينا رضا

الأعمال الكاملة

الجزء الثاني

ترجمة: أ. فاطمة علي نعام

التقديم والمراجعة والدراسات: أ. أحمد الويزي

من
المسرح العالمي

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
دولة الكويت

almasrahalaalami@yahoo.com
almasrahalaalami@gmail.com

www.kuwaitculture.org

ياسمينا رضا - الأعمال الكاملة - الجزء الثاني

ISBN - 978-99906-0-649-2

ياسمينا رضا

الأعمال الكاملة

الجزء الثاني

ترجمة: أ. فاطمة علي نعام

التقديم والمراجعة والدراسات: أ. أحمد الويزي

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١-	عبور الشتاء	٧
٢-	دراسة نقدية في مسرحية عبور الشتاء	١٣٧
٣-	فن	١٥٧
٤-	في مديح أم الفنون الصداقة	٢٦٣

عبـور الشتـاء

La traversée de l’hiver

الشخصيات

ـ أفنير ميلستاين، ٥٧ سنة.

ـ إيما ميلستاين، ٦٠ سنة.

ـ سوزان، ٣٠ سنة.

ـ بالينت، ٣٥ سنة.

ـ كورت بلينسك، ٦٠ سنة.

- تجري أحداث الحكاية عام ١٩٨٥ بمنطقة جبلية سويسرية، في موقع واحد ووحيد هو حديقة فندق عبارة عن بنسـيون، يوجد بسـتراتين (Stratten).
- يتعين على قطع الديكور أن تكون شـديدة التقتير، وأكثر تجريدية ما أمكن.
- الفضـاء المحيط بالموقع، بما في ذلك السـماء والمرتفعات الجبلية المجـاورة، هو كل ما ينبغي أن يحظى بالأهمية، في إطار الفكرة التي تقدم عن الفضاء.

المشهد الأول

نهايـــة فترة الظهيرة من شـــهر ســـبتمبر. الطقس جميل.

في حديقة الفندق. أرائك شمســـية طويلة. منظر مُطل على الجبال.

على اليمين، فيراندا الفنـــدق مفتوحة على منظر الجبـــال. (الأمر يتعلق في الواقع، بمصطبة مغطاة بسقف من الأعواد ومفصولة عن الحديقة بمنحدر، يتألف من بضع درجات).

ســـوزان ممددة على كرســـي طويل، واضعة غطاء على رجليها، وعلى عينيها نظارات واقية من أشعة الشمس، بينما تمســـك في يدها كتابا. إنها تتأمل المناظر الماثلة أمامها.

بعـــد لحظات، تظهر إيما، وقد وضعت هي الأخرى نظارات واقية على عينيها، وتمسك بكتاب. تتبادلان الابتسام.

إيما : آكل كثيـــرا حتى يداهمني التراخي، فأضطر إلى الاستسلام لنوم القيلولة، وأنا في سن الستين!

(إيما تختار كرسيا طويلا، تقربه من كرسي سوزان،

وهي تلهث بعض الشـــيء، ثم تتحني لتعدل من علو الكرسي، وتثبيت أرجله، لتنتهي أخيرا إلى الجلوس فوقه).

(تنظران معا إلى منظر الجبال).

سوزان : سحر فاتن!

إيما : بالفعل. سحر فاتن.

(وقت).

سوزان : وكأن كل شــيء نُظف بعناية. أتستنشقين رائحة العشب المقصوص؟

إيما : كان لنــا فــي رومانيــا قبل الحــرب، بيت ريفي بســاناي، قرب براســوف. وكنت أطــل من خلال نافذتي، على منظر شــبيه نسبيا بهذا... كان أبي يوقظنا من النوم، أفنير وأنا، كي نتنفس الهواء الذي يلي العاصفة مباشــرة، مهما كان الوقت ليلا. كان بمســتطاعنا الخروج إلى مصطبة البيت بمناماتنا في منتصف الليل، كي نستنشق الهواء النقي الذي يعقب العاصفة.

سوزان : بمناسبة الحديث عن العاصفة... أخبرك بأني لم أصعد مباشرة إلى غرفتي لأنام، مساء أمس. وإنما

انجررنا تلقائيا، بالينت وأنا، إلى منازلة طويلة بلعبة السكرابل، ضد بلينسك!

إيما : ويا لها من منازلة!

سوزان : بدأ كورت اللعبة بكلمة من سبعة أحرف، ثم وإلى ذلك بكلمة لا يعرف معناها غيره، تبدأ بحرف السين، فشرعنا نغش. وفي اللحظة التي بدأ الحظ يبتسم لنا مجددا، بعدما ظلت اللعنة تلاحقني مع القطع، حين طُلِب من أحد غريميّنا الرد على التلفون، فنزل عليهما خبر كالصاعقة: ابنة العم التي تقطن بڤيفي توفيت. مَن له عائلة كثيرة الأفراد، عادة ما يأتي الموت ليخطف ـ مثلما تعلمين ـ واحدا منها!

(إيما تضحك من صميم القلب).

إيما : وهل غادرا معا؟ إني لم أر أي أحد منهما، أثناء وجبة الفطور.

سوزان : هي غادرت، لكن «خطيبك» الغالي لا!

إيما : للأسف!... ماذا تقرئين؟

سوزان : «ظل الأرواح»... مجموعة قصصية لأرثير سنيتزلر. أريان لا تنصحني دائما سوى بقراءة

الأشياء الحزينة جدا.

(تضعان نظارتيهما الطبيتين، وتفتحان كتابيهما).

(إيما تقرأ كتابا أمريكيا صادرا عن سلسلة دوبل داي).

(بعد برهة).

إيما : كم هي الساعة الآن؟

سوزان : تقريبا الخامسة. لن يتأخر موعد قدوم أخيك. أين ذهبا، بالمناسبة؟

إيما : إلى ليوزور.

سوزان : إنها منطقة بعيدة.

إيما : ومن ذا الذي يريد أن يصغي إلى الكلام، إذا نصحته؟!

سوزان : لماذا اختارا الذهاب بعيدا جدا؟ أليس بالجوار ما يكفي من جبال؟

إيما : الأجمل هو الأبعد، على ما يبدو. في يوم ما، سينتهي الأمر بأفنير إلى الوصول إلى النمسا، سيرا على الأقدام!

سوزان : في حين يمكن للمرء أن يشعر بالسعادة والرضا

أكثر، وهو يستلقي على كرسي طويل.

إيما : ألا نستفيد نحن أكثر من الطبيعة؟!

سوزان : قد يذهب بي الأمر إلى حد القول بأنا نستفيد أكثر بكثير!

إيما : بالطبع! لا يفهم أفنير أي شيء من هذه الأشياء. (برهة)... السر هو تحري الخروج عن الموسم. ينبغي دائما على المرء أن يأتي إلى هنا، خارج الموسم. وفضلا عن ذلك، فإن شهر سبتمبر يكون أجمل من الشهور الأخرى بعشرات المرات، والمكان يخلو من القطط!

سوزان : ألا تتزاوران خلال السنة؟

إيما : نادرا ما نفعل. أنا لم أذهب قط إلى بوينس إيريس، بينما أفنير لم يعد إلى باريس إلا ثلاث مرات، خلال ثلاثين سنة. حين عدنا إلى أوروبا، أخذ والديّ يترددان على هذه المنطقة، لقضاء عطلتهما. كنا نأتي كل عام لرؤيتها. وهكذا بقينا نسير، أفنير وأنا، على هذا التقليد...

سوزان : ألم يصطحب أبناءه إلى هذه الناحية، قط؟

إيما : بلى. اصطحبهم عدة مرات، لما كانوا صغارا،

وبالضبط قبل أن يقع الطــلاق. لكن الرحلة عادة مــا تكون باهظة التكلفة، إلــى جانب أن الأولاد لم يكونوا يستحسنون الاصطياف، خاصة في الجبل. كانت العطلة تتحول عندهم، إلى محنة حقيقية.

سوزان : وزوجته؟

إيما : زوجته كانت تمشــي، وتســبح، وتغــوص. كانت امرأة شــغوفة إلــى حد الجنــون بالرياضة. كانت تلعب التنس، وتذهب إلى الســونا. إنها بحق امرأة مجنونة.

سوزان : أكنتما تتفاهمان؟

إيما : نعــم. كنت أحبها بشــكل كبير. منشــرحة كانت، ومرحــة. علــى عكس أفنيــر، الــذي يريد فرض مزاجه على الجميــع. إنها لم تكن تفرض أفكارها ولا قناعاتها على أحد.

(صمت).

(تستأنفان القراءة).

سوزان : هل بإمكانك قراءة كتاب ما حول العصر الحديدي الأول؟

إيما : ليحفظني الله!

سوزان : من يســتطيع قراءة شــيء من هذا القبيل؟ وهل هناك ناشــر في نظرك، يســتطيع نشر مثل هذا الكتاب؟

إيما : إنه مــن قبيل «الأطروحــات الجامعية»، على ما أعتقد...

سوزان : حسنا.

إيما : لكنه ينوي أن يجعل منه كتابا...

سـوزان (تحرك رأسها، تعبيرا منها عن الأسف): ومع ذلك، فهو شاب غير منفر...

إيما : إن شئت رأيي فيه...

سوزان : أعرف ما الذي ســتقولينه... إلا أن أريان صعبة للغاية. أنا لم أكن معقدة إلى ذلك الحد، حين كنت فــي مثل عمرهــا... ربما كنــت مخطئة. (بصوت خافــت)... إلى غاية اســتكمال حديثنــا، أخبرك بقدوم صاحبنا المدعي!

(تنهمكان مجددا في القراءة).

(يصل كورت بلينسك).

بلينسك : طاب صباحكما، أيتها السيدتان...

(تبتسمان له في لطف).

(يتناول كرسيا من كراسي الحديقة، ويجلس فوقه).

(ينظر إليهما خلسة، وهو لا ينتظر على ما يبدو، سوى إشارة للاقتراب منهما).

(إيما تنتهي من رفع رأسها في الأخير، فيستغل كورت بلينسك تلك الحركة ليتقدم نحوها، بقفزة من كرسيه).

بلينسك (برصانة فجائية مصطنعة): لا شك أنك على علم مسبق بالمحنة المباغتة التي ألمت بنا، يا مدام ميلستاين... كْريتّ اشتد كربها، لأن الإعلان عن ذلك المصاب الجلل كان بالنسبة إلى زوجتي كْريتّ المسكينة، بمثابة سهم أصابها في مقتل. ومع هذا، فنحن مسروران لأننا حصلنا على قبر في الشاتلْسانّ دوني. هذا بالذات فيه بعض السلوى. لكن مهما تكن ضئيلة، فهي بالنسبة إلى كْريتّ سلوى على كل حال، لأنها تعرف بأن بإمكانها زيارة قبر ابنة عمتها الغالية في كل وقت شاءت، ودون حاجة إلى أن تستقل القطار، أو الحافلة. أما بالنسبة إليّ، فقد صرت الآن فضلا على ذلك،

أرمِّل بشـــكل من الأشكال، ما دام أن زوجتي رحلت إلى ڤيفي. (يبتسم بكيفية حزينة، ويحرك رأسه). هل ستذهبين إلى الحفل الموسيقي، هذا المساء؟ آه، عفوا. أنا بحق مدوخ. أحدثك عن الموســـيقى، وأنت لا تحبينها...

إيما : ماذا؟ أنا لا أحب الموسيقى؟!...

بلينسك : إنما أقصد الحفلات الموسيقية... بمعنى أنك لا تحبين الموسيقى التي تقدم في الحفلات...

إيما : أنا أحب حفلات الموسيقى، وشغوفة بها، ما عدا في ستراتين! في تلك الكنيســـة، نكون متزاحمين ومتداخلين في بعضنا، مثل شرائح السمك المصبر! الكراسي الخشبية غير مريحة وصلبة صلابة الخبز البائت، وحين تطلـــب مخدة لوضعها فوق المقعد، يتم النظر إليك نظرات فاحصة ومشـــبعة بالذعر والهـــول... لا، لا، لا... أنا كي أختصر عليك، أقول بأني آنفة من تلك الأجواء المتزهدة.

بلينسك : أوه!...

إيما : أوه مـــن جهة، أمـــا من جهة أخـــرى فإني أتلفت الصفحـــة، التي كنـــت أقرأها... لا، هـــا هي ذي وجدتها!

(تســوي وضعية النظارات فوق عينيها، وتغرق في قراءة كتابها من جديد).

بلينسـك (بعـد مضـي فتـرة مـن الصمـت، كانـت حرجـة): ماذا لو تنزهت قليــلا؟... هل الرطوبة ستشـــتد في هذه الســـاعة، تحديدا؟... اللهـــم إذا وافقت إحداكما علـــى مرافقتي... إنما لا، لا... تابعا القراءة.... يا إلهي! أنا أشـــغلكما عن القراءة... واصلا، واصلا القراءة.

(ينهـــض، ويختفي، وقد بدا عليه أنه وقع في بعض الحيرة).

(وقت).

(تأتي أريان).

أريان : صباح الخير، إيما.

إيما : يا لطلعتك البشوشة، يا أريان!

أريان (برقة ولطف) : بحق؟

(تنحني وتقبل سوزان بحنان ظاهر).

أريان (مشيرة إلى كتاب سنيتزلر): هل راقك؟

سوزان : أجل. وبشـــكل كبير. إنما ما الذي كنت تصنعينه،

إذ لم أرك طوال هذا الصباح؟

أريان : لا شـــيء. هجعت أثناء فترة القيلولة، ثم سبحت مدة نصف ســاعة، وذهبــت إلى زيــارة المدينة، فوجدت كل شيء مغلقا... لا شيء... متى رحلا؟

سوزان : نحو العاشرة. أكنت نائمة؟

أريان : كان ينبغي عليك أن توقظيني... تركتني أنام مثل بلهاء. أنت لا تهتمين بي على الإطلاق.

(تبتسم).

(تجثو على ركبتيها، وتضع رأسها فوق فخذي سوزان).

(تتظاهر إيما بالقراءة).

سوزان : يا لك من بلهاء...

أريان : ما الذي فعلته، يا ماما؟

سوزان : إنك تضجرينني...

أريان : لا. ليس لهذا تنعتينني بذلك.

سوزان : أنت ذات مزاج نكد.

أريان : لا...

سوزان : عاشقة.

أريان : لمن؟

سوزان : لبالينت.

أريان : لا. يقينا، لا.

سوزان : ومن تعشقين، إذن؟

أريان (تنهض من مكانها، وقد بدت عليها علامات الحبور المفاجئة): أنا أحب السيد بلينسك. تقاطعت معه قبل قليل، فبدا لي المسكين بائسا، وهو في الطريق المؤثث بأشجار التوت، يحمل في يديه عكازتين يتكئ عليهما في مشيته، وشمسية يزيح بها أشواك العليق!

سوزان : لكن السيد بلينسك يحب إيما.

إيما : يا لهذا الافتراء المثير للضحك!

أريان : السيد بلينسك يهيم في حبك إلى حد الجنون، يا إيما!

إيما : لو أن هذا لم يكن فقط صحيحا!

(يضحكن ثلاثتهن).

(أريان تخطو بضع خطوات).

أريان : أنا بصدق لا أعلم إن كان الجبل يوافقني، أم لا.

أشعر بالضغط...

سوزان : أين هذا؟

أريان : أشعر كما لو أني مضغوطة. مضغوطة، وحسب...

سوزان : ماذا لو تأخذين حماما جيدا؟!

أريان : أو آخذ شايا بالليمون.

سوزان : ولم لا؟

أريان : أشعر بالضغط، وتوصيني بشاي بالليمون!

سوزان : هذه البنت تتهكني.

أريان : بالمناسبة، هل اقتنيت لي تذكرة حضور حفل الموسيقى، هذا المساء؟

سوزان : نعم. لا تقولي لي مرة أخرى بأنك غيرت رأيك.

أريان : (تقبلها). إلى الملتقى بعد قليل، يا إيما.

سوزان : إلى أين؟

أريان : أريد أن آخذ حماما بالأعشاب المهدئة.

إيما : أجدك في غاية المرح، رغم ما تحسين به من ضغط.

أريان : ذلك هو علة الضغط بالذات. قولي لأخيك إني

آسفة جدا ... وسيفهم.

إيما : بالتأكيد، ستصله الرسالة.

(أريان تتصرف).

(صمت).

إيما : يا للانفراج... أن يهرم المرء انفراج...

سوزان : أترين ذلك، بحق؟

إيما : أليس هو كذلك؟

سوزان : لست أدري.

إيما : أشعر وكأني أعرفك من مدة بعيدة جدا...

(سوزان توافق بحركة من رأسها، وتبتسم).

(صمت).

(تُسمَع ضحكات أفنير).

أفنير (وقد ظهر تحت الفيراندا، يسبقه بالينت): ... ولا يتوفر ابني . على أية موهبة. ولا واحدة. ولا شيء. وهذا مثير للشفقة. إن المسكين يسجل عباراتي الجيدة، ويحتفظ بها. أنا بالنسبة لهذا الولد، منبع لا ينضب معينه!

(بالينت يضحك).

(يقتربـــان معا من ســـوزان وإيما، وهمـــا يرتديان البذلة الرياضية).

أفنير : يريدني أن أشـــتري له آلـــة لمعالجة النصوص. قلت له: وما الذي ستعالج بها، يا شيخ؟ أكتب أولا، وبعدها ســـتعالج ما توافر لك من نصوص... (إلى إيما وســـوزان). يمكن لي أن أقول إن هذه الفسحة هي من بين جميع الفســـحات السابقة، ربما، أروع ما قمنا به! أخبرهما، يا بالينت. قل لهما.

بالينت : رأينا مرموطات(*) على بعد مترين منا.

أفنير : مثلما أراكما أنا، الآن.

بالينت : وعائلة كاملة من ظباء الجبل...

أفنير : على القمم. ويا للرشاقة التي كانت عليها!...

بالينت : مثلما رأينا زهورا عجيبة...

أفنير : زهورا غير معروفة... وكان آخر العنقود في هذه الفســـحة، أن أكلنا في الأخير بعض التوت البري، الذي يوجد على جنبات الطريق. حبات توت باذخة بدت وكأنهـــا كانت تهدي لنا نفســـها، وهي تقول: إليكما أهدي نفســـي! حتى النســـوة لسن كريمات بهـــذا القدر... أخبرينـــي يا إيمـــا... فقد أخذت

(*) مرموط: جنس حيوان لبون من فصيلة السنجابيات ورتبة القواضم (المحرر).

ملصــق البرنامج المقــرر لهذا المســاء من أمام مكتب الاستقبالات... وقرأت فيه: خماسية بآلات وترية. طيب. إنما أي خماسية؟ هل أنت متأكدة من أنه ليس هناك أي برنامج آخر، يا إيما؟

إيما : البرنامج هو ما تحمله في يدك.

أفنير : هــؤلاء الأغبياء لا يوضحــون طبيعة المعزوفات المقررة. كتبوا «خماسية بآلات وترية»، فقط.

إيما : أريان تقول إنها متأسفة غاية الأسف.

أفنير : لو يعزفون فقــط المقطوعة ١٥١٦!... هل تتخيل مقــدار الجمالية التــي تطبع هــذه المعزوفة، يا بالينت؟ يوم الملوك لموزارت؟!

إيما : بالتأكيد، سيؤدون المعزوفة ٥١٦.

أفنير : أتعلــم ما الذي يزعجني أكثر في ســتراتين؟ إنه هذا البحث الجامح عــن التعقيدات. (إلى بالينت الذي يفــك خيوط حذائه). في الســنة الماضية، تمــت طرطقة ثلاثــة ألحان لهيندميث، وخمســة لإلغار، كي يتم تقديم لحن واحد لباخ!

(بالينت يحرك رأســه في إشــارة منــه تفيد بأنه يتفهم، ويأسف).

إيما : أنت لست ملزما بالذهاب إلى هذا الحفل.

أفنير : أنا في الأســـاس غير مهتم بذلك، لأن المقطوعة ٥١٥ جميلة كذلك... وفي يوم السبت، سيتم تقديم فيفالدي بمقطوعة ســـتابات ماتر... ولسوف أكون قبل ذلك، إن اقتضى الحال، في الطريق إلى بوينس أيريس، لأني أشعر بالقرف... وأنت يا سوزان، هل ستحضرين الحفلة؟

سوزان : سنحضر... أريان سوف تأتي بصحبتي.

أفنير : إذن، هي أبدت تأسفها؟!...

إيما : أتدريان ما الذي سيكون بلا شك، لطيفا منكما؟ أن تحضِرا بصحبتكما كورت بلينسك، الذي يعيش وسط وحدته المطلقة.

أفنير : لـــن نعطي لكـــورت بلينســـك الفرصـــة ليلتصق بتلابيبنا! أولا، لأن اســـمه عصي على أن يتلفظ به أي كان. ثم لأن حامله هو بالذات سقط المتاع!

سوزان (إلى إيما) : يحصـــل هذا فـــي الوقت الـــذي توافرت لك فيه فرصة رائعة، لتختليا معا رأسا لرأس!...

إيما : لأجل هذا تحديدا، كنت أتمســـك من قبل بترتيب الأمور لفائدتكمـــا... (تضحكان). طيب. أنا بدأت

أشعر بالبرد ... (تنهض من مكانها). أراكم لاحقا يا أصدقائي الأعزاء...

بالينت : أنا كذلك سأعود إلى غرفتي... (إلى أفنير). شكرا لك على هذا اليوم الرائع.

(ينصرفان معا).

(سوزان وأفنير يبقيان لوحدهما).

(صمت).

سوزان : إذن، سوف تسافر غدا؟

أفنير : لدي موعد محتمل يوم السبت المقبل، بجنيف. في هذه الحالة، سأستقل الطائرة، أي نعم، مباشرة. (برهة). وأنت؟

سوزان : أنا ـ مثلما تعلم ـ لا أقطن سوى بلوزان... الأمر سريع جدا بالنسبة إليَّ، في رحلات الذهاب والإياب.

أفنير : لوزان؟!... وماذا تعملين بلوزان؟

سوزان : كان زوجي يملك مقاولة للسيراميك في لوزان، وبعد الانفصال عن بعضنا، بقيت أشتغل فيها.

أفنير : تشتغلين؟

سوزان : نعم... لكن دون أهمية.

أفنير : حسنا.

(صمت).

(في أثناء هذا المشهد، تتغير الإضاءة، فتصبح غسقية شيئا فشيئا).

أفنير : ليست لي أي رغبة في الرحيل...

سوزان : أتفهم وضعك. لم تكن لي قط أي رغبة في الرحيل عن هذا المكان. وهذا العام، أكثر من أي وقت مضى...

(يمكثان معا، وهما جالسان وجامدان، ينظران إلى منظر الجبال أمامهما).

(بعد مضي بضع لحظات، يتناول أفنير غطاء كان يوجد فوق كرسي طويل، ويضعه على قدمي سوزان، اللتين كانتا من قبل مغطاتين).

سوزان : شكرا...

(تنطفئ الإضاءة).

المشهد الثاني

الوقت ليل.

الحديقة غارقة في الظلام، يضيئها القمر.

تحت الفيراندا، كورت بلينسك جالس بمفرده أمام منضدة، يلعب السكرابل. تتم رؤيته وهو مركز على اللعب، وحريص على التدقيق في قطع اللعبة. يضع الحروف فـي أمكنتها، ويـدون النتيجة على ورقة خاصـة، ويدخل يديه عميقا فـي الكيس الصغير الذي يحتوي على الحروف، بينما عيناه مغمضتان. ثم يغيـر مكانه بعد ذلك، بنفس الحرص والتدبير، فيصبح غريم نفسه في اللعبة.

(تظهر إيما).

بلينسك : أوه! أنت هنا!... سـألت عنك السيد مولر، الذي أخبرنـي بأنك ذهبت إلى حفل الموسـيقى، فقلت له «إن مدام ميلسـتاين لا تذهب أبدا، إلى حفلات ستراتين»... أكنت تنعمين ببعض الراحة؟

إيما : كنت فـي غرفتي أقـرأ قليلا... واصـل لعبك، واصل... استمر في لعبة السكرابل...

(تجلس بشـكل وتيـر على أريكـة، وتفتح صحيفة

لاتريبين، ثم تضع النظــارات الطبية على عينيها، وتشرع في ملء مربعات الكلمات المتقاطعة).

(يعود كورت بلينسك إلى لعبته، متحسرا).

(وقت).

إيما : أنت ستكون ولا شك، على معرفة بهذه... فيلسوف سويسري يبدأ اسمه بحرف السين...

بلينسك : حرف الســين؟!... وكم عدد الحروف التي يتكون منها اسمه؟

إيما : ثمانية.

بلينسك : فيلسوف سويسري يبدأ اسمه بحرف السين؟!... السين؟!...

إيما : ألديكم فلاسفة في سويسرا؟

بلينسك : بالتأكيــد، لدينا فلاســفة في سويســرا. وإلا ما السبب الذي يجعلهم لا يكونون لدينا؟

إيما : مثل من؟

بلينسك : مثل من؟

إيما : نعم. من؟

بلينسك : آه! هذا أمر عجيــب! أنت موهوبة في فن إرباك الذهن.

إيما : أيمكنك أن تذكر واحدا منهم؟

بلينسك : واحدا ممن؟

إيما : ممن يبدأ اسمه بحرف السين.

قل لي يا سيد بلينسك: ألم يزدد وزنك عن المعدل المعتاد؟ يبدو لي بأنك ازددت في الوزن.

بلينسك : حقا؟ منذ متى؟

إيما : خلال هذه الأيام الأخيرة... منذ بضعة أيام.

بلينسك : حقا؟

إيما : ألا تصدق هذا؟

بلينسك : أنا لم أنتبه لأي شيء...

إيما : ألا تراقب وزنك؟

بلينسك : بلى...

إيما : الموازين تكذب، وهي مجنونة... تصور أني ازددت بثلاثة كيلوغرامات... وفي كم من مدة؟ أقل حتى من ثلاثة أيام!...

بلينسك : صحيح، لأن هذا...

إيما : هذا ضرب من العبث! أعرف جيدا أنني ألتهم؛ لكن، ألا يمكننا أن نأكل خلال العطلة؟ ثم إن هذا

الفنـــدق يتخمنا. بالطبع، لــم يتبق لهم من الزبائن غيرنـــا، لذلك لا يتحرجون فـــي تصريف ما تبقى لديهم من بضاعة، في صحوننا. أنت كذلك ازددت في الوزن. راقب وزنـــك. لقد انتفخ هيكلك، وهذا واضح بجلاء للعيان.

(كورت بلينسك يلقي على أطرافه نظرات فاحصة، وقد انشغل باله، وظهر عليه القلق).

إيمـا (وقــد عــادت إلى كلماتهـا المتقاطعة): إذن، يبـــدو لي أن علينا نسيان ذلك الفيلسوف.

بلينسك : أبدا. دعيني فقط أركز قليلا.

إيما : لك ذلك. ركز.

(يظهر أفنير وقد ارتدى سروالا وسترة بها خطوط، إضافة إلى معطف).

(يجلس على درجة تفضي إلى الحديقة، وينظر إلى المنظر ليلا).

أفنير : كانـــت القطعة هـــي المعزوفـــة ٥١٦ التي تؤدى بالكلارينيـــت. أنت غبية لكونـــك فوتت عليك هذه الفرصة.

إيما : لكل منا متعته، يا عزيزي. أين الآخرون؟

أفنير : صعدوا إلى غرفهم، ليغيروا ملابسهم.

(صمت).

إيما : مـا كان عليك أن تتحدث عن ابنك بتلك الطريقة.

أفنير : ماذا قلتِ؟

إيما : لم يكن عليك أن تقول لإنسان غريب، بأنه لا يملك أية موهبة. ثم من أدراك بأنه كذلك؟

أفنير : ذلك أمر بديهي لديه.

إيما : المرء لا يتحدث بتلك الطريقة أبدا، عن أبنائه!

أفنير : ليست له أي موهبة، لا شيء، هو صفر؛ ومع ذلك، يجهد نفسه ليصير كاتبا! أنا لن أبكي.

إيما : عليك أن تبقى على الأقل، متكتما عن هذا. لا تجعل منه موضوع مزحة.

أفنير (متظاهرا بالندم): حسنا.

(صمت).

(يظهر بالينت).

بالينت : مساء الخير.

إيما : مساء الخير...

(يعبــر الفيراندا، وينزل بعض الدرجات، ثم يخطو وسط الحديقة بضع خطوات).

(أفنير لم يبدِ أي ساكن، ولم يتحرك).

(تتقاطع أعينهما بعد لحظات).

بالينت : يــوم الملــوك... (يوافــق أفنير برأســه على ما قاله بالينت، ويبتســم). نســيت أن أجلب لك معي الصحيفة...

(يعود من حيث أتى، دون أن يستبقيه أفنير).

(وقت).

أفنير : أحب كثيرا هذا الفتى. متردد، وهش، وصامت.

إيما : هل أنت حزين، يا أفنير؟

أفنير : كل شــيء على ما يرام. كل شيء على ما يرام، يا إيما.

إيما : ماذا هناك؟

أفنير : ألا تسمعين؟

إيما : ماذا؟

أفنير : قلت إن كل شـيء...

(صمت).

(تظهر سوزان).

سوزان : للأسف أنك لم تحضري. أعرف، أعرف. لا ينبغي لي أن أقول لك أي شـــيء... هل ربحت المباراة، يا سيد بلينسك؟

(تجلس بالقرب من إيما).

بلينسك : لا، للأسف.

سوزان : كيف تقول هذا؟!

بلينسك : لا أسحب غير الصوامت!

سوزان : ومن الذي ربح المباراة؟

بلينسك : الآخر. أنا لســـت نفس الشخص مرتين، وإلا لن يكون للعب أي معنى.

سوزان : بالتأكيد...

(صمت).

(تمضي فترة يطيب فيها سهر كل واحد، بينما الليل ما يفتأ يمضي. يعود بالينت من جديد. يناول أفنير الصحيفة).

أفنير : شـــكرا. (يفتح الجريدة، وبعد وقت يحرك رأسه لمدة طويلة)... قيمـــة المارك بلغت ٢،٧٠، وأفنير

ميلستاين الخبير الكبير بقي ثابتا، يتمسك بالدولار من غير ملل ولا كلل!

إيما : طلبت منك أنا أن تتحول إلى المارك الألماني.

أفنير : وهل لنا علم مسبق بهذه الأشياء بالذات؟!... الدولار بالنسبة إليَّ شيء مادي ملموس... أخضر وجميل... لا يمكنه الغدر بالمرء أبدا. (إلى بالينت الذي يمرح). اضحك، اضحك ما في وسعك، يا بالينت. قل لي، هل بالينت اسم من أصل هنغاري؟

بالينت : نعم. كان لي جد هنغاري، يسمى بالينت.

أفنير : كنت أردد كثيرا في نفسي بأن لك بعض الملامح المجرية.

إيما : أنت لا تكف أبدا عن قول البلاهات!...

(تظهر أريان).

أريان : مطلوب على خط التلفون، يا أفنير ميلستاين...

(يقوم أفنير من مكانه، ويدخل الفندق).

أريان : ألا تشعرين بالبرد، يا ماما؟

سوزان : لا، يا عزيزتي. بالكل. أنا أستفيد من استنشاق هذا الهواء الرائع.

(تقتــرب أريــان من بالينــت، الذي ينــزاح جانبا، فيتنحى مكانا أسفل درجات الحديقة).

أريان : هل أنت بخير؟... (بالينت يحرك رأسه). الحديث معك صعب. (يبتسم. صمت). قبل أربعة أيام، كنت أكره الجبال، والآن أشعر بالعكس... ينتابني شعور ســابق بالحنين... أأضحكك؟!... تبتســم، وتنظر إليّ هكذا، وأنا لا أعرف في ما تفكر!

بالينت : متى سترحلين؟

أريان : مبدئيا، مساء يوم الأحد...

(وقت قصير).

بالينت : سأفتقدك.

أريان : وأنت؟ متى سترحل؟

بالينت : لست أدري. لم أكتب ما يكفي هذه الأيام الأخيرة. هذا الرجل موهوب في تسليتي، وأنا لا أعرف كيف أقاومه.

إيما. الكناري... هل تكتب بألفين اثنين؟

إيما (وهي تملأ الخانات): إذن، هذا جيد.

(أفنير يعود إلى الظهور).

أفنير : يكفي أن أتحدث عن المال، لأعلق في الشباك! (إلى إيما). حصلت على موعد بجنيف، ليوم السبت. ماذا تقول النشرة الجوية؟

إيما : سيكون الطقس جميلا.

أفنير : إذن، بما أنه سيكون جميلا، فموعدنا قد حان مع اللعبة الكبرى. قمة اللينزسي. أربع ساعات من الصعود فوق أرض صخرية، ليس بها ولا شجرة واحدة، ولكن ما أن يصعد المرء إلى القمة، حتى يحظى بأجمل منظر ممكن، على الإطلاق. من يذهب معي؟

أريان : أنا.

أفنير : أريان... اللينزسي مع أريان. آخر مسيرة لي مع أريان.

(يتبادلان النظرات. أريان تبتسم. بالينت يميل برأسه عنهما).

أفنير : وأنت يا بالينت؟... ألن ترافقنا؟

بالينت : لا.

أفنير : للأسف!

(أفنير يخطو خطوات وسط الحديقة، ويتأمل

النجوم. أريان تقلده، من بعيد).

(في الخلف، بقي بالينت جامدا، لوحده).

(صمت).

إيما : (وهـي تقوم من مكانها): أشـعر بالبرد. ماذا لو نلعب البريدج؟

سوزان : فكرة رائعة.

إيما : أتشاركنا في لعبة البريدج، يا أفنير؟

أفنير : أريـد بالفعل أن ألعب معكم جولـة واحدة، إنما تكون خالصة.

سوزان : وماذا تقصد بخالصة؟

أفنير : بمعنى أن تكون خالية من التعقيدات، ومن التراشق بالكلمات البربرية... إذا كانت لي ورقة السـباتي، أقول سـباتي. وإذا كانت لي ورقة الديناري، أقول: ديناري... إلا أن إيما لا تعرف أن تلعب بهذه الكيفية. إيمـا لا تعرف أن تلعب إلا وفق مبدأ غامض وغير مفهوم...

سوزان: وهو المبدأ الذي أستند إليه. واسمح لي بهذا. أنا أيضا.

أفنير : ومن أدراك بأنه نفس المبدأ بالذات؟ في بوينس

أيريس، بمجرد أن تجتازي شارعا، حتى يتغير النظام!

(إيما تلج الفندق، متبوعة بسوزان).

سوزان (إلى أريان) : هل تكوني رابعنا في اللعبة، يا نانوشتي؟

أريان : لا أعرف أن ألعب إلا بشكل سيئ، وكيفما اتفق.

أفنير : ذلك أفضل. حين تنضمين إليّ، سنشكل سوية فريقا عظيما. تعالي.

(يختفون).

(يبقى بالينت في الحديقة، وكورت بلينسك تحت الفيراندا).

(وقت).

بلينسك : هل تتقن لعبة البريدج؟

بالينت : لا.

بلينسك : كان بودي أن أكون رابعهم، لأن الفتاة لا تعرف كيف تلعب.

بالينت : ومع هذا، عليها أن تتعلم.

بلينسك : من غير شك... لاحظ، إنها رفقة رائعة جدا.

(بالينت يبتسم بشكل لطيف).

(وقت).

بلينسك : قرأت بعد زوال اليوم مقالة مسـلية بشـكل تام، في موضوع الثدييات الصغيرة. تصور أن المرموط يضع في حسـبانه، وهو ينشئ داخل الجحور التي يعدها لفصل الشـتاء، حجرات مخصصة للبراز. بمعنى آخـر، مواقع خاصة للتمرحـض! (بالينت يبتسـم من جديد). أما بالنسبة إلى الغُرَيِّر فيهيئ حجرات خاصـة بصغـاره، بينما القُنْـدس يوفر لنفسـه حجرات للطعام! وذلك على حافة الأنهار والبحيـرات! (يضحـك من الأعمـاق). لأنه يحب تنـاول طعام عشـائه على حافة المـاء! ترى، هل هنـاك قنادس في هـذا المكان؟ لاشـك في أنها موجودة، بحكم هذه السيول والبحيرات الموجودة في الناحية. ألم يقع بصركما، وأنتما تتنزهان بتلك الناحية، على بعضها؟

بالينت : لم أرَ أي شيء من ذلك، أبدا.

بلينسك : لأنها لا تترك نفسـها عرضة سهلة لأعين الناس! القنادس حيوانات ذكية. وأظن أنها بالأحرى أذكى من بيـن جميع القوارض. أجل. أعتقد أنها أشـد تطورا من الناحية الذهنية. (مشيرا إلى السكرابل). أتحب أن تشاركني اللعب؟

بالينت : لا، شكرا. اعذرني، فأنا لا أرغب في اللعب...

بلينسك : لا عليك. فكل منا حر! في العطلة، الكل يصنع ما يريده... (يعيد القطع إلى الكيس). لقد خسرت. أنا ما سحبت، دون لف ولا دوران، سوى ثلاثة صوائت في المباراة كلها! حتى فيلكارز ما كان بمقدوره أن يفعل شـيئا يذكر، في مثل هذه الحالة. أتعرف من يكون فيلكارز؟

بالينت : لا.

بلينسك : سـألتك فقط لأنك حركت رأسك، وأنا أحدثك، فاعتقدت أنك تعرفه. فليكارز أو والتر فليكارز، هو البطل المتوج لنادينا.

بالينت : هل أنت منخرط في نادٍ؟

بالينسك : نعم، نعم. (يبتسم بتودد مشفوع بالتعجرف). لكننا في النادي، نخوض جميعا في اللعب بنسـختين؛ لا علاقـة لهذا بالمبادرات الحـرة، إذ لا دخل للحظ هنا، لعلمك! ضع فـي بالك أنك إذا ما لعبت ضد فيلكارز مقابلة حرة، فستخسر بالضرورة.

بالينت : مؤكد.

بلينسك : مؤكد تماما، نعم.

(بالينت يبتسم).

(يظهر أفنير).

أفنير : أنا الخاسر. يا لسأم تلك اللعبة! شيء لا يصدق.

بلينسك (مبالغا) : البريدج؟!

أفنير : ألا تجد أنه أدعى للسأم، أنت؟

بلينسك : ولو لثانية واحدة!

أفنير : إذن، قم لتحل مكاني.

بلينسك : لكن شريكاتك...

أفنير : سيكن مسرورات... (يصرخ في اتجاه الداخل). السيد كليمس سيلعب في محلي!... (إلى بلينسكي). هيا، اذهب لمساندة الفتاة.

(كورت بلينسكي ينصرف، وقد جن من فرط الفرح).

بالينت : كيف أسميته؟

أفنير : لم أعد أذكر... كليمس، ربما... أليس كذلك؟... أتظن أنهن سيحقدن علي؟ هو شخص لطيف جدا.

بالينت : تعامل معي أنا بلطافة.

أفنير : أي، أي، أي...

بالينت : أنا أنشد إلى هذا النوع من الناس. إنه متكاثر بشكل كبير عندنا.

أفنير : أيتحدث إليك؟

بالينت : يحدثني، ويعلمني.

(أفنير يحرك رأسه علامة على التضامن).

(وقت).

أفنير : هذه الليلة، رأيت حلما غريبا. رأيتني في المنام أدير نهائية هافنير. وبسرعة جنونية. أقود الجوقة بعصا ترسم دوائر، بت أحركها في اتجاه السماء، خالقا الدهشة والذهول لدى كل من يرينو والتر، وبرينستين، وأوساوا!... لا أحد استطاع من هؤلاء أداء هذه النهائية. هذا هو أهم شيء، إذا أردت الاستفادة من خلاصة أفكاري، هذا هو الأهم. الموسيقى. ليس هناك سواها. إني كئيب.

بالينت : وأنا كذلك.

أفنير : أرى ذلك.

(صمت).

بالينت : حيـن جئت إلى هنـا... الحاصل أنـي أريد أن أقـول إني، حين قررت الاعتـزال في الجبل، لكي أنهي مقالي بشـأن حضارة الهالسـتات، اعتقدت بأن الجبل سـيكون هو المـكان المثالي للكتابة... كنت أعتقد بأن الخلوة والتهديد الذي يشـكله هذا المحيط البيئي، سـوف يسهمان بشكل إيجابي في تقدم العمل... كنت أتصور كل هذا، من بعيد، بنوع من الضجـر الموقر، وأراني منكبـا على الكتابة، من وراء زجاج النافذة، وسط حجرة مرتبة بعناية، وأنا مطمئن ومتوازن الدواخل... لكنك خربت هذا البرنامج... جررتني وراءك، وأنت لا تكف عن ترديد: أحب المرمـوط، أحب زهرات زر الذهب، ... لقد نقلت إليّ عدواك، حتى فقدت الحماس لما شرعت في كتابتـه. (وقت). ومع ذلك، بقيت جانبا... هذا المنظـر الطبيعي ملك لك، وجزء لا يتجزأ منك... أنت صنوه ونـده... أما أنا فيجرحنـي... يتركني خارجـه... لا شـيء يبدو لي اليـوم مثيرا للبغض والكراهية، مثل مؤلف يدور حول العصر الحديدي الأول... ومع ذلك، سـأتمسـك بتأليفه. والله وحده يعلم أني إلى جانب كل هذا، سـأتمسك بتأليفه إذا رحلت أنت...

(صمت).

أفنير (بعد وقت) : في بوينس أيريس، أتولى صناعة أثاث المؤتمرات بنفسـي، وأصدر تجهيزات المكاتب التي تنضبط لبعـض المعاييـر الثابتة في خشـونتها ودمامتها وتشـابهها... هذا ما أصنعه أنا، طوال السـنة. لا يمكن للمرء أن يماثل بين هذا الانشـغال اليومي، وبين ما يهواه ويمارسـه كهواية... أنا أجني أموالا كثيرة، وأتخم بها بطون ابني اللذين ليسـا سـوى مخلوقين عديمي الكفاءة؛ إنها يقينا أسـوأ خدمة يمكننـي أن أقدمها لهما، ولكنـي أوفر على الأقل على نفسي الهموم التي قد يتسببها لي فيها رؤيتي لفقرهما وعوزهما. أنا لم أشك في يوم واحد أبدا، من كـون حياتي خارج تلك الدائـرة كلها... أنا لم أتصور حتى الأشـياء بطريقة أخرى مختلفة: أنت تكتـب، وابني أيضا يعتقد بأن من النبل والشـرف أن يتعاطـى المرء الكتابة. وأنت تريد، مثله تماما، أن تتلابس مع كتابتك، فلا تسلم بأنها تستطيع أن تكون ممارسـة عادية ومبتذلة... أنا لا أعرف بعد هذا كله، وربما لا أسـتطيع أن أفهمك... فنحن لا يمكننا أن نفهم الناس...

(تظهر أريان، فتقف بباب الفيراندا).

أريان : أنـا أكرهـك... ماذا تريدنـي أن أصنع مع ذلك

الشـــخص، الذي فرض عليّ أن أكـــون معه فريقا واحدا للعب؟! أي متعة أجنيها بمشاركته؟

أفنير : إنه لاعب يفضلني بكثير، أليس كذلك؟

أريان : ولكن أي فكرة جهنميـــة دفعت بك إلى أن تلصق ذلك الشخص بتلابيبي، حتى غدت أمسيتي محنة لا تطـــاق؟!... لابد أن أرد لك الصـــاع صاعين يا أفنيـر... لابد أن أنتقم لنفســـي منك... (تنصرف، ثم تعـــود فورا، من جديـــد)... وإن حدث أن تجرأ لســـوء الحظ، علـــى تقديم أي نصيحـــة لي، فإني سأقذف بكل الأوراق على وجهه!

(تختفي).

(أفنير يبتسم).

(يمضي وقت وجيز).

بالينت : هل خامرك الشعور بالمداعبة؟

أفنير : نعم... بشكل ما.

بالينت : هل سترافقها إلى لينزسي، غدا؟

أفنير : إذا جاءت.

بالينت : إنها ستجيء.

(وقت).

أفنير : في أي ناحية ينبغي أن أستقل التليفيريك، للتوجه إلى قمة اللينزسي؟

بالينت : ناحية لينز. أتسألني أنا عن هذا؟!...

أفنير : لكنــك أنت أيضــا تعرف قراءة تلــك الخرائط. أنا، وللمــرة المائة التي آتي فيها، لا أفهم من تلك الخرائط أي شيء. لمَ لا تأتي معنا؟

بالينت : عليّ أن أشتغل. سبق لي أن قلت لك هذا.

أفنير : ســأهيئ لنا نقانق محلية... لا، الأفضل أن تكون نقانق الغريزون... سأهيئ نقانق الغريزون، وقطعة جبن، وثلاث حبات من الطماطم، وسنشــعل النار بجانب السيل، عند العودة... وسأحمل على ظهري الجــراب... إنمــا لا، لســت وحدي من ســيحمل الجراب... أنت كذلك ستحمله، وأريان أيضا! فهذه الفتاة ما تزال شابة، رغم كل شيء!

بالينت : أنا سأنهمك غدا في الكتابة.

(أفنيــر يحــرك منكبيــه، وهو غيــر راض. تظهر سوزان).

سوزان : لا أحد يرغب في اللعب مع الســيد بلينسك. إيما شــعرت بتعب لا يحتمل فغادرت، وابنتي أخجلتني بمبادرتها العجلى، التي تعللت فيها بالشعور بنفس

الشيء، للانفكاك من اللعب.

(تظهر أريان).

أريان : إيما تنقل إليك تحية المســاء. (إلى أفنير). متى سنلتقي غداً؟

أفنير : على الساعة التاسعة والنصف.

أريان : طاب مساؤكم.

أفنير : طاب مساؤك.

بالينت : تصبحين على خير.

سوزان : أتذهبين للنوم، يا عزيزتي؟

أريان : نعم.

(تقبل سوزان، وتتصرف).

(يمضي وقت وجيز).

(تنــزل ســوزان إلى الحديقــة. يعــود بالينت إلى الفيراندا، ويمســك بصحيفة كان أفنير قد تركها، فينهمك في تصفحها بعض الشيء)...

أفنير (إلى سوزان) : أتحقد عليّ؟

سوزان : هذا ما يبدو.

(تبتسم).

أفنير : وأنت؟

سوزان : بالتأكيد، أنا كذلك...

أفنير : هذا لطف منك...

(وقت وجيز).

سوزان : أريـــان تعيش هنا الملل. هي جاءت لتراني، وتعلم أني لا أحب باريس. اعتقدتُ أن قضاء أيام بالجبل ســيكون أفضل من قضائهــا بلــوزان، لكنها غير منجذبة للجبال.

أفنير : ألن تسافر لتزور والدها؟

سوزان : والدهــا يقطن بباريس. والزوج السويســري هو زوجــي الثانــي... بهذا، صرتَ تعرف عني شــيئا فشيئا، كل شيء!

أفنير : لا أعرف بعد أي شيء. أنا في الحقيقة لا أعرف أي شيء.

(صمت).

سوزان : أكانت إيما... متزوجة؟

أفنير : لا. لم تكن هي دائما ذلك الـ... ماذا يتعين علي أن أقول؟!... لم تكن دائما ذلك الكائن الخالي الذهن، المعــروف بالمرح والبشاشــة... كانــت بالأحرى

خجولة حينما كانت فتاة صغيرة...

سوزان : أنت فظ.

أفنير (مندهشا) : لا... لا... إنها حتى كانت امرأة ذات رقة وعذوبة. الأمر كذلك.

سوزان : أليس في حياتها رجل ما؟

أفنير : إلى وقت ما، وقعتْ في حب رجل إسباني. كان رجلا قصيرا وقوي البنية... كنتُ أسميه «الدواس».

سوزان : وهل نجحت علاقتهما؟

أفنير : لا.

سوزان : ولم؟

أفنير : لم تنجح... كان لك الرجل يقطن ببلباو، وربما لم يرغب في الرحيل عنها، أو شيئا من هذا القبيل... إذ من يدريني؟... ثم إن إيما ظلت تتفنن في حشر نفسها في المتاعب. لا يمكن لنا القول بأن الرجال كانوا يجرون وراءها... غير أن «الدواس» حاز بعض الاستحقاق، من بين هؤلاء جميعا!

سوزان : أنتَ مخطئ بحديثك عنها بهذه الطريقة...

(أفنير يضحك).

أفنير : أجل. (وقت). هل ستزورينا في بوينس أيريس؟

سوزان : وماذا سأصنع هناك؟

أفنير : كل شيء. بوينس أيريس مكان جميل جدا...

سوزان : ربما... ربما قد أزورها في يوم من الأيام.

(صمت).

أفنير : ليلة سعيدة.

(يقبِّل يدها).

(يمر من أمام بالينت، الذي يلازم نفس المكان دائما، تحت الفيراندا. يتبادلان إشارة الوداع. أفنير يختفي).

(سوزان تتقدم ببضع خطوات داخل الحديقة، ثم تجتاز الفيراندا بعد ذلك، لتدخل ردهة الفندق).

(بالينت يمكث وحيدا، وهو يتأرجح فوق كرسيه).

(سوزان تظهر من جديد، حاملة في يدها كوب ماء. تنظر إلى الأفق المظلم من الليل، ولا تلتفت إلى الجهة التي يجلس بها بالينت، حتى حين تحدثه.

سوزان : أفنير يروق لي، لكنني لم أعد أعرف كيف ينبغي أن أوقع أحدا في الغواية. يبدو لي أني نسيت مع توالي

العمر، جميع الحيل التي توقع الرجال في الغواية. نسيت أبســط تلك الطرق، التي توقع بالرجال في أحابيــل الأنثى. يا إلهي، وكأني أصبحت في ســن الفتيات الصغيرات، إنما بســماجة وبلادة وجهالة مشــوهة!... (تلتفت إلى جهــة بالينت). أرى جيدا بأنك تستشــعر بعض الكآبة. أعرف جيدا ما هي الكآبة. أنا أشعر بتعاطف كبير معك.

(تمضي).

(بالينت يبقى وحيدا).

(الليل).

المشهد الثالث

(وقت الظهيرة).

(في الحديقة. ثمة مائدة وبضعة كراسي).

(إيما تمــلأ بطاقات بريدية. ســوزان ممددة على كرسي طويل).

(باليـنــت منهمك في عمله. يقرأ، ويضع الأســطر تحــت بعــض المقاطع، ثــم يــدون الملاحظات، ويكتــب، ويقوم بــكل ذلك وهو مســكون بنوع من الحمى المشبوبة بالكآبة).

(كورت بلينسك يشعر بالملل).

(بعد مضي بعض الوقت).

إيما : في كل سنة أكتب نفس العبارات، وأكاد أقول إني أملأ نفس البطاقات، كل ســنة! إذا لم تصلك هذه الأبقار والأجراس، منذ أكثر من عشر سنوات، فأنا مســتعدة لأقدم عنقي إلى المشنقة. الحمد لله أن كارولين المسكينة لم تعد تملك ذاكرة سليمة!

سوزان : ومن تكون هذه؟

إيما : الخالة كارولين. أخت والدتي. العينة الأخيرة من الســلالة الروســية للعائلة. اتصلت بي منذ شهر،

وقالــت لي في التلفــون: «حدثت معجــزة... أمر رائع!... تم قبولي في شارع فاريز. شارع فاريز هو مأوى اليهود الروس اللاجئين. تصوري: لدي حظ غير عادي. مُنحتُ أنــا وحدي غرفة، وكذا، وكذا، وكذا،،،،»، إلى غير ذلك من التمادي في الهذر. وبعد أســبوعين على مرور هــذا، رن التلفون من جديد بشقتي، فســمعت صوتها يقول: «أنا بحق لا أفهم موقفك. ماذا هناك، يا خالة؟ رددت عليها. لا، لا. أنا حقا لا أفهمك. كيف اســتطعت أن تقبلي بفكرة لجوئي إلى ذلك المأوى البائس، حيث لا ينزل غير المنكودين، غير فقراء اليهود البائسين؟! حقا، أنا لا أفهمك!»...

(ضحك. وقت).

من يــرى هذا الغطــاء الضبابي، يظــن أن البحر وسطه!

سوزان : أجل، أجل. هذا صحيح.

إيما : أشعر في بعض الأيام، وكأن البحر ينقصني. لكن ما ينقصني أساسا، هو رؤية البحر. ينبغي أن تكون رؤية البحر بمقدورنا، من حين لآخر. رؤيته وحسب. لا السباحة فيه، أو شيئا من هذا القبيل... (وقت).

حين فرت أسـرتنا من رومانيا سـنة ١٩٤٠، ركبنا السفينة في كونسـتانزا باتجاه إسطنبول، فمكثنا أفنير وأنا على سطحها طوال الليل، نشاهد البحر والنجوم، وننتظر شـروق الشمس... (صمت). لم نعـرف أين سـتكون وجهتنا، إلا أن الشـيء الأهم كان بالنسـبة إلينا هو رؤية شـروق الشمس على البوسـفور... كان أفنير يتمسك بالدرابزين، وكأنه قبطان السفينة. كان يبدو أكبر من عمره. كان في الثانية عشـرة، لكنه يبدو أكبـر مني أنا التي كنت في الخامسـة عشرة من عمري. من قبل، كنا نقرأ المؤلفات التي تحكي عن المغامرات البحرية، لكننا في تلك الفترة عشنا مغامرة حقيقية...

(وقت وجيز).

بالينت (وقد ترك عمله، وانساق مع تفاصيل الحكاية، التي كانت إيما ترويها) : احك لنا عما جرى.

إيما : ومـا فائدة أن أحكي عما جرى؟!... ذلك شـيء مضى، وانقضى. شيء بعيد في الزمن.

بالينت : وما الذي صنعتموه في إسطنبول؟

إيما : ها هو ذا أسـتاذ التاريخ تنبه، فاستيقظت شهيته للحكي! ترى، ما الذي يريد أن يعرفه، هذا الفتى؟

إذن، عشنا في إسطنبول يا صغيري، حياة لا تعاش إلا فـــي الأحلام، ونحن نقيم فـــي أفضل الفنادق، ونأكل في أحســـن المطاعم. كانت لنا ثروة كبيرة. والدي ظل ككل يهودي ثري، يحتفظ ببعض الأموال بسويســـرا، وكذلك بتركيا التي كانت بلدا محايدا. كان الناس يلقون بأنفســـهم مـــن النوافذ، وتحصل بإســـطنبول كل يوم عدة عمليات انتحارية، خاصة بالنســـبة للذين فروا إليها من غير أي شيء، لأنهم وجدوا أنفسهم هناك بلا مال، ولا أي أمل في نوع من أنواع النجاة، ما دام لم يكن لهم ما يحصلون به على تأشيرات السفر...

بالينت : وبعد تركيا؟ إلى أين كانت وجهتكم؟

إيما : بعـــد تركيـــا، قصدنا القدس، ومكثنـــا هناك في فندق كينغ دايفيد مدة ثلاثة أشهر.

بالينت : وبعدها؟

إيما : بعدهـــا!... يـــا إلهـــي، إنك تخضعنـــي بحق إلى تحقيق! وهذا قد يزعج الجميع.

بالينت : بالمرة...

سوزان : على العكس.

إيما : فيما بعد، حصل والدي إذن، على تأشيرة الدخول إلــى التراب الأســترالي، ثــم ذهبنا إلى ســيدني بواسطة طائرة مائية تابعة لشركة أمبريال أيروايز، وهــي الطائرة التي كانت تقطع المســافة الفارقة بين لندن وســيدني في تسعة أيام. لكننا استغرقنا وقتــا أطول من المعتــاد، لأن جنرالا في جيش لم أعد أذكر هويته، كان في حاجة ماسة إلى مقاعدنا في الطائرة. في ما بعد، دونت أحداث هذا السفر فــي دفتــر صغير... وقــد أنجزت حتــى خريطة توضيحيــة بينت فيها الطريق الذي اجتزناه... في كل ليلة، كنا نتوقف في مكان ما. البصرة، بومباي، كالكوتا... ومن كالكوتا، ذهبنا لقضاء أسبوع كامل في دارجيبلينغ، بفندق مونت إيفريست.

كان فندقــا رائعا. صاحبه كان يهوديا بولونيا، إنما لا تطلبوا مني أن أفســر لكم كيف صار يهودي من بولونيا صاحــب فندق فخم في دارجيبلينغ، كل ما أســتطيع أن أقوله إنه كان صاحبــه!... ومن ذلك الحين، صرت أحتسي شــاي دارجيبلينغ. (وقت). في كالكوتا، اقتنى والدي بعض البُسُــط. (تبتســم لرجع هــذه الذكرى). كان المســكين قد وقع في غرام البُسُط. يعود إلى البيت كل مساء، فيقول إني

رأيت بسطا رائعة، لكني لا أستطيع الحسم في أمر شــرائها وحدي؛ وكانت أمي تجيبه قائلة إنك فعلا مجنــون، إذ في الوقت الذي لا نــدري فيه بعد ما الذي ســيحل بنا، لا تكثرت أنت سوى بالبُسط. ثم من يدري؟ فقد يقع الأســوأ غدا، ويضطر الولدان إلى طلب الصدقات في الشارع، بينما لا تهتم أنت سوى بشراء البسط؟! ومع ذلك، ظل هو يقتنيها!... وما زلت أحتفظ إلى اليوم، بتلك البســط. (وقت). هذا كل شــيء. في رانغون، هجمت عليّ مجموعة كبيرة من البعوض. وقعت وأنا حية، فريســة لهذه المجموعة الجائعة. وفي سنغافورة، نزلنا في فندق رافلز. وبعــد ذلك، انتقلنا إلى ســوارا بايا، ومنها إلــى داروين، ثم إلى ســيدني التي كانــت البداية والنهاية...

(صمت).

بالينت : ثم عدتم إلى أوروبا؟

إيما : إلى باريس سنة ١٩٤٦، ثم رحل أفنير إلى بوينس أيريس ليعيش فيها، بعد عشــر ســنوات على ذلك التاريــخ. (وقت). لا تخبروا أفنير بأني حكيت لكم كل هــذا... أفنير لا يتحدث أبدا عن هذه الرحلة،

التــي اضطررنــا إلى القيــام بها خــلال الحرب. ظللــت أعتقد دائما بأن الخجــل ينتابه جراء هذه الواقعة، التي تســتحق أن ترتــب ضمن الحكايات التاريخية ذات الأربعة نجــوم. اعتقدت بأنه حقد على نفســه ربما، لكونه لم يستطع المشاركة بأي شــيء في ذلك المصير الجماعي، الذي طال أبناء البلد والأهالي... أجل، هذه الرحلة من الأمور التي وشمت حياته، على ما أظن. وما أثر فيه أكثر هو أنه ظل غائبا ومحميا لا تصله آثار المأساة الجماعية، وإنما كان يلهو ويمرح وحسب في الفنادق الفخمة، في الوقت الذي كان فيه أقرانه من الأطفال يموتون من الجوع، أو يموتون فقط. أنا لا أرى إلى الأشياء مــن خلال هذا المنظور. نحن كنا صغارا، ولم نكن مسؤولين عن أي شيء من سلوكنا، زد على هذا أنّا لــم نكن نعلم بما كان يقــع. وحتى لو علمنا بذلك، أكان ينبغــي لنا أن نعيش في الأكواخ الحقيرة، وأن نأكل قطع الرغيف اليابس، وأسرتنا على ما كانت عليه من ثراء؟! لا، إنما أنا أمزح... لكن، أي ســوء تســببنا فيه نحن، وقــد كنا نعيش الحيــاة مثلما عشناها؟! ما رأيك أنت، يا سيادة المؤرخ؟

بالينت : هناك بعض المشــاعر التي... على كل، أريد أن أقــول... ودونما تورط في... فلأقل بأني أتفهم ما

يحس به أخوك، وكفى.

إيما: لكنـــي أنا أيضـــا أتفهمه، يا فتـــى. أتفهمه جيدا جدا، ومع ذلك ســـأقول لك شيئا لا يتصل بالتاريخ ولا بالأخـــلاق، وســـأقوله من غير شـــعور بالوجل أو الخجل: أتعلم أني لم أشـــعر فـــي حياتي كاملة بالســـعادة إلا خلال تلك السنة بالذات؟ لم أعرف أي شيء يذكر من آلام الحياة، وكنت أروق لوالدي، وكان الجميع يعاملني بحب، أبواي وأخي، وكنت أنا أيضا أبادلهم الحب. صحيح أني رأيت آلاما فظيعة ومشـــاهد مرعبة في كالكوتا، لكن ذلك لم يمنعني مـــن أن أكون ســـعيدة. ولا أفنير كان غير ســـعيد أيضـــا. وأنا متأكدة من هذا. لكـــن هذه الذكريات البريئـــة صارت تولد لديه مـــرارات عميقة. وهذا شيء مأسوف عليه، بالنسبة لي... هيا، ساعديني إذن يا سوزان، لإيقاف هذا الاستغراق في الذكرى المثيـــرة للضحك، ما دمت أنـــت هي الرقة عينها؛ فأنـــا لا أدري أي ذبابة لســـعتني اليـــوم، وتركتني أهذر!

(ندت عن سوزان حركة نفي ودودة).

(لحظة من الصمت).

باليـنـت (وهو يقوم من مكانه): من يريد منكم كوب شـــكولاتة ساخنا؟

لقد برد الجو بشكل مباغت.

سوزان : يبــدو أن الغيــوم تتجمع في الســماء. أتمنى ألا يتعرضا للعاصفة، وهم في الجبل.

إيما : أنا أتناول كأس شكولاتة، بكل سرور.

سوزان : وأنا أيضا.

بالينت : وأنت، يا سيد بلينسك؟

بلينسك : لا، شكرا.

(بالينت ينصرف).

(وقت وجيز).

(إيما تعود إلى بطاقاتها البريدية).

بلينسك : أنــا لا أحب شــكولاتتهم. هي ليســت من النوع الجيد.

(سوزان توافقه الرأي بأدب، بحركة من رأسها).

(بالينــت يعــود. يجلــس، فينهمك فــي عمله من جديد).

سوزان : أنا لســت أدري كيــف تســتطيع أن تعمل، وأنت هنا؟

بالينت : هنا؟

سوزان : أقصد خارج غرفتك. وأنت بيننا.

بالينت : الأمر بحق صعب...

سوزان : أليس كذلك؟

بالينت : أنا لا أعرف أين يمكنني أن أشتغل.

سوزان : الصالون الصغير خلف الفيراندا يبقى خاليا على الدوام.

بالينت : أجل، أعرف هذا.

(يبتسم).

سوزان (ضاحكة، وقد أغمضت عينيها، واستلقت على المقعد الطويل): سأسكت، سأسكت...

بالينت : كلا. تحدثي معي، بلا حرج.

سوزان : لا، لا.

بالينت (مغلقا كتبه): ها هي ذي كؤوس الشكولاتة.

(يقوم من مكانه، ويساعد النادل على وضع الكؤوس الثلاث، التي جاء بها في طبق).

إيما : هذه الشكولاتة مفرطة الحلاوة. أليس كذلك؟

سوزان (وهي تتذوق المشروب بدورها): لها مذاق غريب...

إيما : أجل، مــذاق الحليب المركز... لــم يعد ثمة من يتقن إعداد الشكولاتة.

بلينسـك (قافـزا على هذه الفرصـة): ما عاد أحد يعرف كيفية إعداد الشـكولاتة بإتقـان!... الإقرار بهذا الأمر شـيء محزن، لكنه حقيقة: لـم يعد أي أحد يتقن إعداد الشـكولاتة، بالمرة! كانت الناس في القديم، تذيب الشكولاتة السوداء الحقة، ولا تستعمل هذه البودرة اللعينة التي صارت اليـوم معتمدة لدى الجميع... كانـت النـاس تسـتعمل مـع الحليب آلـة ترغية الشـكولاتة، لكن فقط في اللحظـة الأخيرة التي يفيض خلالهـا الحليب... كانت قطع الشـكولاتة السوداء هي ما يلقى به في كريمة الحليب المغلي! أي نعم!... الآن صار لي ثلاث سـنوات وأنا أوضح هذا الأمر للسـيد مولر. هؤلاء الشبان الإيطاليون المتخرجـون في مـدارس الفندقة لديهـم النوايا الحسـنة، لكن كيف تريدونهـم أن ينقلوا مع هذا، أدنى تقليد للأجيـال الجديـدة؟ التقاليد تضيع، ليس لأنها تتعرض للموت، وإنما لأننا لا نبالي بها!

سوزان : بالتأكيد.

بلينسك : حيـن كنت أرافق والدتي إلى فندق غران سـالز

بالشــاليه دوبروتــاي، خلال فترة الخمســينيات، كان هناك رئيس للطباخيــن، وكبير القائمين على الخدمة في الفندق، ومدبرة الأشغال؛ بمعنى أن كل هؤلاء الرؤســاء كانوا راسخين في الخدمة، بحكم قدمهم، وتشبعهم بتقاليد المهنة. ويمكنني الذهاب إلى حد القول بأن كعكعــة ما، إذا ما كان ينقصها مقــدار غرام واحد من الفانيــلا، فإن لا أحد كان سيتســاهل مع ذلك، أو يتلكأ في رفع الشكوى إلى المســؤولين بســبب ذلك الإهمال، إلى أن تصاب الســيدة ســلوتزيرمان بالارتباك الكامل، وهي لا تكف عن الاعتذار.

بالينت : هذا مؤكد.

(فــي تلك الأثنــاء، تصل كرة تينــس قُذف بها من بعيد، إلى أن تبلغ موقع قدمي إيما).

إيما : مــرة أخــرى! الحاصل أنهــا المــرة الثالثة هذه الظهيرة! قبل قليل أصابت الكرة قدمي، حتى إني اعتقدت بأن كلبا ما هجم على عرقوبي.

بلينسك : الشباك المعدني المحيط بملاعب التنس قصير جــدا من الناحيــة الموالية للفنــدق، لذلك تخرج الكــرات من الملعــب، وترتد قافزة فــوق أرضية المرآب، لتهوي بعد ذلك عندنا. بينما الشباك من

الجهة المحاذية للطريق عال. هذا نموذج واضح من نماذج الإصلاح، التي تدعي خطأ الاقتصاد في النفقات!...

إيما (وهي تقاطعه) : ينبغي إشعارهم بضرورة الانتباه لهذا الأمر...

بلينسك : أتريديني أن أذهب لإشعارهم بهذا؟

إيما : لا، لا... الحاصل، نعم. اذهب إن شئت، يا سيد بلينسك. سيكون هذا سلوكا لطيفا منك. ولا تنس أن تأخذ الكرة معك، وأنت في الطريق إليهم.

(كورت بلينسك يختفي، في الجهة المقابلة للفندق).

(صمت).

إيما : إنه ينهكني.

سوزان : كيف يكون بالمستطاع أن يتخلص منه المرء؟

إيما : لا أرى حلا لذلك.

سوزان : يا لتلك الأيام السعيدة، التي كانت فيها زوجته بيننا!...

إيما : أجل. يا لتلك الأيام! إننا لنتحسر حقا على اختفاء تلك المرأة!

بالينت : كانت توجهه.

سوزان : بالفعل، كانت توجهه.

إيما : صـــار كالعلقة التي تلتصـــق بالجلد، منذ أن تُرِكَ لنفسه.

سوزان : إنه يهيم بك.

إيما : يهيم بي؟!

بالينت : تلك حصيلة خطئك.

إيما : وفي ماذا أخطأت؟

بالينت : عرفت كيف تكونين ودودة معه!

سوزان : معـــه حق. المرء لا يقـــع في حب الآخر، إلا حين يشجعه هذا على ذلك!

إيما : حـــول كل موضـــوع له وجهة نظـــر خاصة... إنه علامة في كل شيء، إلى حد انهيار الأعصاب!...

بالينت : المسكين.

سوزان : حذار من الوقوع في الشكوى منه!

بالينت : أنا لا أشـــكو منه. لكني لا أجد في محاولاته لمد جسور التواصل بيننا، شيئا مرضيا.

سوزان : محاولاتـــه؟ إنه لا يحاول، وإنما يقتحمنا اقتحاما داهما إلى حد إسكارنا!

بالينت : يفعـــل ذلك مرغما. حين ينـــدس في الحديث، لا

يــدري ما الذي عليــه أن يفعل، ومــا ينبغي له أن يقول، ليبقى متحدثا إلينا. إنه يشــعر بالخوف من أن يتم إقصاؤه من الحديث الدائر، في حال ما أن يتوقف عن الكلام.

(كــورت بلينســك يعــود ثانيــة إلى الظهــور، في الخلف).

(لا أحد لاحــظ عودته. يتقدم بضع خطوات، لكنه يتوقف فجأة عن الســير، ما أن يتناهى إلى سمعه ما صار يدور بين إيما وسوزان).

إيما : إنــه غير قابل للكبــح. لو لم أبعثــه ليعيد الكرة إلى الملعــب، لظل يملأ أذننا بشــروحاته للكيفية التي صنع بها الســياج! هل لاحظتما الكيفية التي يُغضن بها جبينه، والكيفية التي تبرز بها تجاعيده؟ تحدوني الرغبة أحيانا في أن أقول له: لماذا تهرم، لمــاذا تتجعد، لمــاذا تدنو من المــوت، ومع ذلك لا تتلفــظ بغير الســخافات؟!... نادرا ما صادفت إنسانا مزعجا مثله. والله يعلم إن كان الرجال أكثر موهبة من النساء في الإزعاج، أم لا؟!

بالينت : كانت زوجته لا تطاق، كذلك.

إيما : لا تطاق!

سوزان : أجل، لكنها كانت علــى الأقل توجهه، مثلما قلتَ عن حق.

إيما : كانا يوجهان بعضهما، بكيفية متبادلة.

(تضحكان. ثم تلتفتان كي تتحققا من عدم تواجده بالجوار، فترياه)...

(وكأنما هو صُعِق من أثر الدهشة والذهول، فبقي واقفا في مكانه، جامدا).

(صمت).

سوزان : ... هل أعدت الســكينة والنظــام لهذا الربع، يا سيد بلينسك؟...

بلينسك (بصوت مشوش): كانوا أطفالا ...

سوزان (متظاهرة بالتفاعل معه أكثر فأكثر): أطفالا، بالطبع!

بلينسك : كانــوا أطفالا. أعدت إليهم الكرة، فقالوا لي إنها كانت ميتة، وما عادت تصلح للعب، لذلك أرســلوا بهــا عنــوة إلى هذا المــكان. (وقــت). ثم رجعت أدراجــي، فإذا بتلك الكرة تقصــف كليتي، بعد أن ألقوا بها من جديد، وكأنها قذيفة مدفع... صاحوا بي بعد ذلك، وهم يضحكون، قائلين إنهم لم يكونوا يقصدون توجيه الكرة نحوي أبدا، وإنما حدث ذلك

من غير قصد. لســت أدري إن كنت قد تلقيت كرة تنس جهة كليتي، أم قذيفة، لأن الألم المبرح الذي تسببت لي فيه تلك الكرة كبير جدا، يقطع الأنفاس. (يلمس جبينه)... تجعدت جبهتي... أنا متأكد من أني أتجعــد... أظن أني قد صرت هــذه المرة يا مدام ميلســتاين، ذا جبين متجعد بحق وحقيقة... أليس كذلك؟... أتعرفين شارل سيكريتان؟ لا؟ هو في نظري إذن، الفيلسوف السويسري الذي يتكون اسمه من ثمانية أحرف. لقد بحثت عنه من أجلك هــذه الليلة، لمــا طلبت مني اســمه، وأنت تملئين الكلمــات المتقاطعــة، ثم إذا بي أرتبك، فأنســى إخبارك به هــذا الصباح. إلا أن هذا أفضل، لأني أشــعر بأن تلك الكلمات المتقاطعة التي كنا نلعبها سوية يوم أمس، صرتِ اليوم تعبثين بها...

(أراد مواصلة الحديث، لكنه لم يستطع).

(بعــد لحظــة صمــت وجيــزة، ينصــرف، وهــو يرتجف).

(وقت).

سوزان (وهي تكبت الضحك الذي انتابها): هذا أمر مريع.

إيما : مريع.

(تنفجر بالضحك).

سوزان (ضاحكة رغما عنها): هذا رهيب...

إيما (وقد أدمعت عيناها من الضحك): أجل...

(بالينـــت ينظر إليهما في دهشـــة. يقوم من مكانه بعد ذلك، فيتجه نحو كورت بلينسك).

سوزان : إنه ارتعب...

(قذفـــت بهما هـــذه الملاحظة بيـــن أتون ضحك، يتعذر إيقافه).

المشهد الرابع

(نهاية الظهيرة).

(أجواء غير معتدلة).

(فتــرة زمنية تتوســط بيــن نهاية النهــار وزحف الليل).

(كورت بلينســك يجلس وحيــدا في الحديقة، وهو يتأمل الجبــال، متراجعا إلى الخلــف، حتى صار مــن الصعب تمييزه منذ الوهلة الأولى، وقد ارتدى معطفــا ثخينا، وزوج حذاء ما بعــد التزلج. ويضع علــى العنق وشــاحا على طريقــة الأطفال، يجعل العنق يبدو وكأنه مقيد).

(صمت).

(بعد لحظة، يظهر بالينت تحت الفيراندا).

بالينت (منتظرا مضي بعض الوقت): السيد بلينسك؟!...

(كورت بلينســك يدير رأسه في اتجاه مخاطبه، إلا أنه لا يجيب بشيء).

(بالينــت ينزل بضع درجات ليصــل إلى الحديقة، فيقترب منه).

بالينت : طرقــت باب غرفتــك، لكنك لم تجب، يا ســيد

بلينســـك. (صمـــت). ألا تريـــد أن تتحـــدث إلي؟ أما تزال كليتك تؤلمك؟ (يحرك بلينســـك رأســـه. صمت). أتفضل أن أتركك؟

بلينسك : وحيد أنا، مثلما ترى.

بالينت : وأنا أيضا وحيد.

بلينسك : آه!

(صمت).

بالينت : ... كان لوالـــدي زوج حذاء ما بعد التزلج شـــبيه بحذائك. مع سدادة مشعة... مثل هذه الأحذية لم تعد الآن تصنع.

بلينسك : بلى. إنها تباع في ستراتين.

بالينت : حقا؟

بلينسك : ليـــس مثل هذا الـــزوج تماما. هذا مـــن الطراز القديم.

بالينت : كان له مثلهما بالضبط.

بلينسك : ولم يعد يملكهما اليوم؟

بالينت : لقد مات.

(تند عن بلينسك حركة مواساة).

بلينسك : أنا أملكهما منذ أربع وثلاثين سنة.

بالينت : هذا كثير.

بلينسك : نعم.

(صمت).

بالينت : السيد بلينسك...

بلينسك : تفضل، انصرف...

بالينت : إلى أين؟

بلينسك : إلـــى صديقتيـــك... أنت تشـــعر بالاضطرار إلى البقـــاء معي، وأنا أحـــررك من هـــذا الاضطرار. اذهب إلى صديقتيك...

(صمت).

(كـــورت يمكث جامدا دائما فـــي مكانه، وقد غرق إلى حـــدود الرقبة في معطفه الثخيـــن، لم يترك دون غطاء ســـوى وجهه، الذي انشد صوب مواقع الجبال).

(بالينت يخطو بضع خطـــوات، وهو غير واثق مما سيقدم عليه).

(يظهر أفنيـــر فجأة تحت الفيرانـــدا، وقد ارتدى لباســـا رياضيا: بذلة الأنوراك مع قبعة. يبدو عليه السرور).

أفنير : أثمة جديـــد، إذن؟... لقد عدنـــا بصحبة مزارع

من لينزســـي. ذوقا هذا، ذوقاه. إنه هو من صنعه بالذات... (يناولهما قطعة جبن)... كُلا منها، كلا... (يقضم منها بلينســـك، وقد بــدا على وجهه بعض التقزز). قلت له: «أنت لست سويسريا قحا، لتصنع جبنا بهذه الطريقة، أنت يا صاح لست سويسريا!»، وكان للأسف لا يتحدث غير الألمانية. (يفرك يديه مع بعضهما، ثم يضرب بكفه على ظهر بلينســـك). ينبغي لك أن تمارس رياضة المشي، يا سيد كليمس! عليك أن تتعاطى إلى المشي، عوض المكوث طوال النهار جالســا، تلهو بالحــروف والكلمات. أنت لم تشخ بعد... عليك أن تمشي!... (إلى بالينت). هل كان العمل مثمرا؟... سأغير ملابسي. كم الساعة الآن؟ أي ياي!...

(يختفي).

(بالينت يقذف بقطعة الجبن بعيدا).

(بلينســـك يلقي بنظرة فاحصة على ما تبقى له من قطعة الجبــن، فيواصل تناول البقيــة كما لو كان مضطرا إلى ذلك).

بالينت (بعد مضي قليل من الوقت): أهو جيد؟

بلينسك : من حليب الشياه.

(وقت).

بالينت : لم يعد ثمة الكثير مما تمكن رؤيته.

بلينسك : عد إلى غرفتك، إذن.

بالينت : ليس هذا هو ما وددت قوله.

بلينسك : ومع ذلك، أدعوك إلى العودة.

بالينت : في هذه الحالة، عد أنت كذلك برفقتي، يا سيد بلينسك.

بلينسك : أشعر بأني على ما يرام، هنا.

بالينت : بل أنت على غير ما يرام. الطقس بارد، والسماء تمطر.

بلينسك : إنها لا تمطر.

بالينت : إنها تقريبا على وشك أن تمطر. أرجوك، عد معي.

بلينسك : هل تعلم أني سمعت أشياء أخرى، غير ما سمعته اليوم؟ المرء لا يبلغ من العمر مثل ما بلغته أنا، دون أن يسمع الكثير.

بالينت : لنعد. هيا.

(يخيم الليل).

المشهد الخامس

(المساء).

(سوزان ترتدي فستانا، وتضع على كتفيها وشاحا، وتجلس تحت الفيراندا. تنظر إلى ما تستطيع تمييزه من مناظر أمامها، تلتف بظلمة الليل، وتبقى لفترة لا يستهان بها على تلك الهيئة، لا تفعل أي شيء).

أفنير : إيما!... (يظهر) أين إيما؟!

سوزان : إنها لم تنزل من غرفتها بعد.

أفنير : هذا هو لباسي الذي أعددته للسفر. هذا ما سأرتديه هذا المساء وغدا. ألا تحدث ربطة العنق في علاقتها مع القميص صدمة ما؟ أجيبيني أرجوك، بعفوية، وبلا تفكير كثير.

سوزان : القميص...

أفنير : ألا يعجبك؟!

سوزان : أهو من الأرجنتين؟

(أفنير. أبدا. اشتريته من هنا، من ستراتين. كنت أمر ذات يوم، وأنا أعيش وسط دوامة من الجنون، فاستوقفتني بعض المحلات التي تعلن عن افتتاح

موسم التخفيضات... أنا أحب التخفيضات كثيرا، وهي المناسبة التي اقتنيت فيها هذا القميص)...

سوزان : حتـــى أكون صريحـــة معك، دعني أقـــر بأني لا أعرف حقيقة إن كان من المناسب الجمع بين هذا القميـــص وبين تلك الربطة التي تلف بها عنقك... زد علـــى هذا أن مـــن الصعب جـــدا أن تجد لهذا القميص ما يتناسب معه!...

أفنير : أليـــس كذلـــك؟ إذن، هـــذه الربطة هـــي مثالية فـــي تلاؤمها، في نهايـــة المطـــاف! خطوط على خطوط...

سوزان : ليس في الاتجاه نفسه...

أفنير : ولكن هذا من الطـــراز الأنيق. (يتفحصها). أنت جميلة جدا، هذا المساء!

سوزان : أبدا.

أفنير : بلى. أنت جميلة جدا.

سوزان : بدت أريان مســـرورة للغاية، لما قضته معك هذا اليوم. لقد عادت وهي مشرقة، وبمزاج تغير.

أفنير : إنها قطعت مســـافات طويلة مشيا على الأقدام. لقد مشينا لست ساعات، على الأقل.

سوزان : خشيت أن تقعا في شرك العاصفة. كانت السماء متلبدة بالغيوم، هنا ... للأسف أنك ستغادر.

أفنير : أجل، للأسف... أنا لم أرك قط بهذا الفستان...

سوزان : حقا؟

أفنير : أجل. أترتدينه على شرف مغادرتي؟

سوزان : ربما.

أفنير : أنا أيضا لبست أجمل ما عندي لأظهر أنيقا، لكن هذا لم يرق لك.

سوزان : بلى، بلى، هو يروق لي... (وقت). لكنك تجملت بمناسبة السفر، وليس... ليس لهذا المساء...

أفنير : بلى. أردت أن أستفتح لباسي لهذا القميص، من أجلك. إلا أنه لم يرقك!

(تبتسم).

(صمت).

سوزان : هل يعيش أبناؤك في بوينس أيريس؟

أفنير : أظن ذلك.

سوزان : وما الذي يصنعه ذلك الذي لا يتعاطى الكتابة؟

أفنير: من لا يتعاطى الكتابة يكتب أيضا. يتابع دراسته للغات، وأراه يملأ الأوراق، العديد من الأوراق...

سوزان (تبتسم، ثم يمضي وقت): هل بوينس أيريس كبيرة؟

أفنير: وهل صحن الدار كبير؟

سوزان: صحن الدار؟

أفنير: هي مدينة مفتوحة على السماء. العالم من حولها. هلا زُرْتينا؟!...

سوزان: هذا ما اقترحته عليّ سابقا، وهو من الأمور التي لا ينبغي الإفراط في ترديدها.

(تصل أريان، فتقف وهي متأنقة، بجوار باب الفيراندا).

(يمضي وقت وجيز).

أفنير: وإذن؟

أريان (مبتسمة): منهكة.

سوزان: هذا يلائمك!

أريان: أنا جوعانة!... أأخبرت والدتي بأني مشيت بشكل رائع معك؟

أفنير: أخبرتها.

سوزان : قال لي هذا.

(أفنير وأريان ينظران إلى بعضهما، ويبتسمان).

(إيما تظهر، وهي متأبطة ذراع كورت بلينسك).

إيما : سيتناول كورت العشاء بصحبتنا! (إلى بلينسك). لا ينبغي أن ترفض، ثم عليك أن تعلم منذ الآن، بأن لا أحد يمكنه أن يحل عني، وإلا سأتصرف بفظاعة معه، وأنهش سيرته بلساني المريع!

(يرسم كورت ابتسامة عليها سمة الحرج على فمه).

(ينظر الآخرون إلى إيما في ذهول ودهشة).

إيما : ليس هناك نجوم هذه الليلة، وهذه علامة سيئة! (وهي تحدث أفنير). أرتبت أمتعتك؟ ثم ما هذا القميص؟

أفنير : أأعجبك؟

إيما : يبدو فظيعا مع ربطة العنق هذه.

أفنير : أنت لا تفهمين أي شيء في الأناقة. الأناقة في أبسط تعريف لها هي التجاسر والإقدام!

إيما : أي! قدماي يعتصرهما هذا الحذاء!... أي بذاءة هذه! أستسمحكم عن استعمال هذه العبارة...

والأنكى أنــه مصنوع من جلد لا قيمــة له... كلما نويــت الخروج بــه، ينبغي أن أرشــه حتى أتجنب الأوساخ، التي يمكنها أن تلطخه... (وهي تتأمل في أفنير). هذا الجمع بين ربطة العنق والقميص شيء يســتحق التأمل!... صرت يا مسكين متعودا على ذوق مــا وراء المحيط الأطلنطــي، ولم تعد لديك القدرة على الانفكاك من هذا!

أفنير : وما رأي صديقنا ك...؟

إيما : كورت.

أفنير : صديقنا كورت؟

بلينسك : ما هي الـ... ما هي المشكلة؟

أفنير : إذا كان مــن توضيح، فالمشــكلة هي أني جمعت بين هذا القميص (يقترب من بلينسك، ويدعوه إلى ملامسة ثوبه)... المنســوج من القطن، وله أزرار ملفوفة تحت الثوب... وبين ربطة العنق هذه، التي هي من الطراز الكلاسيكي الكبير!

بلينسك : الواقع أني لست متخصصا كبيرا في فن اللباس، لكني أســتطيع ـ دون أي قصد في أن أغيظك ـ أن أقول إنه ذوق...

أريان : بذيء وجذاب.

أفنير : أحتفظ بـ «جذاب».

إيما : لكن «بـــذيء» هي اللفظ الصحيـــح. طيب، كفى هذرا عن هذا القميص... أين أستاذ التاريخ؟

أريان : صحيح. أين بالينت؟

(تدخل الفندق للبحث عنه).

سوزان : ماذا لو تناولنا العشاء معا؟!

إيما : نعم، هيا لنتعشـــى سوية! (تقبض من جديد على ذراع بلينســـك، وتقوده إلى الداخـــل). أتأبط ذراع كورت بيميني!

أفنير (وهو يحدث سوزان على انفراد): أصارت مجنونة؟

(سوزان تضحك).

(أفنير ينتظرها بالباب).

(ودون أن تسرع، تعدل من وضع الوشاح فوق كتفيها، ثم تتجه صوب الباب. تتوقف. تسود بينهما لحظة جمود مشترك، لتمر بعدها أمامه، فيتبعها).

(بعد وقت، يظهـــر بالينت. يجتاز الفيراندا، ويتكئ على الدرابزين).

(تصل أريان، وهي تلهث).

أريان : أين كنت؟

بالينت : إنك ترين بنفسك جيدا.

أريان : هل اشتغلت بشكل جيد؟

بالينت : لا.

أريان : لا تعاملني بسوء نية.

بالينت : أنا لا أعاملك بسوء نية، أبدا.

أريان : بلى. من يسمعك تتحدث إليّ، سيعتبرني مسؤولة عما يحصل لك.

بالينت : أنت غريبة.

(بالينت يلتفت صوبها، فيتفحصها بكيفية فيها تركيز وانتباه).

بالينت : صرت مشرقة تسطعين!

أريان : أترى ذلك، حقا؟

بالينت : نعم.

أريان : هل تتناول العشاء بصحبتنا؟ سنتناول طعام العشاء معا، هذا المساء. وقد دعت إيما، وهي في ذروة ابتهاجها وانشراحها، السيد كورت بلينسك ليتعشى معنا!

بالينت : وهل قبل منها الدعوة؟

أريان (مندهشة) : يا له من سؤال!

(بالينت يحرك رأسه، وكأنما أسقط من يده بهذا السؤال. فترة صمت).

بالينت : انصرفي، انصرفي. سألتحق بكم.

تطيعه. وما أن تصل إلى الباب، حتى تعود أدراجها من حيث أتت.

أريان : كنْ بشوشا بين الحين والحين، ولو بنسبة قليلة. أؤكد لك بأنا لا يمكن أن نتحمل هذه الكآبة الدائمة، التي تصدر عنها.

بالينت (بعنف) : هيا، حلي عني، يا امرأة!

أريان (بعد لحظة ارتعاب): بالينت! ماذا هناك؟!

بالينت : لا شيء... لا شيء... أنت مسرورة للغاية هذا المساء يا أريان، لكنك لا ترين شيئا...

(صمت).

أريان (وهي تقترب أكثر منه): قل لي ماذا ينبغي أن أرى؟...

بالينت : (بلطف شديد): ليس الآن. أنت لا تستطيعين حقا، رؤية أي شيء الآن.

(وقت).

(تتجه صوب الباب).

أريان : هل ستلحق بنا؟

(يجيب بحركة من رأسه بنعم. تنصرف).

(بعد ذلك، ينصرف هو كذلك بدوره. من بعيد، يُسمَع صوت العاصفة الذي يصم الآذان).

المشهد السادس

(ليل).

أفنير (في كوة باب الفيراندا): طاب مساؤكم...

(في الداخل، تُسمَع كلمات يقطعها الصمت، بعد ذلك).

(أفنير يجتاز الفيراندا، وينزل إلى الحديقة).

(يتوقف فجأة، ويسرح متأملا في الأفق الملفع بالسواد).

(بعد ذلك بقليل، تظهر أريان).

(وقت).

أفنير (دون النظر باتجاهها): هل تستنشقين هذه الرائحة؟ كان لنا بيت في رومانيا بناحية الجبل، وكان والدي يُجبرنا بعد كل عاصفة، على أن نخرج لنستنشق الهواء، الذي ينتشر بعد أن تكون العاصفة هدأت. (يلتفت صوبها). إنك مشيّتِ بما يكفي... مشيت كثيرا. (صمت). حينما كنت طفلا، سافرت في رحلة بمفردي، دون أن يرافقني أي فرد من العائلة. رأيت الكثير من أطراف العالم، على مجموعة من المراحل. وكانت كل مرحلة من مراحل رحلتي،

تعطينـــي الرغبة فـــي التوغل أكثـــر فأكثر، ضمن عوالـــم المجهول... هذا هو الســـبب الذي دفعني إلـــى عشـــق الجبـــل، لأن العين، وهي تســـرح بين أرجائه، تحلم... ولأن جميع الأشياء فيه يمكنها أن تُقارن مع خط انقســـام المياه، والغابات الفسيحة، والســـهول، والصحـــاري، والبحيـــرات، وصحراء الهكار، وهيندوكوش، والأضواء الباردة في السماء، والهاويات، والسهول المترامية على أطراف الطرق الصينية القديمة، والآفاق المتجمدة، والشمس،،، إلـــخ... فكيف يمكـــن للمرء بعد هـــذا، أن يكتفي بالسكن في منطقة واحدة وحسب؟...

أنا مســـرور لكونك مشـــيت برفقتي، هنـــاك. إننا هنـــاك يا أريان، لا نرى غير الســـماء. لا نرى غير الســـماء التي تغطي بنورها في كل وقت، على كافة الأشياء... السماء التي تتجرد، وتترفع عنا، وتغيب مثـــل بلد بعيـــد... ليس هنـــاك أي تعطل في ذلك المدى المرتفع. ليس هناك أيضا أي تورط أو هوة. والمـــرء هناك لا يميـــل، أو يترنح. المرء لا يتهاوى أو يســـقط، مثلمـــا تتخيـــل والدتك، بـــل إنه يجد نفســـه على العكس من كل تلك التوقعات، في قلب العالـــم، وهو يحلم!... فالمرء هنـــاك ينتهي دائما

بالحلم وهو في حالة حزن، أو ضمن وضعية حنين أحيانا... نحن نحلم هناك بالمدن التي لن نراها... وبجميع الأسماء الرائعة لتلك المدن المجهولة، من قبيل بابل، وسمرقند، وإباري، وبيرغام... وبتلك الرحلات التي لا تعد ولا تحصى، والرياح التي تحمل معها ما تحمل...

(صمت).

أريان : متى سترحل؟

أفنير : مساء غد.

(صمت).

أريان : وماذا سأصنع من دونك؟

أفنير : عدة أشياء... ستذهبين مثلا... ستذهبين إلى كراتز، لتأكلي سمك التروتة. أنت لم تقومي بعد، بهذا. سأوصي بالينت ليرافقك.

أريان : رافقني أنت.

أفنير : أنا يا صغيرتي، لا أستطيع. لا أستطيع.

أريان : وماذا عن مقطوعة الستابا ماتر الموسيقية؟

أفنير : سأستمع إليها في ذهني.

أريان : يبدو أنك تتشوق كثيرا للرحيل...

أفنير : أعلم ذلك. أجل... (وقت). لكنك ســترحلين أنت كذلك. وسيرافقك بالينت.

أريان : توقفك بربك عن الكلام عن بالينت.

أفنير : أستســمحك... لكن هذا الشاب لعلمك، شغوف أيضا بالموسيقى...

أريان : هذا سيان عندي.

أفنير : جردنــا معا في ظهيرة يوم أمس، لائحة بأســماء الموســيقيين العظــام، فعــدد لي هــو الكثير من الأســماء... لكن، أبإمكانك أن تحزري الاسم الذي أورده بعد موزارت، مباشرة؟

(أريان لا تجيب).

(يمضي وقت وجيز).

أفنير : وضع بعده شــوبرت!... ليــس بيتهوفن، ولا باخ! شوبرت... مع أني لا أستطيع أن أتفق معه، إلا أني أعتبر بأن هذا الاختيار بمثابة مؤشــر، إنه يشــي بامتلاكه لحساسية موســيقية حقيقية... إلى أين تذهبين؟

أريان : لأنام.

أفنير : دون أن تحييني تحية المساء؟!

أريان : طاب مساؤك....

أفنير : أشعرتِ بالملل؟

أريان : أشعرُ بالملل لأنك تتعمد ذلك.

أفنير : ألا تريدين معرفة مَن وضعته أنا في المرتبة الثانية؟

(تبتسم، وتمكث واقفة في المكان الذي توقفت عنده).

أفنير : إذن، أنا لعلمك لم أضع أي أحد في المرتبة الثانية، لسبب وجيه هو أني رشحت اسمين اثنين لاحتلال المرتبة الأولى!... أتودين معرفة من الذي يحتل المركز الثالث، عندي؟... اذهبي، إن شئت، لتنامي.

(صمت).

أريان : هل ترغب حقا في السفر؟

أفنير : لا.

أريان : إذن، ابق.

أفنير : لا تدبر الحياة بهذه الكيفية.

أريان : وكيف تدبر الحياة؟

أفنير : بــدل أن تتفوهي بمثل هــذه البلاهات، عليك أن تتنفسي هذا الهواء... فرائحة الشتاء تستبد بهواء هذه الليلة...

(وقت).

أريان : أفنير؟

أفنير : نعم؟!

أريان : مــن بيــن الأمــور التــي لا تجعلــك ترغب في الرحيل...

أفنير : نعم؟!

أريان : هــل أوجــد أنا من بين الأشــياء، التي تجعلك لا ترغب في الرحيل؟

(يتفحصها).

(لحظة صمت).

أفنير : بكل تأكيد... هل لاحظت بأن الســيد كليمس لم ينبس ولو بكلمة واحدة، وهو على مائدة العشاء هذه الليلة... لم يفتح فمه أبدا. المسكين، حضور إيما صعقه! هو الذي ســيصطحبني غدا، إلى جنيف. بسيارته الفولفو.

أريان : هل أنت من طلب منه ذلك؟

أفنير : لا. هو من اقترح عليّ ذلك. قبل الذهاب إلى فراش النوم، اقترح عليّ ذلك. قلت له: «وهل أنت في طريقك إلى جنيف؟»، فرد قائلا: «لا، إنما تطوعت لأصطحبك فقط»... (متجهم الوجه من عدم الفهم). يروق له أن يرافقني!

(أريان تتقدم نحوه بخطوات).

(حين تتوقف، تدير له ظهرها).

أريان : أتزور باريس بين الحين والحين؟

أفنير : نادرا ما أفعل.

أريان : أريد أن أستبقيك... فماذا أفعل لأستبقيك؟

أفنير : لا شيء.

أريان : بل عليّ أن أستبقيك.

أفنير : إنك تفرطين في الكلام، يا أريان.

(تتردد، فتدور حول نفسها، ثم تتصرف بعدها).

أفنير : أريان!... لن نر بعضنا غدا، لأني سأذهب إلى جنيف الساعة الثامنة صباحا.

(تتوقف).

(ينظـر إليهـا للحظة، ثـم يدير رأسـه نحو جهة أخرى).

(ببطء تعود).

(تتوقف).

(صمت).

أريان : ولماذا قلت لي إنك سترحل غدا مساء؟

أفنير : لأن الطائرة لن تقلع إلا في المسـاء. لكن علي أن أكون صباح الغد بجنيف، لقضاء بعض الأمور.

(صمت).

(أريان تبدو وكأنها وقعت في حيرة).

أريان : وسيرافقك بلينسك على الساعة الثامنة؟

أفنير : نعم. أنت تعلميـن بأن هذا النوع من الناس عادة ما يصحو من نومه منذ السادسة صباحا.

أريان : أنا أكرهه.

أفنير : ولماذا؟

أريان : وما شأنه بسفرك؟

أفنير : لا شأن له بالسفر. إنما ذلك لطف منه...

أريان : إذن، سـتقضي معه سـاعتين في سيارة الفولفو البشـعة، وأنتمـا تتحدثان... يبدو بأنك مسـرور

لانخراطــك في هذه الرحلة، بحيث لا تظهر عليك أي علامة من علامات الحسرة...

أفنير : القطار سيأخذني الساعة السابعة.

أريان : أنت لا تفهم أي شـــيء... من سترتين إلى جنيف، ستنتســـب إلى كورت بلينســـك لمدة ساعتين، لأنه نجح في جعلك خاصة به لوحده، ولمدة ســـاعتين! إنك ســـتترك نفســـك بطواعية لهذا السويسري، يهدهدك في نشـــوة وانخطاف، فـــي اللحظة التي ســـأكون فيها أنا منفية ومغتربة عن نفســـي وسط هذه المفازة...

أفنير : يهدهدني؟! إنك تبالغين...

أريان : لا تتصنـــع عدم الفهم... أؤكد لك بأن الأمر معك مرهق...

أفنير : لكن ما الذي تريدين مني أن أقول؟

أريان : مشـــيت اليوم وراءك على الجبـــل، الذي تقع في غرامه يا أفنير، ولا شـــيء آخـــر وقع... لم يقع أي شيء آخر عدا المشي وراءك، واقتفاء أثرك، بينما أنت تمشـــي، وتمشـــي، و... من ذا الـــذي بإمكانه أن يفهـــم هـــذا؟... ومع ذلك، كنـــت حاضرا معي، وبمفردك، و...

(صمت).

أفنير : أنت تتوهمين شخصا آخر غيري، يا أريان.

أريان : حتى ولو تخيلت شخصا آخر، حتى ولو مشيت وراء شخص آخر غيرك، فإن غيابك هذا المساء هو ما يهم، إنه هذه المناظر التي ستكون قد رحلت عنها وفارقتها، إنه الحزن الذي ينتظرني، ويستبد منذ هذا المساء بكل ما تصادفه عيني، وتتوقف عليه نظراتي... (وقت). هل يمكن لي... هل يمكن لي أن أرافقك إلى غرفتك، هذه الليلة؟

أفنير : لا. لا، يا أريان.

(بدأ يرسم حركة بيده، أشبه ما تكون بما يتم التعامل به مع الأطفال، فأبعدته عنها بعنف).

أفنير : إنك تؤلمينني.

أريان : ليس بما يكفي، ويشبع غليلي.

أفنير : إذن، أشبعي غليلك.

(تصفعه بقوة. يعيد لها الصاع صاعين. تترنح بجذعها، ثم تهوي على الأرض).

أريان : لا ينبغي لك أن تتخذ هيئة من يعاني أيها المعتوه، وإنما عليك على الأقل أن تحتفظ بمظهرك العادي.

أفنير : أنا لا أبحث عن الطريقة التي تجعلك تعجبين بي.

أريان (بهدوء) : لا ... ومع ذلك، نجحت في هذا كثيرا، إلى حد أن هذه الكلمات بالذات، لم تجرحني.

(وقت).

أفنير : إن رغباتي ليست بتلك التي يمكن لي أن أفرغها، يـــا أريـــان... لقد وضعت قدمي فـــوق أرض، أكره فصولها مسبقا، ومع هذا فهي تبقى مأمولة. نعم، أنت مشـــيت ورائي بالفعل، في جبل لينزسي، غير أن ما تماثل لنظراتك مني هو ظهري، وحســـب... إن السيد ميلســـتين الماثل الآن أمامك يصبو إلى الهدوء، إلى مقدار السعادة الضئيل المترع بالهدوء، حتى يرتـــاح. إنه بالأحـــرى نوع مزعـــج ومضجر من البشـــر... أنا لا أســـتطيع أن أكون ما تخيلتيه، يا أريان... لا أســـتطيع... وعليـــك فهم هذا... لا أستطيع الســـعي نحو تهدئة نفسي، وفي الآن ذاته إلى مبادلتك الحب... أنا لا أستطيع...

(صمت).

(في اللحظة التي يشـــملهما ظلام الليل بســـواده، علينا أن نتخيل حركة صدرت منها في اتجاهه).

المشهد السابع

(في الصباح الباكر).

(الأجواء رمادية. كئيبة).

يظهر كورت بلينسك ممسكا بصفيحة زيت، ومرتديا معطفـا وحذاء ما بعد التزلـج، وهو قادم من جهة الطريق ليجتاز الحديقة، ثم يدخل إلى الفندق.

إيما (يسمع صوتها من الخلف فقط): أفنير؟... أفنير؟...

(تظهـر فجـأة، وقد خرجـت من بـاب الفيراندا بمنامتها، وهي تمسك بعلبتين في يدها).

(متكئة في شـكل انحناءة على درابزين الفيراندا، تتفحص جنبات الحديقة بعينيها. كورت بلينسـك يظهر).

إيما : أفنير؟... أوه، أنت... يا سـيد بلينسك... عفوا. أقصد: يا كورت... هل نزل أخي؟

بلينسك : أنـا في انتظـاره يا مـدام ميلسـتاين... هيأت السيارة، وهي على أتم الاستعداد للرحلة.

إيما : اشـتريت مدّرعَتين هدية لولديّه، ونسيت بشكل تام أن أعطيهما له. أي ذاكرة صارت لي؟! أصبحت

وكأني مجنونــة، أليس كذلك؟ لم آخذ حتى الوقت الكافي، لأصفف شعري... عليك أن تتوخى الحذر، الحذر الكافي في قيادة السيارة، يا صغيري كورت. إنه سيأمرك كي ترفع من درجة السرعة، لكن عليك ألا تنصت إليه. فليس هناك ما هو أخطر من هذه الطرق الجبلية المبللة!

بلينسك : إن عمر سيارتي الفولفو أربع عشرة سنة يا سيدة ميلســتين، ومع ذلك فهي تخلو من أدنى خدشــة، مهمــا كانت صغيــرة. يمكنك فحصهــا بالمكبرة، لتتأكــدي من ذلك. إن هيكلها أجــد من أي هيكل جديد!

إيما : هــذا أفضل... لكن، لاحظ معي هذا الجو. لماذا يعاقبنا بهذا اللون الرمادي؟

(أفنيــر يصل. نفس البذلة التــي كان يرتديها ليلة البارحة، إضافــة إلى معطف فوقها. يحمل حقيبة وكيسا وضعت فيه أحذيته، وحافظة بها وثائق).

إيما : لا تقــل لي بأنك لا تجد مــن بين الأمتعة، محلا لتضيف فيه ما سأقدمه لك. فقد اقتنيت مِدّرعتين من محــل هانســلمان... (ارتمت علــى الحقيبة، وشــرعت تفتحها)... ســتعطي المدرعــة البنية

لبابلـــو، والخضراء لســـانييل... إنهمـــا لعلمك من النوع الترولينى، وهذا سيمتعهما...

(بإذعان مفعم بالسهو، ظل أفنير ينظر إليها، وهي تحاول ترتيب العلبتين في الحقيبة).

إيمـا (مغلقة علـى جميع محتويات الحقيبـة بصعوبـة): ما اللون المخصص منهمـــا لبابلو؟... أعدّ ما قلته... البني لبابلو! إنك لا تصغي إلى ما أقوله، وكل ما أخشـــاه أن تقلب الهديتين... سأضع حرف «ب» على علبة بابلو...

(تريد فتح الحقيبة من جديد، فيســـتوقفها أفنير، ممسكا بذراعها).

أفنير : توقفي... لا تســـتفزي أعصابـــك. لا أحد منهما ســـيضع هاتين الســـريدتين على ظهـــره، بالمرة. إنـــك تصرين كل عام علـــى أن تقدمي لهما هدايا، لا يحبونهـــا بالكل، لأنهما لا يرغبان ســـوى في ما يختارانه بنفسيهما.

إيما : برافـــو! ها أنت تتدبر الأمر جيدا، لتكون شـــنيعا معي، قبل رحيلك بخمس دقائق!

أفنير : أنا لست شنيعا، يا إيما... إنما أنقل إليك الواقع كما هو.

(ينزل إلى الحديقة).

(تظهــر ســوزان، وهي ترتــدي ســروالا وبلوفرا صوفيا).

سوزان : ما أبرد هذا الجو!

إيما : إنني أرتجف من شدة البرد.

(الســيد بلينســك يمســك، وهو لاهث، بالحقيبة وكيس الأحذية، وينزل بكل ذلك إلى الحديقة).

إيما : ماذا يفعل هذا الرجل؟!

سوزان : إيه! السيد بلينسك... لماذا لا توقف السيارة في الجهة الأخرى القريبة؟...

بلينسك : لا عليــك... لا عليــك... أنــا أســتطيع على كل حال تــرك محركها يشــتغل، دون أن ألوث مدخل الفندق...

(يختفي من جهة الطريق).

إيما (إلى أفنير) : بمســتطاعك في جميــع الأحوال أن تســاعده. فالرجل ليس بخادم عندك!

أفنير : إنه يحب القيام بهذه الأشــياء بمفرده... يحب أن يحمل الأثقال...

(إيما تحرك رأسها).

(بالينت يصل).

بالينت : صباح الخير.

سوزان وإيما : صباح الخير.

(فـــي الحديقة، يقف أفنير مديـــرا ظهره للجميع، وقد انشغل بتأمل منظر الجبال).

(بعـــد وقت، تنزل ســـوزان الدرجـــات. تتبعها إيما وبالينت).

(يستدير نحوهم أفنير).

أفنير : أنا على ســـفر. (إلى بالينت)... سأنتظر منك أن تبعث لي بنسخة من العصر الحديدي.

(بالينت يبتسم. يتصافحان).

(أفنير يقترب من ســـوزان. يمسك يدها، ويأخذها صوب شفتيه. يمضي الوداع بغير كلام).

(بعدها، يتجه نحو إيما، يقبل يدها).

أفنير (وهو يقبلها) : الخضراء لبابلو...

إيما : لا!

(أفنير يضحك).

(يمســك حقيبة وثائقــه الصغيــرة، ويتجه صوب بلينسك. يعود هذا للظهور، وقد تخلص من الحقيبة وكيس الأحذية).

أفنير : هيا بنا.

بلينسك (للآخرين) : إلى الغد!

بالينت وإيما : إلى الغد.

(أفنير يحيي الجميع بإشــارة صغيرة من يده، قبل أن يغيب).

(فــي اللحظــة الأخيــرة، تظهــر أريــان تحــت الفيراندا).

(نوع من الفتور والخمول يتلو رحيل أفنير).

(بعد لحظات).

إيما : ماذا ســنصنع؟!... (صمت). ســأصفف شعري على الأقل، وأرتدي ملابسي... (وهي في طريقها): صباح الخير، أريان!

(تدخل ردهة الفندق).

سوزان : أنت هنا؟

أريان : نعم، يا ماما.

سوزان : ولم تودعيه؟

أريان : بلى.

(وقت وجيز).

سوزان : هذا الطقس لا يشجع على شيء.

أريان : نعم، هو كذلك.

سوزان : هل أنت بخير، يا عزيزتي؟

أريان : نعم.

سوزان : هــذا الرحيــل جعلنــي أشــعر بالحــزن، وهذا مــن البلاهــة!... لحظات الرحيــل تجعلني دائما حزينــة... (صمت). أتريدين... أتريدين أن نذهب سوية لنتســوق بالمدينة؟... سأشتري لك سروالا، إن رغبت في ذلك.

أريان : موافقة.

سوزان : المحلات ســتفتح بعد ســاعة... هل نذهب بعد ساعة من الآن؟

أريان : موافقة، يا ماما.

(وقت).

سوزان : طيب... نلتقي بعد قليل، يا ملاكي الصغير...

(سوزان تعود إلى الفندق، بخطى بطيئة).

(يتلو ذلك صمت طويل).

بالينت : ألا تشعرين بالبرد؟

أريان : بلى.

بالينت : الجبل اليوم مثلما تخيلته تماما.

أريان : تستطيع اليوم إذن، أن تقول لي ما لم أستطع رؤيته البارحة.

بالينت : نعم، أستطيع.

(صمت).

أريان : قل، إذن.

بالينت : منذ أن التقيت بك يا أريان، أي منذ ستة أيام للآن، وأنا أقضي أوقاتي في البحث عنك، بحيث إنك لا تكونين موجودة. لا أعثر عليك في أي مكان. (يبتسم. وقت). أعلم بأنه ليس من الممكن التعامل بجدية مع شخص عبوس ومقطب، بشكل لا يقبل التغير... وأنا أحس بحقيقة ما ينبغي أن أكون عليه، أي بتلك الشخصية غير المنفرة، التي تحفز على جلب الإعجاب. لعلمك، أنا أعرف حق المعرفة هذه الشخصية، وهي صورة دائما ما ترافقني، وتحل معي في كل مكان، ومع هذا لا

أصير كذلك، أبدا.

بالتأكيد، تلك الشـخصية لا تتعاطـى إلى تأليف كتـاب عن العصر الحديدي الأول. هي تدرك بأنا، إذا أردنا كتابة شـيء ما، فلا ينبغـي لنا أن نؤلف كتابا عن العصر الحديدي الأول؛ لكنها حين تراني، وأنا جامد في مكاني، وعلى وجهي ترتسـم ملامح التجهم والجدية، وقد انحنيت على الطاولة أكتب، تصير هي ترقص برشـاقة تشـبه رشـاقة الريح، فتـدور حـول الأوراق بصخب... (صمـت). لقد أذعنت لهذا النقص. أذعنت له. كما أذعنت للحزن أيضا. فصرت أرى الحـزن في كل مكان بين هذه الجبال. أشعر وكأني برفقته.

الريح حزينة، وألوان الأزهار حزينة، ورائحة الأعواد حزينة...

أمشـي على الطرقات فـي كل وقت، فلا يقول لي أحـد إنـي مثير للملـل، وقبيح الهيئة... أمشـي، وأستنشـق الهواء، وأمشـي، فأرى مجدي الخاص وفرحي وكآبتـي وحزني يتبعوننـي، وهم وديعون، يحمون قلبي ويغلفونه كضمادات...

لقد تعلمت أن أكن لك الحب، خلال تلك النزهات...

إن المرء ليـزور عوالم كثيرة، لم يكن قد رآها، ولا

حتى حــل بها من قبل، وهو بعيــد عنها!... تركت الحرية لهذه المشــاعر كي تقتحمني بهدوء، لأني تخيلتك تستطيعين الاستجابة لها، والتقاط طبيعة الشخصية الرشــيقة والطلقة والراقصة، من وراء القناع الصارم، الذي يغلف شخصي الحقيقي...

اليوم هو يوم السبت... (وقت). حين كنت صغيرا، كنت أحب أيام الســبت... كنت أعرف بأني سألهو طــوال ظهيرة يوم الســبت فــي غرفتــي، بلعبي اليابانية والأمريكية... وكانت لي ترسانة كاملة من الشاحنات الصغيرة...

لم يقو على مواصلة الحديث.

(صمت).

أريان : كانــت لــك ترســانة كاملــة مــن الشــاحنات الصغيرة؟..

بالينت : نعم.

أريان : قص عليّ.

بالينت : لــم أعد أعرف ماذا أريــد أن أقول... (صمت). قلت...

أريان : نعم؟

بالينت : لعلمك، كنت على ما أظن شــخصا متحمسا بما

فيه الكفاية، وأنا في الثامنة من عمري...

ينكسر الحكي في فمه، فتند عنها حركة باتجاهه، لكنه يدفعها عنه.

بالينت : أشعر في أعماقي وكأني لا أزال طفلا... لم أعد أعرف كيف أحدد سني بالضبط... لقد اختفيت عن نفسي وعن العالم في يوم ما، فما عدت أعرف أين اختفيت... ومن ذلك اليوم، بقي عمري عمر طفل صغير، لا يتغير...

(يخطو خطى غير واثقة داخل الحديقة، فيتوقف في مواجهة الجبال).

(تهب الريح، لكن إفصاحة الصباح تبقى ضعيفة).

أريان (بعد صمت، تقترب منه): هل سمعت هبوب الريح... أود لو أني أصير عسلوجا(*)، فتقتلعه الريح من الأرض... هناك إنسان... إنسان واحد أنتظر وصوله، وعليه أن يأتي، كي يرويني... إنسان أنتظر أن يأتي، كي يجلس بالقرب مني، بعد أن يكون قد اجتاز الكثير من المسافات، ليلتحق بي... (تصدر عنها حركة ترسم المسافات والحواجز بطريقة ميمية)... وإلى غاية اليوم، لم ألتق به... أنت لست ذلك الإنسان، يا بالينت... لست أقل من الآخرين، في كونك لست ذلك الإنسان... في بعض الأحيان، يهيأ لي بأني

(*) العسلوج: ما لان من قضبان الشجر (المحرر).

صــرت قادرة على التعرف عليه: إنســان مختلف، منهك، ويحتفظ مع ذلك على ما يشتبه بأنه سمات دالــة عن هيئتــه... بقية غــزوات وفتوحات... لا يخشى أي شيء، ويتعاطى بألم لجميع المتع، التي تغطي علــى وجه الزمن بقناع... مشــيت البارحة مع أفنيــر... كان أفنير يســير أمامي... يمشـــي ويمشـــي، وأنا لا أصنع أي شـــيء آخر، عدا السير وراءه. بالجهــة الأخرى، والبرد شــديد، فوضعت وشاحي وسترتي الرياضية المُقلنسة، فقال لي هو: «تســربلي جيدا». كان يضع على رأسه قبعة تافهة، اشــتراها من متجر هانســلمان، فزررتُ قلنســوة الكبوشــيين، وكنت أسخر من المظهر الذي صرت أبدو عليه، من غير أن أبالي كثيرا بذلك... أن أكون هناك، هناك فقط مع ذلك الرجل، هذا هو ما كنت أريده، ولم أرغب في شــيء آخر عداه... (صمت). وحين وصلنا جبل لينزســي، أقنع أحد المزارعين بمرافقتنا إلى ســتراتين بســيارته... في السيارة، كانا يتكلمان معا. وعند الوصول، تصافحا، دون أن يفهــم كل منهما ولو كلمة واحدة مما قاله الآخر... أفنيــر اعتبر ذلك المزارع رجلا رائعا، وهذا اعتبر أفنير رجلا رائعا كذلك... سأنصرف الآن بسرعة إلى غرفتي، وسأتزين على شرف هذه الليلة، التي

هي الليلة الأخيرة التي ستأذن بالنهاية...

(صمت).

بالينت (دون أن يستدير): وبعد ذلك؟... أنتِ لم تقولي ماذا حدث بعد ذلك...

أريان: بعد ذلك، شــعرت بالفرح، وصرت مثلما رأيتني، مشــعة ومتألقة مــن فــرط الفرحــة... وبعدها تناولنا طعام العشــاء، ثم تبخــرت فرحتي... عمل هو علــى أن تتبخر... وبعد ذلــك، اتصلت به في غرفته، فأجاب: «نعــم؟»، قلت: «هل هذا أفنير؟»، رد علي: «تعالي»... قلت له: «ســألتحق بك»... ثم حصل أن اجتزت الرواق، والســلم، ثم وقفت أمام باب غرفته... بعدها، انصرفت لأقتل رغبة نفسي بنفسي، ما دام هذا الرجل لا يعلم عنها أي شيء... وما دام أنه سيكون غدا في بوينس أيريس...

(صمت).

بالينت: يبدو لي... (يســتدير). يبدو لي أن علي الذهاب لأتمشى قليلا... أشكرك، يا أريان.

ينصرف.

(بعد وقت وجيز، تعود أريان إلى الفندق).

(صمت).

المشهد الثامن

(نهاية فترة الظهيرة).

(ما زال الجو رماديا شديد الدكِنة، دائما).

(إيما تجلس وحيدة تحت الفيراندا، وقد بدت بهيئة منهكة شيئا ما).

(سوزان تصل، بعد قليل من الوقت).

سوزان : ما الذي تعملينه هنا؟ كنت أبحث عنك.

إيما : يحين على المرء حين من الدهر، يا عزيزتي سوزان، يغدو معه منظر الجبل أدعى للكراهية عنده، فيهوي على إثر ذلك ثقل العمر على القلب، وكأنه حمولة هم واطئة... لو كنت امرأة تمارس الرياضة، لحفرت قبري بنشاط وحماس.

سوزان : وفي انتظار ذلك، ماذا لو جلبّتُ لنا شرابا، حتى نسترد به بعض نشاطنا؟!... هذا في حال عدم رغبتك في العودة إلى غرفتك، طبعا.

إيما : لا، لا. لقد قضيت الظهيرة كلها بالداخل، حتى إن نار المدفئة أرهقتني.

سوزان : إذن، أتوافقين على الويلياامين؟

إيما : موافقة.

(تدخل ســوزان إلى الفندق، فتعــود بعد لحظات محملة بطبق، وضعته فوق المائدة).

إيما : أجئت بكعك محشو بالجوز؟!... لو كنت تعطفين علي، لأبعدت ذلك الجوز عني... أتعلمين أن وزني ازداد بمقدار أربعة كيلوغرامات، خلال المدة التي تواجدت هنا؟

ســوزان (وهي تملأ كأســين صغيرتين بشــراب الكمثرى): ستشرعين غــدا أو بعده في تطبيق نظــام الحمية. أما اليوم، فليس يوم حمية!

إيما : ليس هناك يوم خــاص بالحمية. على كل، الأمر ســيان عندي. معك حــق. لنأكل ما طــاب لنا!... (تبتلع مضغــة من الكعك)... لنأكل ولنشــرب من نعمــه!... (تكــرع جرعة من الشــراب)... كم كان علــي أن أحترس! من يراقبنــي؟ من يكترث بمثلي أنا التي تشــبه الناقة؟!... (تبتلع جزءا من الكعكة، وتأخذ جزءا آخر)... على الأقل، كلي أنتِ الأخرى معــي. إن تلك الصبية التي تدعى موللر تتقن طهو الحلويات!

(سوزان تبتسم، وتكرع جرعة من كأسها).

(وقت).

سوزان : مــن المحتمــل أن يكــون فـــي الوقـــت الحالي، بالطائرة.

إيما : لا تفكــري فـــي هـــذ الأمــر، فهو شـــأن قابض للنفس!

سوزان : أجل، قابض للنفس...

إيما : آه، أنـــت كذلك؟... إني لأتســـاءل إن كان ســـبب اكتئابي هو رحيل أفنير... (صمت). في الماضي، كان والدي يكتري شـــاليها في هـــذه الناحية، كي نقضي فيه إجازتنا. وفي المســـاء، كنا قبل موعد طعام العشاء، نســـتلقي على الكراسي الطويلة في سطحية الشاليه، ونشرع في الاستماع إلى موسيقى برامس...

لا أدري ما الذي يشده إلى بوينس أيريس. إن ذلك للغز... أأنت مكتئبة كذلك؟

سوزان : أجل.

إيما : بسبب أفنير؟

سوزان : لا... بل نعم... على كل، لست أدري بالتحديد...

إيما : كنت سأســـعد كثيرا، لو أنه ارتبط بامرأة مثلك. هذا مـــا ينبغي له أن يفعل. إنه غير ســـعيد. رغم

الفــرح الذي يظهره، هو إنســان غير ســعيد. إن شخصا مثلك سيجعله يشعر بالسعادة.

سـوزان (بصعوبـة، وبعد وقت): ربما كانــت له امرأة أخرى في بوينس أيريس.

إيما: ربمــا. نعم، ربما... (تأخــذ قطعة كعك أخرى). حول مــاذا كان بإمكان حديثهما أن يدور، وهو في الســيارة؟... إن صاحبنا بلينسك لذي وجه متجهم دائما، وكأنه وجه حفار قبور!

سوزان: أتمنى ألا نعيد ارتكاب ما سبق لنا أن ارتكبناه في حقه، بفعل نميمتنا!

إيما: أجل، أتمنى ألا نعيد ذلك، أنا أيضا... حتى إن لم يكن هنا، في هذه اللحظة...

(تضحكان، وقد خجلتا من ضحكهما قليلا).

سـوزان (وهـي تتنـاول كأسـا أخـرى مـن شـراب الكمثـرى): أتريدين المزيد؟

إيما: ولم لا، اسكبي من فضلك... آه، سوزان! للأسف أنــك لا تقطنين بباريس! لو كنت تســكنين هناك، لاستطعنا أن نقوم سوية بمجموعة من الأمور، منها الذهاب إلى... المتاحف، والســينما، و... واللعب

بالبريــدج... أنت تعرفين أننا نكــون فريقا مريعا نحن الاثنتين، في لعبة البريدج...

سوزان : هذا صحيح...

إيما : إن الحيــاة غير منصفــة، وتجعلنا نمضي بجوار الكثير من الأشياء كيفما اتفق، دون أن نفتح أعيننا عليها، فتضيع منا الفــرص. نحن نعيش ببقايا ما أضعناه، بينمــا الزمن يجري، وكأنه ســيل يندفع نحو منحدر صقيل... (تكرع من كأسها). أفنير هو الرجل الوحيد في حياتي.

(صمت).

(تصل أريان).

أريان : لدي موعد مع القطار، في العاشــرة من مســاء الغد.

إيما : إذا فهمت جيدا، فالجميع يرحل عنا!

أريان : بالينــت اختفى. ذهب هذا الصبــاح، ولم يره أي أحد بعد ذلك.

سوزان : وأين ذهب؟

أريان : ليتنزه؟

إيما : ليتنزه في هذا الجو؟

أريان : وبحذاء المدينة!...

سوزان : ماذا يعني هذا؟

أريان : لست أدري. ذهب منتعلا حذاء المدينة. المرء لا يتنزه في الجبل بمثل ذلك الحذاء.

إيما : إذا شئت أن تعرفي رأيي، فالمرء ليس عليه أن يذهب للتنزه أبدا، في مثل هذا الجو. ثم ما الذي تريدون أن تبثوه، أنتم جميعا، حين تذرعون طرقات الجبل صباح مساء، وكأنكم ممسوسون؟!

أريان : أحب صوتك، يا إيما... إنه واضح وحي...

(تصب لنفسها كأسا من شراب الويليامين، وتشرب).

إيما : بل قولي بالأحرى إن صوتي حاد وصارم، من غير أن تتحرجي أبدا.

أريان : بالعكس. لديك صوت مشجع للغاية.

إيما : هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها الاحتفاء بي، بهذه الكيفية. هذا لطف منك... إنه ربما يتواجد الآن، بالمدينة.

أريان : لا أحد رآه بالمدينة، هذا الصباح.

إيما : إذن، يكـون ذهب إليها في فتـرة الظهيرة. يكون اسـتغل سـوء الأحوال الجوية، ليقـوم بجولة في المتاجـر، كي يقتني بعض مـا يريده فيها. هذا ما ينبغي عليّ فعله، أنا بالضبط.

أريان : المتاجر أغلقت أبوابها منذ ساعة الآن.

إيما : هذا لا يثير اسـتغرابي من ذلك الشاب. إنه النوع الذي يتبخر في الطبيعة.

أريان (محتدة) : أتعتقدين هذا؟

سوزان : لكن، أين يمكنه أن يكون في هذا الوقت؟

أريان : هذا نتيجة غلطتي.

سوزان : فسري لنا ما وقع، يا عزيزتي. فأنت منذ البداية، لا تكفين عن إقلاقنا من دون فائدة.

أريان : الأمر في كل الأحوال سـيان، عندي... إذا راق له أن يتبخر في الهواء، فليكن. إنه غبي.

سوزان : ما هذا الذي تقولين؟ أأنت مجنونة؟

أريان : أكره سـلوك التضحية بالنفس هذا. حين يعاني مثل هؤلاء من عذاب مـا، ينبغي على الأرض كلها أن تعاني معهم!

سوزان : أنت تفرطين في التحامل ضده، يا نونوشتي...

أريان : لا تنادي علي بنونوشـــتي يا ماما، فهذا يغيظني. أترين كيف أبدو وســـط هذا السروال؟ لا قوام، ولا يحزنون. لدي قـــد رائع، لكنه لا يُرى. كنت متأكدة من أن شـــراء هذا السروال، لن يكون سوى ضرب من الجنون.

إيما : ولماذا قلت إن ذلك ناجم عن غلطتك؟

أريان : الحاصـــل يا إيما، أن لا أحـــد يذهب لينوح حظه طوال النهار، وســـط ضباب كثيف، لأنه تدلهَ خطأً فقط بشخص... إن هذا ضرب من العبث، لأني لا أعرفه إلا منذ ســـتة أيام. ويمكن لي أن أقسم لكما بأني ما سعيت لأجعله خاصة، يعجب بي.

سوزان : أستحسن كثيرا عبارة «خاصة».

إيما : وكيف عرفت بأنه ينوح حظه، وسط الضباب؟

أريان : لأني متأكدة من ذلك. أحسه، وأحدس به.

سوزان : إن أحســـســـت به وحدســـته، فهذا يعنـــي أن ثمة أسبابا تدفع إلى الإقدام عليه.

أريان : ها هي ذي والدتي مســـتعدة دوما، لتحملني وزر الأمور وتبعاتها، التي لا يد لي فيها.

أليس في وسعك أن تعدلي من سلوكك معي بين الحين والحين، يا ماما؟ فأنا ابنتك. وعليك أن تتذكري هذا...

سوزان : صحيح. يحدث لي أن أشك في الأمر. أحسنت فعلا بتذكيري بهذا!

إيما (إلى أريان) : لاحظت أنه ينظر نحوك. إنه ينظر إليك ببراءة، وتقريبا بدهشة، ويمكن أن يقال إن المسكين مفتون بك، من غير أن يدرك... (صمت). ما العمل؟... لنشرب... على صحتك، يا عزيزتي سوزان... على ضحكنا المشترك...

سوزان : على ضحكنا...

(تشربان).

(وقت).

أريان : إنها لم تعد تمطر.

سوزان : هذا أفضل. وبالإمكان القول حتى إن الجو أخذ يصحو قليلا، هناك.

(أريان تنزل إلى الحديقة).

سوزان : ستصابين بنزلة برد!

إيما : الجو عذب ولطيف هذا المســاء. وأشـعر حتى بالحــرارة، بينما أنــا غالقة علــى روحي في هذه الجاكيتة.

(وقت).

أريان : تعاليا... تعاليا لتريا...

(إيما وسوزان تلتحقان بها. أريان تشير إلى الأعالي المضمخة بضوء الشفق).

(ثلاثتهن ينظرن باتجاه السماء).

(صمت).

(بباب الفيراندا يظهر بالينت. شعره مبتل ومجعد. يبدو عليه الحماس، بقدر كبير).

(حين يصل إلى درجات السلم، ترمقه إيما).

إيما : ها هو ذا! ها هو ذا، هنا!..

(صمت).

بالينت : هذا اســتقبال مثير للفضول... أهناك شيء غير عادي؟

إيما : قل لنا فقط، من أين أتيت؟

بالينت : من أين أتيت؟!... من ستراتين.

إيما : حقا؟!

بالينت : كنت وأنا أمر هذا الصباح من أمام الكنيسة بالمدينة، قد سمعت بعض الموسيقى... لم أكن أعلم بأنهم يتدربون على العزف في فترة الصباح، بالكنيسة... قبل ذلك، اكتريت دراجة هوائية... في محطة القطار الدراجات معروضة للكراء!... إنما الموسيقى اختطفتني، وأمسكت بتلابيب روحي... لكن، هل أنتن بخير؟

إيما (بعد إلقاء نظرة خاطفة على سوزان وأريان): نحن، نحن بخير... بخير وعلى خير... إنما أمتأكد من أن كل شيء لديك تمام، يا بالينت؟

بالينت : كل شيء تمام... وأحس حتى بخفة أشبه ما تكون بخفة الريح!... أنا فقط ألهث، لأني صعدت الهضبة وأنا أعدو، بسبب المطر... كنت قد دعيت. وأكاد أقول «اخْتُطِفت» من لدن أحد الناشرين من التيسينوا، وهو شخص ينظم الحفلات الموسيقية ذات الطابع الأرستقراطي في صالونات الأثرياء، ويأتي شباب الكاميرتا للتدرب عنده في فترة ما بعد الزوال... بالمناسبة، جلبت لك معي يا أريان... (يخرج من جيبه لفافة من ورق)... لوحة

مرســـومة... امســـكي، فهي الشـــلال الذي يهبط من الليـنزســـي... هل تعرفت عليه؟... هل تعرفت عليه؟ كنتِ في ناحية هذا الشلال يوم البارحة، مع أفنير...

(جميعهن ينظرن إلى اللوحة).

(وقت).

سوزان : إن هذه اللوحة جميلة جدا.

بالينت (لأريان) : هل أعجبتك؟

أريان : شكرا.

بالينت : إن صاحبنا لديـــه بصالون البيت بيانو بذيل، من نوع البوزندورفر... أتتصورين؟!... وفي الخامسة مساء، أعدت لنا رئيسة الخدم فطائر...

(وقت).

سوزان : كنا قلقات لأجلك.

إيما : لم نعرف بأن لديك علاقات في هذه الناحية...

بالينت : ولا علاقـــة واحدة... ولا واحـــدة... إنما التقيت بهذا الناشر مصادفة، في أثناء التدريب الموسيقي بالكنيسة، لأنه كان حاضرا هناك.

أريان : نحن مســروراتٌ جدا لكونك قضيت نهارا ممتعا للغاية.

بالينت : لعلمك، هــذه اللوحة كانت معلقــة في بيته. في الحائط، عند مدخل البيــت... ولم تكن معروضة للبيــع... قلت له إني أحمل ذكــرى... ذكرى امرأة مــرت بهذا الموقع... (وقت). كانت هذه بمعنى ما هي الحقيقة.

اليوم، عدت إلى رشــدي. هذا جيد... وكانت لدي أفكار بشــأن القرية السياحية هالســتات، وربما سأستعمل شــكلا آخر أكثر... هذا في المحصلة الأخيــرة غير مهم، إنما المهم هو أني صرت أفهم نفسي... لكني آمل أن...

إيما : هذا أفضل. إنه خبر سعيد.

سوزان : اكتبِّ لنا شيئا يمكن أن نقرأه... شيئا يخلق لدينا الرغبة في القراءة، نحن الـ...

إيما : نحن الجاهلات.

بالينت : نعــم. (صمت)... فكــرت في مرافقتكــن، أنتن الثلاثة، إلى حفل الموسيقى، هذا المساء... وبهذه المناسبة، اقتنيت أربع تذاكر...

(يخرج التذاكر من جيبه).

سوزان : نحن حصلنا من قبل على تذكرتين...

بالينت (وقد وقع في حيرة): حقا؟!

إيما : وما أهمية ذلك؟! إلى الجحيم كل تفكير ينشغل بالمال... ثم الأفضل أن تتوافر للمرء تذاكر فائضة عن الحاجة، بدل عدم التوفر على أي شيء منها، إطلاقا.

أريان : كنت أظن أنك لا تحبين حضور الحفلات الموسيقية.

إيما : إذن، صدقي بأن هذه ستكون المرة الأولى والأخيرة. إن لهذا الفتى تأثيرا نافذا على النفس. لو علم أفنير المسكين بهذا، لقتلني.

ما القطعة الموسيقية التي سيتم تقديمها؟

بالينت : ستابات ماتير لفيفالدي.

إيما : آه، نعم. رائعة!

(لحظة صمت).

أريان (بشكل فجائي): وماذا لو نذهب بعد الحفل الموسيقي، إلى مكان ما لنتناول فيه جبنا، بدل أن نعود إلى هنا، لتناول العشاء؟...

سوزان : أو نتناول بالأحرى جبنة ذائبة؟

أريان : نعم. جبنة ذائبة.

إيما : نذهب إلى فيلدن، فهو أرفع محل يُعرَف عنه تحضير الجبن الذائب في الناحية.

أريان : هيا بنا... أموافق على هذا؟

بالينت : موافق...

(أريان تتجه صوبه، فتطبع على خده قبلة).

(سوزان تنظر إلى إيما، في خضوع واستسلام).

أريان : طيب. سأعود إلى غرفتي كي أغير ملابسي. (تذهب، ثم تعود على أعقابها، وهي تركض). ماما، أتوسل إليك صارحيني: ألا تظنين أننا ارتكبنا خطأ فادحا باقتناء هذا السروال؟ انظري إليّ. أنا لا أستطيع ارتداءه هذا المساء... بالينت، أنا أبدو ثخينة، أليس كذلك؟

بالينت : لا.

أريان : إنك لم تقتنع. أظن أنا ارتكبنا خطأ فادحا بشراء هذا السروال... لكن، ماذا لو جربت ارتداءه مع قميص طويل؟ أجل... ربما الأمر سيكون...

(تتصرف مجددا، وهي تركض).

إيما : ينبغـــي لـــي أن أغير أنا أيضا، ملابســـي. هم لم يروني في تلك الكنيسة منذ زمن طويل. ولهذا من الأفضل لي أن أســـحرهم بمنظري. إلى أن نلتقي بعد قليل، أترككما الآن.

(تتصرف).

(سوزان وبالينت يبقيان وحيدين).

(وقت).

سوزان : كانت أريان مشغولة البال حقيقة، لأنها لم تر أنك عدت إلى الفندق...

(بالينت يحرك رأسه. يخطو بعض الخطوات).

(صمت).

سوزان : أشعرتها بالغبطة بفضل تلك اللوحة...

(يبتسم).

(تقتـــرب منه، لتقول له شـــيئا آخر، لم تتوصل إلى ترجمته بعبارات واضحـــة. أما هو، فقد أبعد تلك الفكـــرة عنه، بحركـــة منه، كما لو أنـــه توصل إلى إدراكها تماما، مثلما ودت أن تقول).

بالينت : متى سترحل؟

سوزان : مساء الغد.

بالينت : مساء الغد...

سوزان : أجل.

(وقت).

بالينت : ولماذا أنت كريمة معي، إلى هذا الحد؟

سوزان : كيف؟ كريمة معك؟

بالينت : نعم. لماذا؟

سوزان : لست أدري. (وقت). ألسنا... أقارب؟ أليس كل منا مهما للآخر، لتبديد النزوات على مدى الزمن؟!

(صمت).

(كل منهما يعود إلى الفندق، بالتوالي).

المشهد التاسع

(الليل).

(أفنير وحيد في الحديقة، حقيبته بالقرب منه).

(بعد وقت وجيز، يظهر بلينسك تحت الفيراندا، يحمل كيس الأحذية).

بلينسك : الجميع ذهب إلى حفل الموسيقى. حتى السيدة ميلستاين بالذات ذهبت. قال لي السيد موللر: «ها أنت ترى بأم عينيك بأنها تتردد على حفلات الموسيقى!»، فرددت عليه قائلا: «إذن، هذا أفضل، يا سيد موللر... ما ضاع شيء تم تأجيله!».

أفنير : كان بالإمكان أن نلحق بهم.

بلينسك : لا.

أفنير : مع سائق عادي كنا نستطيع. أنت لا تتصور مقدار العشق الذي أكنه لتلك المقطوعة الرائعة، التي أبدعها فيفالدي.

بلينسك : أتوسل إليك بحق السماء كي لا تعود إلى الحديث مرة أخرى إلى موضوع السياقة. فلكل إيقاعه في السرعة. لكل إيقاعه.

أفنير (مبتسما) : لكل إيقاعه!...

(صمت).

(أفنير يقف جامدا بالقرب من حقيبته. ينظر إلى الليل).

(بلينسك وقد شعر بقليل من الحرج، يخطو بضع خطوات، محاولا إظهار رباطة الجأش).

(يحمل كيس الأحذية دائما).

أفنير : لدي صديق اشترى بيتا على البحيرة... هذه البحيرة الواقعة على المنبسط، تحت... هنا... أليس هذا جنون الشيخوخة؟

بلينسك : ربما تقصد بحيرة فيلزشان...

أفنير : على كل حال، شراء بيت يفترض أن يضمن المرء لنفسه قسطا وافرا من الحياة في المستقبل...

بلينسك : لأن هناك بيوتا جميلة للغاية على بحيرة فيلزشتن.

أفنير : صحيح؟

بلينسك : بكل تأكيد.

(وقت).

أفنير : وماذا لو أني استقررت هنا؟

بلينسك : هنا؟

أفنير : بالله عليك قل لي ماذا تفعل بذلك الكيس؟

بلينسك : أجل... هذا حمق مني!

(وقت).

أفنير (بنبرة ملاطفة) : ضعه على الأرض!...

بلينسك : نعم...

(صمت).

(بعد التردد، ينتهي كورت بلينسك بوضع كيس الأحذية قرب الحقيبة. وبعد أن تحررت يده، بدا كما لو أنه جُرد تماما من كل شيء)!

بلينسك (بعد وقت) : أتريد العيش هنا؟

أفنير : وكيف تكون الأجواء هنا، في شهر نوفمبر؟

بلينسك : أوه! الأجواء تكون شديدة التوهج والإشراق. في نوفمبر، أو بالتحديد في أكتوبر. وبإمكاني القول بأن هذا هو الشهر الأفضل تقريبا، الأفضل هنا من بقية الشهور الأخرى، على الإطلاق.

أفنير : صحيح؟

بلينسك : نعم.

أفنير : هذا إذن، جيد.

بلينسك (بعد وقت) :... لا، أنا لا أصدر فيما سأقوله عن انشغال البال بهـذا الكيس بالضبط، ولكن... أما تظن بأن علينا إدخال الأمتعـة؟ فالأرضية مبتلـة بالرطوبة هذا المساء...

أفنير : ذاك ما أحبه...

بلينسك :... أدخلها، إذن؟

(صمت).

(بلينسك يتناول الأمتعة، ويتجه صوب الفندق).

أفنير : كنت أنظر إلى كل هذا مساء أمس، بعيني شخص يسـتعد للرحيل... كنت أحـب أن أعيش دائما في الأمكنة البعيدة، لذلك ظللت أنظر إلى الأشياء كما لو كنت أمر عليها فقط مرور العابرين...

أتعلم أني قضيت سـاعات من عمري طويلة، أمام الأطاليس؟

ليس هناك أفضل من كتب الأطاليس...

لسـنا سـوى عابرين لحقبة ما مـن الحقب، نحن

الذين نريد معرفة كل شــيء، فلا نقوى على رؤية خواتيم الأمور، يا صديقي بلينسك المسكين!

قــل لي، مــا رأيك أنت فــي هذا؟... هــل للأمور خواتيم؟...

كنــتَ اليوم صامتا، وصبورا. كنــتَ حذرا ومترويا، يا صديقي بلينســك... إني لأشكرك... (صمت). في محطة بولتينجن الخانقة، ســاد شيء قليل من رائحة المطر وشجر التنوب المبلل...

ذات يوم، وجدت نفسي في سينايا، برومانيا، أسير إلى المِنّشــرة التي كنا، أنا وإيمــا، نتردد عليها... وجدت نفسي أسير، وأنا أدفع المنقلة، وقد تدثرت بردائي إلى حد الاختناق... ما الدافع الذي جعلني أقوم بذلك الشيء، دون القيام بشيء آخر؟!...

كنتَ مؤثرا بدرجة ما في حياتي اليوم، يا بلينسك... فقد وجدتُ أن من الأمــور الخارقة أن يكتب علي اســتقالة عربتك القديمة... لقــد كنت، أنت الذي جهزت نفســك أكثر من غيرك بكل شــيء، تحسبا منك واحتــرازا، بما في ذلك توفير صفيحة بنزين إضافية، وكناســة، ومراقبة سائل التبريد المضاد للتجمــد، وكشــافات الضــوء المخترقــة لكثافة

الضبـــاب، وغيرهـــا كثير؛ كنت لا تتجاوز ســـرعة الخمســـين في الساعة وحسب، أنت الذي فرضت عليّ شـــد الحزام، حتى أصبِّـــتُ بفزر، وكأنك كنت آخر الوثنين في بولتينجـــن!... لقد دفعتني بذلك إلـــى أن أســـتعيد ذكرى تلك الرائحـــة، التي ظللت أستنشقها في ســـينايا، ببولونيا... رائحة الطريق المفضـــي إلى المنشـــرة... الرائحـــة التي ظننت بأنـــي افتقدتها إلى الأبد... رائحـــة الوثب والقفز المجانييـــن كمجنـــون... (صمت). فبـــدت لي من جديد صورة والدي مـــن الخلف، وهو جالس على مقعد، وقد بـــدا هرما قبـــل الأوان... كان يكتري شـــاليها بهذه الناحية، قرب غراتـــز... نعم، بدت لـــي صورة والـــدي من الخلف، بشـــكل لا ترى منه سوى جمجمة الرأس، التي انتشر الصلع بقنتها... كما رأيت قفاه... وشـــعيراته الرمادية المقصوصة والمتموجة ذات الملمس الرقيق... أنت لا تستطيع أن تتصـــور يا بلينســـك، مقدار رقـــة وعذوبة تلك الشعيرات الرمادية القصيرة... بالنسبة لي، كانت تعني نموذج الطيبة، بالذات...

ثمـــة الشـــيء الكثيـــر مما يمكـــن قوله عـــن تلك التصفيفـــة... ينبغي أن تكون مذعنا تستســـلم من

غير مقاومة، وتنذر نفسك للتآكل والابتذال... وتلك الدرجة من النبل لا يدركها كل من شاء أو رغب. (وقت). إنك عدتَ بي إلى هنا، دون أن تتبس بأي شيء، ودون أن تسأل عن أي شيء، وكنت صديقي، يا بلينسك. إنني لم أعثر في تلك المحطة لسبب حقيقي، من شأنه الدفع بي إلى القيام بأمر ما بدل غيره...

يبدو أن الحزن قد استبد بكياني... وفتح كتاب الذكرى بدخيلة نفسي... (صمت). خلال فترة بعيدة جدا في الزمن، كان لي برومانيا، كتاب قديم يدور موضوع تأليفه حول القطار العابر لمنطقة سيبيريا... وكانت بالكتاب صفحة طبعت عليها صورتان، وضعتا فوق بعضهما البعض. على إحدى الصورتين، يظهر مزارع يحمل شبابة، وعلى الأخرى يقف فارس على حصانه... وقد كتب أسفل الصورتين التعليق التالي: بين هاتين الصورتين، تنتشر الغابات على امتداد لا نهاية له. وبجانب هذه الصفحة، كان هناك منظر للهضاب العليا يتوسطه كوخ، وقد كتبت تحته جملة تقول: حلول الشتاء في مرتفعات كينغان....

وكنت وقتها، لا أقوى على فتح هذا الكتاب على

تلــك الصفحتين، من غير أن أشــعر بالبرودة. إن من ينظر إلـــى الصورتين ببعض التمحيص، يمكنه أن يتبين طبقات الثلج، وهي تنتشر على الأعشاب، وفوق أغصان الأشــجار فـــي الغابــة. وقد ذهب بـــي خيالي وقتها إلى حد أني رســمت في ذهني، طرقات كان ذلــك الفارس قد عبرها، وتناهى إلى سمعي نغم الشــبابة، التي كان ذلك المزارع الآخر ينفخ فيها... ظل نغم الشــبابة يمتد، وينتشـــر، ثم يعلو على فضاء الغابات كافة، ما جعلني أتخيل أني أصبحـــت أنا بالذات ذلك الفارس، فصار مصيري منذورا لعبور فصل الشتاء إلى ما لا نهاية...

على الفيرانـــدا، كان الآخرون قد عـــادوا، ووقفوا يصغون إلى ما يقوله أفنير.

لعبة الوجه والقناع في مسرحية

عبور الشتاء

١) توطئة

صدرتْ مسرحية عبور الشتاء نهاية عام ١٩٨٩، وهي التجربة الثانية في الكتابة المسرحية لياسمينا رضا. ويحفل نص المسرحية بمجموعة لا يستهان بها من التفاصيل الصغرى، التي ترتبط بشكل وثيق بسيرة الكاتبة، بحكم أنه يتضمن شذرات متذررة من طفولتها وشبابها؛ وهي العناصر التي لا تنكرها ياسمينا رضا، وإنما تعترف بوجودها في أغلب النصوص التي كتبتها، وهي عادة ما تستثمرها بذكاء في أفق صياغة إطار درامي، تتحرك وسطه شخصيات متخيلة، يجمع بينها مكان عام واحد، بينما تفرق فيما بينها أعباء الذاكرة وأثقال الماضي الشخصي والعام[1]. ذلك أنه ليس بخاف على أحد أن ياسمينا رضا ولدت في كنف أسرة بورجوازية صغيرة ميسورة الحال، استطاعت الاندماج بسرعة في تربتها الجديدة، بعد أن هاجر والداها من أوروبا الشرقية، ليستقرا نهائيا في العاصمة الفرنسية باريس، حيث رأت الكاتبة النور سنة ١٩٥٩. وبهذا، تيسرت لأسرتها سبل

(١) تقول ياسمينا رضا في الحديث عن علاقة ذاتها بكتاباتها: «أنا من كوكبة أولئك الكُتاب الذين ينطلقون في اشتغالهم على مادتهم الشخصية الخام، ويتحدثون في ما يكتبونه عن أنفسهم، عبر أصوات شخوصهم المتخيلة. فحينما أكتب، أتعرى إلى أقصى حد، لكني أبقى متخفية وراء قناع، وأنا التي تختار قناعها، ومَن يمثلها». من حوار أدبي أجراه معها الصحافي دومينيك سيموني D. Simonnet، ونُشر على صفحات أسبوعية الإكسبريس L'Expresse، بتاريخ: ١٣يناير٢٠٠٠.

الحيــاة الرغدَة، بفعل ما توافر للطبقة الوســطى الأوروبية بشــكل عام، من أســباب الرخاء وســعَة العيش عقب الحرب العالميــة الثانية، ونجاح خطة مارشــال في إنقاذ أوروبا من تبعات حرب مكلفة ومدمرة على جميع الأصعدة. ومن ثم، أســهمت هذه الفئة الاجتماعيــة الجديدة في تحريك عجلة الاقتصاد المنتعش، بالإنفاق مما تيسر لها من أسباب الرزق، دافعة بعائلاتها تارة إلى الإقبال على منتجات السوق للاقتناء والاستهلاك، وتارة أخرى بالاعتناء بأوقات الفراغ والإجازات الســنوية التي حرصت عائلات كثيرة على قضائها في أمكنة الاستجمام الجبلية منها والبحرية، إضافة إلى الاستمتاع بحفلات الموسيقى الكلاسيكية، والاهتمام بسيرة الموسيقيين والعازفين العالميين.

بالفعل، نعثر على نُتف وشــذرات من هذه الحيــاة الرغدة منبثة بين ثنايا مســرحية عبور الشــتاء، التي تجــري أحداثها نهاية خريــف عام ١٩٨٥، بَنسْــيون يقع بمنطقة ســتراتين Stratten الجبلية السويســرية، وهو نُزُل بعيد عن القرية الجبلية بمســافة قليلة، ويشــرف على فضاء لا تُرى منه غير فســحة السماء ومرتفعات الجبال المجاورة. في هذا البنْسيون، تقيم ســت شخصيات مختلفة الجنســيات والأعمار (ثلاثة ذكور وثلاث إناث)، يتصــل بعضها بالآخر عن طريق قرابة دموية (أخوة أو بُنوة)، بينما البقية ظلــت تتعرف على غيرها في مكان هذه الإقامــة، بالحرص على التلاقي سنويا في الموعد نفسه. وبناء على هذا، تتكون القوى الفاعلة الآدمية في المســرحية من أفنير ميلستاين البالغ من العمر ٥٧ سنة، وهو الشخصية

الرئيسية التي تدور حولها «الأحداث»[٢] برمتها تقريبا، وأخته الكبرى إيما ميلستاين (٦٠ سنة). وإلى جانب هذين الشقيقين، هناك السيدة سوزان (٥٥ سنة) التي تعيش بسويسرا، وابنتها أريان (٣٠ سنة) التي لا تعيش معها وإنما تحيا بفرنسا (باريس)؛ ثم هناك كورت بلينسك الذي يبلغ من العمر ٦٠ سنة، وأخيرا بالينت (٥٣ سنة)، وهو باحث في التاريخ.

لا تقدم المسرحية حكاية هذه الشخصيات الست دفعة واحدة، وإنما تشير إلى أهم ما يتصل بكل واحدة منها عن طريق التدرج والتوالي، أثناء اللحظات التي تتعاقب فيها المشاهد، ويتنامى خلالها التفاعل الحواري، ليتشاجن بين الجميع. إذ بعد أن يلتقي الكل بالكل في النزل الجبلي، يقع إما عن طريق المصادفة أو غيرها، اتصالُ الشخصيات بغيرها وتفاعلها فيما بينها، فيتقوى صرح التعارف أكثر، وتترسخ أواصر الصداقة بين الأغلبية

(٢) لا تعمد ياسمينا رضا إلى تقديم حكايات جادة أو ثقيلة في نصوصها المسرحية، وإنما دأبت على طرق ثلة من الموضوعات «الخفيفة»، التي تتصل مباشرة بالحياة اليومية والعادية للسواد الأعظم من الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة الفقيرة poor middle class؛ وهو الأمر الذي جلب عليها في بداية مسارها الإبداعي ردة فعل قوية، انتقدت مسرحها بعنف شديد، واعتبرته مسرحا بسيطا ومبتذلا وغير جاد، لأنه لا يتطرق إلى الموضوعات الحياتية المهمة والرئيسية بوضوح وقوة، وإنما يكتفي باعتماد «موضوعات» خفيفة، ودردشات سطحية، أقرب ما تكون بتلك التي يتبادلها الناس على أرصفة المقاهي ومحطات العبور. ومع ذلك، مانعت ياسمينا رضا هذه المواقف المناوئة والمماحكة لتجربتها، واستمرت في اشتغالها بالبسيط واليومي الذي بدا للبعض مبتذلا، من خلفية قناعة راسخة لديها، تقول فيها ما معناه إن الحياة في بُعدها الكبير، هي مجرد لحظات صغيرة، ومواقف مبنية على الصدفة والمفاجآت العارضة، إضافة إلى ما تفرضه علينا مشاغلنا اليومية من الغوص في الابتذال حتى قنة الرأس، بأحاديث وانشغالات سطحية ليس فيها أي بُعد درامي - بالمعنى الكلاسيكي - بتاتا.

عن طريق المشاركة في بعض الألعاب الجماعية، أو السهر للدردشة. ومن الشيق أن نلاحظ بأن كل ذلك، إنما يقع خارج بناية الفندق، وبالتحديد في الحديقــة التي تقع في منطقة البين ـ بيــن L'entre-les deux، بمعنى الموقع الذي يفصل من جهة، بين بناية الفندق (الفضاء المغلق والداخلي)، وبين منظر الجبال الممتدة في شــموخ أمــام الناظرين إليها من الحديقة (الفضاء المفتوح على المطلق واللانهائي). ففي الحديقة إذن، يقع اتصال الشخصيات واحتكاك بعضها البعض، فنتابعها وهي تتحاور لأوقات طويلة حول كل شــيء وحول لا شــيء، أو تشــارك في بعض الألعاب الجماعية خلال فترات المســاء، من قبيل لعبة البريدج أو السكرابل، ثم نقترب منها أكثر حين يختلي بعضها ببعض ليلا، لملء أوقات الســهرة بأحاديث حافلة بالبوح، فيتم تقاســم بعض الأســرار بين هذا وذاك مثلا، أو الكشــف عن بعض الأشواق التي ظلت مخبأة في قرار النفس المكين، مثلا.

وســط هذه الأجواء العامــة من التفاعــل الليلي والنهــاري، وهي أجواء تتــوزع تارة على الدردشــة العادية أو اللعب، وتارة أخرى على المكاشــفة وطقس الإفصاح عن اللواعج والكوامن، تتضح أمامنا شــيئا فشيئا ملامح الشــخصيات المركزيــة، التي تتمايز عــن غيرها بما تلقــاه من هذا من جاذبية، ترغبه حينا في الاقتراب الدائم منه، أو بما تجعل البعض يشــعر حيــال ذاك من نفور حينا آخر، فيرغب في الابتعاد عنه واجتنابه. ونتيجة لهــذا، نلاحظ في النص بروز شــخصيتين مركزيتيــن تقعان على طرفي نقيض من بعضهمــا، يمكننا اعتبارهما بمنزلة الشــخصيتين الكوكبيتين في المســرحية، بحكم جدلية الرغبة والنفور التي تتسببان فيها لغيرهما؛

ويتعلق الأمر هنا بأفنير ميستاين أساسا، وكورت بلينسك.

٢) تنازع المشاعر والأهواء

بالفعل، تنشأ عن تفاعل شـخصيتي أفنير وبلينسك مع بقية الشخصيات الأخـرى، مجموعة من ردود الفعل المحكومة بتنازع المشـاعر التي تتأثر تارة بدافع الرغبة والانجذاب، وتارة أخرى بالنفور والرغبة في الاجتناب. وبهذا يمكن اعتبار هاتين الشخصيتين بمنزلة كوكبين متناقضين، أحدهما يشـيع حوله سـحرا جذابا، يجعل الغير يسعى جاهدا لكي يتكوكب حوله، بينما يفتقد ذلك الآخر لهذا السحر الأخاذ، مما يتسبب لغيره في الشعور بالنفور، والسـعي الحثيث إلى مراوغته واجتنابه، مما يعمق لديه مشـاعر العزلـة، ويفضي به في الأخير إلى أن يصير شـخصية منبوذة ومقصية. ولتوضيح هذا الأمر، نتوقف عند عناصر هذا التنازع من خلال الموضوعات النفسية والعاطفية التالية، التي تقدمها أحداث المسرحية.

أ. بين الرغبة والممانعة

يعتبر أفنير شخصية محورية في النزل لعدة دواع وأسباب، منها ما يتصل مباشرة بشخصه، بحكم امتلاكه بالفعل لسمات وخصائص مظهرية ونفسية تفرض على الآخر أن يتعلق به، فينتهي به المطاف إلى أن يعلق في شباك جاذبيته، ومنها ما يرتبط فحسـب بالتصورات الذهنية التي يُسقطها عليه الغيـر، بفعل ما يتولد في دواخل هذا الغير من صور وهمية يضفيها على تلك الشخصية، التي اجتذبته إليها. فمن يكون أفنير حقيقة؟

أفنير ميلستاين رجل أعمال ستيني من أصول رومانية، يعيش في الأرجنتين

بعد تطليق زوجته. وهناك، يدير ورشـــة مختصـــة في صناعة التجهيزات المكتبية، التي لا تحيد في رتابتها ودمامتها عن إنتاج نفس النموذج بشكل ثابت، منذ ردح بعيد من الزمن. ومع هذا، فإن عمل أفنير يضمن له دخلا ماديا مهما، يبعده بشـــكل كلي عن ضائقة الحاجة والعوز، إلا أنه لا يعتبره مع ذلك شـــأنا أساسيا في حياته، وإنما يتعامل معه على أنه مجرد شاغل يومي، يخول له ربح المال الكافي للعيش وحسب، بينما لا يثير فيه اهتماما ولا شـــغفا، ولا يشفي غلة نفسه التواقة باستمرار إلى شيء آخر، لا تدركه الصفة.

وإلـــى جانـــب هذا العمل الروتيني الذي لا يجد فيه متعة ولا جِدة، يســـير أفنير شـــؤون بيتـــه وحياة ولديْن لا يرى فيهما ســـوى شـــخصين عديمي الموهبة، يتســـمان بالعجز التام عـــن الإبداع والابتكار، خاصة من يتعاطى منهما الكتابة. وبهذا، يبدو أفنير شخصية متناقضة، تجمع - على مستوى الظاهر - بين ســـمات الشـــخص الناجح مهنيا، بينما يتصف على مستوى حياته العائلية بجميع أشـــكال الفشـــل، بحكم أنه عاش أولا تجربة طلاق، ما لبثت أن أعقبتها الهوة الوجدانية، التي وسعت الشرخ بينه وبين ولديْه. يقـــول في حديث بينه وبين بالينت، ملخصـــا تجربته: «في بوينس أيريس، أتولى صناعة أثاث المؤتمرات بنفســـي، وأصـــدر تجهيزات المكاتب التي تنضبط لمعايير ثابتة في خشـــونتها ودمامتها وتشابهها... هذا ما أصنعه طوال الســـنة... أنا أجني أموالا كثيرة، وأتخم بها بطون ابنيّ اللذين ليسا ســـوى مخلوقين عديمي الكفاءة؛ إنها يقينا أسوأ خدمة يمكنني أن أقدمها لهما، ولكني أوفر على الأقل على نفسي الهموم، التي قد يتسببها لي فيها

رؤيتي لفقرهما وعوزهما. أنا لم أشّكُ في يوم واحد أبدا من أن حياتي خارج تلك الدائرة كلها...» (ص: ٤٧).

يعيش أفنير إذن، ضحية هذا التناقض الذي يثقل على نفسه، ويؤثر على طمأنينته وإمكانية تصالحه مع الذات. وتزداد وطأة هذا الثقل وقرا وإنهاكا لنفسيته، كلما تذكر لحظات شاردة من ماضيه، وما عاشه أو عايشه أثناءها من تجارب سيئة خلال الحرب العالمية الثانية، التي ظلت صورها المخيفة تلاحقه حتى وهو يعيش في الأرجنتين، بعيدا عن أجواء أوروبا. تقول إيما، وهي تحكي لسوزان وبالينت عن أسباب الكآبة والحزن، اللذين يلقيان بكلكلهما على أفنير بين الفينة والأخرى، كلما تذكر حكاية فرار عائلتهما من رومانيا، وانتقالها بين الفنادق الفخمة في أوروبا وآسيا وأستراليا، بعيدا عن أجواء الهول التي ذهب ضحيتها يهود أوروبا، على أيدي النظام النازي: «... ثم رحل أفنير إلى بوينس أيريس ليعيش فيها، بعد عشر سنوات على ذلك التاريخ. (أي بعد ١٩٤٦)... أفنير لا يتحدث أبدا عن هذه الرحلة، التي اضطررنا إلى القيام بها خلال الحرب. ظللت أعتقد دائما بأن الخجل ينتابه جراء هذه الواقعة، التي تستحق أن ترتب ضمن الحكايات التاريخية ذات الأربعة نجوم. اعتقدت بأنه ربما حقد على نفسه، لأنه لم يستطع المشاركة بشيء في ذلك المصير الجماعي، الذي طال أبناء البلد والأهالي... أجل، هذه الرحلة من الأمور التي وشمت حياته، على ما أظن. وما أثر فيه أكثر هو أنه ظل غائبا ومحميا لا تصله آثار المأساة الجماعية، وإنما كان يلهو ويمرح وحسب في الفنادق الفخمة، في الوقت الذي كان فيه أقرانه من الأطفال يموتون جوعا، أو يموتون

فقط». (ص: ٦١).

تسهم جميع هذه الأحداث والوقائع في خلق أزمة ذاتية ظلت تلازم أفنير، ولا تفتأ تلاحقه في حله وترحاله، وتدفع به باستمرار إلى البحث عن إمكانية للتخلص منها، والتحرر من أسرها الخانق. لذلك، يلجأ إلى التوحد مع نفسه بين أرجاء الطبيعة البكر، إما ذارعا الغابات أو صاعدا مراقي الجبال الصعبة، وكأن لوذه بأحضان تلك الطبيعة الموحشة، من شأنه أن يحقق له الشفاء المأمول من ثقل الماضي والحاضر البغيضين، أو يسهم على الأقل في توفير مهرب مؤقت لتصفية دواخله الحرون، مثلما تفعل معه الموسيقى في بعض الأوقات، أيضا.

بالفعل، صار أفنير يجد الكثير من التناغم الروحي والانسجام الداخلي، وهو يجنح إلى الهدوء، ويستمع بمتعة إلى الموسيقى الكلاسيكية، إلى جانب تجوله لساعات طويلة بين أرجاء الطبيعة الجبلية، ما سيقوده شيئا فشيئا إلى أن ينتهي إلى التمسك بأسباب التفاؤل، التي حررت نفسيته من أزمات تبكيت الضمير ومشاعر الفشل والإحباط الذريع، ومنحته طاقة معنوية كبيرة أفادته في أن يرى بوضوح أكبر إلى ما ينبغي أن يستدعيه للبقاء على قيد الوجود، والأمل في إمكانية تحقيق حياة أفضل.

وبحصول هذه القناعة، صار أفنير محبوبا من لدن الجميع، ومؤثرا بشكل إيجابي في محيطه، أينما حل أو ارتحل. ولهذا بالذات سيسهم من غير قصد في تعلق مجموعة من شخصيات النزل السويسري به، وعلى رأس تلك الشخصيات جميعها أريان، الفتاة الشابة التي ما أن تعرفت عليه،

حتى صارت ترافقه في نزهاته الجبلية، وتسير وراءه أينما سار، ما شجعها على أن تراوده على نفسها، وتشجعه بدافع الحب الأعمى على المبيت معها، رغم فارق السن بينهما الذي يقدر بخمس وعشرين سنة. إلا أن أفنير أدرك بوضوح استحالة هذا الحب الفجائي، فبادر يشرح لأريان أنه غير قادر على أن يكون ما تراه هي فيه، وتتمثله عن شخصه: «إن رغباتي ليست بتلك التي يمكن لي أن أفرغها، يا أريان... لقد وضعتُ قدمي فوق أرض، أكره فصولها مسبقا، ومع هذا فهي تبقى مأمولة. نعم، أنتِ مشيتِ بالفعل ورائي في جبل لينزسي، غير أن ما تماثل لنظراتك مني هو ظهري، وحسب... إن السيد ميلستين الماثل أمامك الآن، يصبو إلى الهدوء، إلى مقدار السعادة الضئيل المترع بالهدوء، حتى يرتاح. إنه بالأحرى نوع مزعج، مضجر من البشر... أنا لا أستطيع أن أكون ما تخيلته أنتِ، يا أريان... لا أستطيع... وعليك أن تفهمي هذا... لا أستطيع أن أسعى إلى تهدئة نفسي، وفي الآن ذاته إلى مبادلتك الحب... أنا لا أستطيع!» (ص: ٩٧).

ب. بين محاولة الاندماج وواقع الإقصاء

إلى جانب هذه الشخصية، تبرز بوضوح ملامح شخصية أخرى تقع على النقيض تماما من أفنير، سواء من حيث الطبع أو النصيب والحظ، وهي كورت بالينسك الذي يظهر في المسرحية فعلا على أنه شخصية ثقيلة الظل، تتسبب في إزعاج محيطها ـ بكيفية غير مقصودة ـ بما يند عنها من أفعال أو ردود أفعال أو أقوال، عادة ما لا يستسيغهما الجميع لكونها تتم عن تعاليم، أو سلوك فضولي ثقيل يحرض على النفور والمجافاة.

بالفعل، يعيش كورت بالينسك الشيخ الستيني، الذي يتسم بكونه شخصية تبدو بأنها واسعة الاطلاع على مجموعة من المعارف، مثلما يبدو في بعض إجاباته وتدخلاته، حياةَ عزلةٍ وانكفاء على النفس على إثر سفر زوجته كْريتْ إلى منطقة ڤيفي لحضور جنازة ابنة عمتها، فتركته بمفرده في النزل، ما جعله حزينا ومنصرفا عن حياة المتعة واللهو التي يختارها غيره، مفضلا الانكفاء على ذاته. لكن تواجده وسط ثلة منتقاة بعناية من شخصيات الطبقة الوسطى، التي تتماثل معه في السن وفي الانتماء إلى نفس الوضع الاجتماعي، وهي الشخصيات التي ألف منذ سنوات خلت أن يلتقي بها هناك مع زوجته؛ شجعه شيئا فشيئا على محاولة الاندفاع للخروج من قوقعته، وتجريب الاندماج مع غيره في فضاء الحديقة، بغية نسيان وطأة العزلة ووضع «الترمل» الذي شعر به في غياب زوجته[٣]، فيحاول خاصة الاقتراب من إيما ميلستاين وسوزان. فقد شعر بالينسك حيال إيما بشكل خاص بانجذاب عاطفي، لما يشتركانه سوية من اهتمام بشؤون الحياة، كحديثهما عن الموسيقى الكلاسيكية، ومتعة التحدي التي تفرضها عملية ملء مربعات الكلمات المتقاطعة، إضافة إلى تعاطي اللعب بالبريدج وألعاب جماعية أخرى، إلى حد أن سوزان ـ صديقة إيما ـ اعتبرت ذلك الانجذاب، إعلانا عن عاطفة هيام ثاوية بين الجوانح. فسوزان في حديثها إلى إيما عن بالينسك، تصفه «بخطيبها الغالي»، وقد قالت لها بينما كانتا تستمتعان بلحظة استرخاء في الحديقة، وتدردشان في

---

(٣) يقول لإيما بالحرف: «أما بالنسبة لي، فقد صرت الآن فضلا على ذلك، أرْمل بشكل من الأشكال، ما دام أن زوجتي رحلت إلى ڤيفي» (ص: ١٩).

موضوعات شتى: «إنه يهيم بك»، فأجابتها إيما من فورها بلهجة اندهاش، متسائلة: «يهيم بي؟!»، عندها تدخل بالينت الجالس معهما يفسر لإيما سبب تعلق كورت بالينسك بها، قائلا: «تلك حصيلة خطئِك... عرفتِ كيف تكونين ودودة معه!» (ص: ٦٨).

ومع هذا، تبوء محاولة كورت بالينسك في الاقتراب من إيما بالفشل، وتظل محاولة اندماجه عموما مع الغير، سواء في مدرج الحديث أو اللعب، لا يقابلها غير الصدود والتمنع اللذين يقاومان كل أشكال الود والوصال بينه وبين هذا الغير، بفعل ما يخلفه على نفسية الجميع من مشاعر الانقباض والجفول، جعلت الأغلبية تتصرف عنه، وتعامله بجفاء، سواء أكانت إيما بالذات أو غيرها. تقول هذه عنه: «إنه ينهكني... صار شبيها بالعلقة التي تلتصق بالجلد، منذ أن تُرك لنفسه... له في كل موضوع وجهة نظر خاصة... علامة في كل شيء إلى حد انهيار الأعصاب!...».

ومن حسن حظ كورت بالينسك أن الأستاذ بالينت يحاول جهد الإمكان أن يفهم حالته، ويقرب الشقة بينه وبين غيره، إذ يتصدى في بعض الأحايين مثلا لإيما، كي يدافع عن ذلك الشيخ المنبوذ بالينسك، شارحا للجميع أهم الدواعي التي تدفع هذا ليقترب من مجال دائرتهم، وهو الشرح الذي يتخذ في بعض الأحيان شكلا أشبه ما يكون بمرافعة، تدفع عن بالينسك كل ما يشي بالسلوك المَرضي في أفعاله وردات أفعاله. يقول بالينت لإيما، مثلا: «أنا لا أجد في محاولاته لمد جسور التواصل بيننا، شيئا مرضيا»؛ فتتصدى له سوزان مندهشة، وهي تقول: «محاولاته؟ إنه لا يحاول، وإنما يقتحمنا اقتحاما داهما إلى حد إسكارنا!». لكن بالينت

يصــر على رأيه، فيؤكد بأنه: «يفعل ذلك مرغما. حين يندس في الحديث، لا يـدري ما الذي عليــه أن يفعل، وما ينبغي له أن يقــول، ليبقى متحدثا إلينا. إنه يشــعر بالخوف من أن يتم إقصاؤه من الحديث الدائر، في حال مــا أن يتوقف عن الكلام». وبعد أن تنتهي ســوزان من كلامها، تندمج في الضحك مع إيما، فتلتفتان كي تتحققا من عدم تواجد بالينســك بالجوار، لكنهما تريانه... وكان كمن «صُعِق من أثر الدهشــة والذهول، فبقي واقفا في مكانه، جامدا» (ص: ٧٠).

إن الصدفة التي جعلت العجوز بالينســك يلتقط من فم إيما وسوزان معا، تفاصيل الصورة الكاريكاتورية المضحكة التي رسمتاها في ذهنيّهما عنه، خاصة حين اعتبرته إيما «علقة تلتصق بالجلد»، ستلعب لصالحه مع ذلك، بحكم أنها ستجعله يكتشف العيوب التي لا تروق للغير في شخصه. ورغم أنه ســيصاب للحظة ما بالحزن الشديد، لأن ذلك سيعمق إحباطه وخيبته الكسيفة في الآخرين، إلا أن هذا سرعان ما سيقوده في نهاية المسرحية إلــى مراجعة الذات، والعثور بنفســه علــى الحل المناســب للهروب من وحدته، من خلال الزج بنفســه إلى مساعدة الغير، وجعل نفسه مفيدا في المكان والزمان المناسبين. وهكذا، سيقترح على أفنير ـ كوكب المجموعة المحظوظ ـ إيصاله بالســيارة إلى محطة القطار، الأمر الذي لن يعترض عليــه هذا، وإنما ســيعمل على تــرك صاحبه يفعل ما يحلــو له، من باب أنه يتفهم حاجته النفســية إلــى الاندماج الإيجابي مــع الغير، رغبة منه في الخروج من شــرنقة العزلة والحزن والإحباط. وبقبول أفنير بمساعدة بالينســك له، يقبل الجميع بالرجل، خاصة إيما، لتنتهي المســرحية نهاية

سعيدة، تتوج أفنير شخصية رئيســية أولى، لكونه ساهم في خلق اللحمة بين بالينسك وأخته العجوز العانس.

٣) جدلية الخفاء والتجلي

يتضح مما ســبقت الإشــارة إليه أن الشخصيتين الرئيســيتين تطبعهما ثنائية فاضحة على مســتوى الهوية، هي تنازع الجانب الخفي والجلي من شــخصيتيهما، إذ يبدو أن لكل واحدة منهمــا وجهين، يتصل الأول بماض غير ســار، تحاول الشخصية ما في وســعها كي تتعايش مع ثقله الواطئ، وهي تخفيه عن الغير، ولا تكشــف عنه إلا فــي لحظات البوح الحميمي؛ ووجــه ظاهر هو عبارة عن قناع لا يكشــف إلا عن جزء ضئيل من حقيقة الشــخصية، بينما تظل المشــاعر والأهواء غائرة في قرار مكين، يجعلها لا تكاد ترى بالكل، لأن من مهام القناع أن يشــيع حول الشــخصية صورة منتقــاة بعنايــة، وأن يعطي الانطباع للغير بأن كل شــيء على ما يرام، من خلال ما يخفيه ويســتره؛ وهو الأمر الذي نجــده خاصة لدى أفنير، إلى جانب شخصيات أخرى كبالينسك وأريان وبالينت بالذات.

وينشــأ عن هذه الحركية النواســة بين قطب الخفاء والتجلي توتر نفسي حاد، يجعل الشخصيات تعاني من ارتفاع درجة المعاناة المريرة بدخيلتها، بحيــث نجدها على امتداد النص، لا تســتطيع أن تتعايش مع ذلك الوضع القلق، لأن جدليته تتســبب لها في مشاعر الاضطراب والاغتراب، وتجعل وضعها يســوء ويصعب. فأفنير مثلا أدرك في النهاية بأن من المستحيل علــى المرء أن يجــاري ذلك التنازع الداخلي بين مــا يضمره وما يظهره،

بترك هذين الوجهين يتعايشـــان بدخيلته إلى الأبد، لأن من شـــأن ذلك أن يجعله فريسة أبدية للاضطراب الحاد، والعيش دوما في دوامة من التوتر. لذا، ينتهـــي به المطاف، في طقس بوح حميمي مـــع أريان، إلى أن يختار لنفسه سكة الطمأنينة والسكينة والهدوء، بعيدا عن كل علاقة غير سليمة تفـــرض عليه الالتصـــاق الدائم بمصدر معاناته. يقول للآنســـة أريان في لحظة مكاشفة: «إن السيد ميلستاين الماثل أمامك الآن، يصبو إلى الهدوء، إلى مقدار الســـعادة الضئيل المترع بالهدوء، حتى يرتاح. إنه بالأحرى نوع مزعج، مضجر من البشر... أنا لا أستطيع أن أكون ما تخيلته، يا أريان... لا أســـتطيع... وعليك أن تفهمي هذا... لا أســـتطيع أن أسعى إلى تهدئة نفسي، وفي الآن ذاته إلى مبادلتك الحب... أنا لا أستطيع!» (ص: ٩٧).

فحين يرفض أفنير مقايضة حب أريان بوهج عاطفته، لا يرفض ذلك لأنه يشـــعر بفارق السن بينهما (خمس وعشرون سنة!)، وإنما يقول ذلك لكونه يشعر بوطأة الماضي التي لا تراه أريان، بينما هو يعاني من وخزه الناخس، ويخفيـــه في تواطؤ ضده بقناع المرح الظاهري. ومن ثمة، فإن أريان وهي ترافق أفنير في جولاته الجبلية، وتحتك به في الكثير من اللحظات بالنزل وخارجه، لا ترى منه غير القفا وليس الوجه، أي أنها لم تر منه سوى القناع وليس أمرا آخر. يقول لها حرفيا: «نعم، أنتِ مشيتِ بالفعل ورائي في جبل لينزسي، غير أن ما تماثل لنظراتك مني هو ظهري، وحسب» (نفسه).

وحتـــى يزيد أفنير من درجة هدوئـــه، وينفي عنه ديمومة ذلك التوتر الذي بات لا يفارقه، يقرر في نهاية المســـرحية، بعد أن أثر فيه بلينسك بشكل غير مباشـــر، إلغاء ســـفره إلى بوينس آيرس والعـــودة الفورية إلى النزل،

للانضمــام إلى الرفقة التي عاش معها انشــراح نفســيته، بل إنه ليتذكر طفولته وصورة والده هناك، ربما بعد أن قرر الاســتقرار النهائي بالقرب من الجبال، عل هذا القرار يســهم في انبثاق سعادته، وإطالة أمد هدوئه النفســي، في أفق عبور شتاء دواخله، باتجاه ربيع مشرق تحيا فيه طبيعة نفسيته من جديد.

ليــس أفنير هو الشــخصية الوحيدة التي تعاني مــن طبيعة هذا التكوين القلــق، التي تتنازع فيــه طبائع متناقضة تتصل بقطبــي الخفاء والتجلي المؤطريــن للهوية، وإنما أغلب شــخصيات النص يطالهــا هذا التناقض الحاد. فكورت بالينســك مثلا، الذي كان يلعب مع نفسه مباراة السكرابل، يجيب سوزان التي سألته ما إذا كان قد ربح المباراة، بقوله: «لا، للأسف!». وحين اندهشت سوزان لهذا الرد، وعبرت عن استغرابها قائلة: «كيف تقول هذا؟!»لاسيما أنها رأته لا يلعب مع أحد آخر سواه، يجيبها عن سؤال آخر تريد فيه أن تعرف «من الذي ربح المباراة»، هذه الإجابة الملغزة: «الآخر. أنا لست نفس الشخص مرتين، وإلا لن يكون للعب أي معنى» (ص: ٣٦).

ولأن كورت بلينســك كذلك، فهو لا يســتطيع أن يجد لنفسه التي تنزع إلى القلق من وجودها حلا، يفضي به إلى التعايش مع وضعيه: القديم والجديد، وضع المتزوج الذي تنمط على عادات ومســلكيات قديمة وعتيقة، ووضع «الأرمــل» الجديد الذي ينبغي لــه أن يحيا بعيدا عن ظلال الماضي، التي ما تنفك تفرض عليه العزلة، وتحبسه داخل دوامة الصمت. ومن ثم يتعذر عليــه أن يكون خفيف الظل ومحبوبا من الغير، حتى حين يحاول أن يخرج من تحت عباءة تلك الظلال القاتمة التي تشــده إلى واقع «الترمل» العابر،

وإنما يصاب بالإحباط الكاسـف كلما حاول الخروج من هذه القوقعة، لأن وطـأة ذلك تحول بينه وبين مراده، فتجعله أسـير حالـة «ترمل» و«فقد» شـديدة، يبدو معها في أعين غيره حزينـا ومتذبذبا، ومن ثم لا يبلغ أبدا إربه في الارتماء بين أحضان الشـخصيات الأخرى، للاستفادة من القرب من إيما التي يضمر لها حبا مكتوما، ولا حتى التفاعل التلقائي والعادي مع غيرها ممن يضمهم النزل.

وكذلك هو الشـأن بالنسـبة لبالينت، ذلك الشـاب المثقف والباحث في التاريخ، الذي يود لو أنه اسـتطاع أن يغدو من جديد، إنسانا سعيدا وغير عابـئ بثقل الحياة، مثلمـا كان وهو فتى صغير. لذلك، نـراه يتأفف من وضعـه الذي ألزمه بالانكبـاب على البحث والتنقيب في تاريخ البشـرية القديم، منشـغلا بموضوع بعيد كل البُعد عن العصر واهتمام الناس، وهو موضوع: الإنسان البدائي في العصر الحديدي الأول! يقول بالينت لأريان، في إشـراقة بوح، يشرح لها فيها ما يشـعر به من تناقض داخلي، بين ما يعيشه من شيخوخة ظاهرة على كل شيء فيه، وعلى أعماق نفسية طفولية غائـرة، لا يترجمها مظهره بالكل، حتى يرق له قلبها: «لم أعد أعرف ماذا أريد... كنت ـ لعلمكِ ـ وأنا في الثامنة من عمري، شـخصا متحمسـا بما فيه الكفاية، على ما أظن... (ينكسـر الحكي فـي فمه، فتند عنها حركة اتجاهه، لكنه يدفعها عنه)... أشـعر فـي أعماقي وكأني لا أزال طفلا... لم أعد أعرف كيف أحدد سـني بالضبط... لقد اختفيت عن نفسي وعن العالـم في يوم ما، فما عدت أعـرف أين اختفيت... ومن ذلك اليوم، بقي عمري عمر طفل صغير، لا يتغير...»(ص ١٠٨).

إن بالينت يعي تمام وعي هذه الثنائية المثيرة للقلق والتوتر، ثنائية الشخص الخفي والجلي فيه، فيشـعر وكأنه شخصان من طينة مختلفة يعيشان مع بعضهما البعض، ولا يتعايشـان أبـدا: أحدهما ثقل كاهله، وتقوس ظهره، وشاخ قبل الآوان، فصار بذلك مزعجا لنفسه ولغيره، بينما الآخر «خفيف الظل خفة الريح» (مثلما يصف هو ذاته)، لكنه وجه لشخصية مخبوءة في قـرار النفـس، وكأنها رهينة محبس. وهو لا يحب ذلـك الوجه الأول، ولا يعرف له سـبيلا يفضي به إلى تحرير الثاني، كي يُخرجه من عالم الكمون إلى عالم الحياة الحقة. ومن ثم، يبقى وضعه الوجودي معلقا، يتحرك بقلق بين اسمين، أحدهما ظاهر للغير وهو مرفوض، وثانيهما لا يراه غيره، وهو باطني محدود. يقول عن جدل الوجه والقناع في لحظة بوح لأريان، الشابة التـي جذبته إلى حيويتها وجمالها، فأحبها على الفور، رغم أنه لم يتعرف عليها إلا خلال الأيام السـتة التي جمعته معها في النزل: «لقد تعلمت أن أكن لك الحب، خلال تلك النزهات... إن المرء ليزور عوالم كثيرة، لم يكن قـد رآها، ولا حتى حل بها من قبل، وهو بعيد عنها!... تركت الحرية لهذه المشـاعر كي تقتحمني بهدوء، لأني تخيلتك تسـتطيعين الاستجابة لها، والتقاط طبيعة الشـخصية الرشـيقة والطلقة والراقصة، من وراء القناع الصارم، الذي يغلف شخصي الحقيقي...».

ومن الشيق للملاحظة في نص عبور الشتاء، كون ياسمينا رضا قد اختارت شـخصية أنثى معلقة كقوة فاعلة، تسـتهدف الكشـف من خلال حركتها المضطربة عن هذا التنازع في الهوية لديها ولدى غيرها من الشخصيات الأخرى، خاصة أفنير وبالينت. فالآنسـة أريان بالفعـل، وهي تلك الفتاة

الجميلــة والمتحررة التي تعيش حياتها بعيدة عن أســرتها في باريس، ما تنفك تلتقي بين الفينة والأخرى بأمها ســوزان في النزل السويســري، كي تصل معها الرحم من جهة، وتستفيد من التواجد بعيدة عن أجواء باريس، لتستمتع بقسط وافر من الراحة والاستجمام، بالاحتكاك مع غيرها. وفي تلك الأثناء، تقع في غرام أفنير ميلســتاين، الرجل الكهل الذي يكبرها في الســن، فتعجب مع ذلك بحيويته ونشــاطه، اللذين يدفعان به إلى الإقدام على حب الحياة والمغامرة، فتحــاول بعدما وقعت في أحابيل هذا الوجه الإيجابي من شــخصية أفنير، أن تبقى ملازمة له في حله وترحاله، فتكبر رغبتها في استقطابه إليها، واستدراجه إلى فراشها. وإذا كان أفنير واضحا كل الوضوح معها، بحكم أنه رفض الاستجابة لدعواتها، فإن بالينت الشاب المــؤرخ الذي لا يعيش أجواء عصره، مــا يلبث هو الآخر أن وقع في حب أريــان، وود لو أنها تلتفت إليه، كي يبثها صدق مشــاعره، وما تحرك بين جوانحــه من عواطف جياشــة حيالها. لكن أريان التي ظلت تمشــي وراء السيد ميلســتاين بين جبال لينزســي، ولا ترى منه سوى الظهر وحسب، لا تعبــأ بالوجه الحقيقي لبالينت، أي لذلــك الطفل المرح والحيوي الذي تحرك يهش فــي وجهها، ويريد أن يبوح لها بمشــاعر الانجذاب والحب. لقــد ظلت أريان تتحرك معلقة بين شــخصية لا تــرى منهما غير القناع: أفنير المرح وبالينت الذي شــاخ قبل الأوان، بينما تغيب عنها حقيقة كلتا الشــخصيتين: أفنير المحكوم بالحزن بســبب تركة الماضي الأليم الذي عاشــه، ولم يســع إلى تغييره، وبالينت الفتى اليافــع الهاش والباش الذي يريد أن يخرج إلى الوجود، لكن ثقل المواضعات الاجتماعية تكبته، وتحول

دون انطلاقه. وبين هذين القناعين، ظلت أريان نواسة في رحلة اقتراب وابتعاد، تبحث عن الإنسان النموذجي الذي تتوق إليه نفسها، وتهفو نحوه روحها. مما دفعها في النهاية إلى إضمار الحزن في صدرها، وعدم فقدان الأمل في ذلك الحبيب الذي باتت تنتظره ردحا طويلا من الزمن. تحكي لبالينت بعدما طلب منها القرب، فصدته عن نفسها، متحدثة عن «حبيبها» الذي قد يأتي وقد لا يأتي: «هناك إنسان... إنسان واحد أنتظر وصوله، وعليه أن يأتي، كي يرويني... إنسان أنتظر أن يأتي، كي يجلس بقربي، بعد أن يكون قد اجتاز الكثير من المسافات، ليلتحق بي... (تصدر عنها حركة ترسم المسافات والحواجز بطريقة ميمية)... وإلى غاية اليوم، لم ألتق به... أنت لست ذلك الإنسان، يا بالينت... لست أقل من الآخرين، في كونك لست ذلك الإنسان... في بعض الأحيان، يهيأ لي بأني صرت قادرة على التعرف عليه: إنسان مختلف، منهوك، ويحتفظ مع ذلك على ما يشتبه بأنه سمات دالة عن هيئته... بقية غزوات وفتوحات... لا يخشى أي شيء، ويتعاطى بألم لجميع المتع، التي تغطي على وجه الزمن بقناع».

٤) على سبيل الختم

بالفعـل، لقد تفاعلت أريان مع لعبة الأقنعــة، فحاولت مرة أن ترتبط بما بدا لها من شــخص أفنير الذي أغواها، فتأثرت بسحر تلك الغواية، بينما ارتدت في المرة الثانية على أعقابها منكفئة على الذات، بعدما نفرها من بالينت قناع الصرامة وثقل شــخصية الباحــث الأكاديمي المتزمتة، الذي رأتها عليه. لكنها في المرتين معا لم تصل إلى كنه الشــخص، ولم تلمس حقيقته بالمرة، لأنها لا تعرف بأن الهوية ليســت شــيئا ناجزا انتهى على حالة ثابتــة ونهائية، وإنما هي كيان مرتهن لفعــل الصيرورة، يدفع المرء دائما إلى ترديد: «أنا لستُ نفسَ الشخص في كل مكان». فهل تريد الكاتبة بهذا النص الدرامي البســيط في حكايته، والمعقد في أبعاده الفكرية، أن تثير إشــكالية القلق الذي انتاب ومازال ينتاب الذات الأوروبية، بحكم أنها لم تســتطع بعد أن تصفي حســابها مع تركة الماضي الأليم، الذي عاشته مجموعة من الأقليات تحت حكم الســيطرة النازية، مثلما تشــير إيما في حكايتها عن أفنير؟ أم أن مقصدية النص فكرية وفلســفية بامتياز، لكونها تنطلــق من المعاينة الســابقة لوقائع التاريخ الأوروبــي المعاصر، لتطرح النقاش حول قلق الهوية، في بعده الفلســفي المرتبط بالتباســات الهوية وقلقهــا، خاصة أن الفلســفة المعاصرة اعتبرت «الأنا آخــر أو آخرين»، مؤسسة بهذا لقطيعة فكرية مع الديكارتية؟

مهما تكن الإجابة، فإن مســرحية «عبور الشتاء» دعوة أدبية جميلة للتأمل في الذات، قصد الخروج من أثقال شــتائها، لتتحرر فينا مشــاعر أخرى مفتوحة على فصول الربيع المنعشة بألوانها وروائحها الفواحة.

فـن
ART

الشكر موصول إلى سيرج كولدزال

الشخصيات

- مارك
- سيرج
- إيڤان

الديكور

صالون في شقة.

ثمة ديكور واحد، يتعين تقديمه بأشد ما يمكن من التجريد والحياد.

أما المشاهد فتجري تباعا، في شقة كل من سيرج، إيڤان ومارك.

لا شـــيء يتغير، عدا اللوحة الفنية المعروضة على الأنظار.

(مارك وحيدا).

مارك : صديقي سيرج اقتنى لوحة.

صديقي سيرج صديق لي، منذ زمن بعيد.

إنه شـــاب ناجح، يعمل طبيبا مختصا في أمراض الجلد، ومحب للفن.

يوم الاثنين، ذهبت لأرى اللوحة التي اقتناها السبت الماضـــي، مع أنه كان يتمنـــى الحصول عليها، من عدة شهور.

لوحة بيضاء، بحواشٍ بيضاء.

***

(في شقة سيرج).

(كانـت ثمـة لوحة بيضـاء وضعت مباشـرة على الأرض، بها حواشٍ بيضاء دقيقة تتناثر على مستوى العرض).

(مارك ينظر إلى اللوحة).

(سـيرج ينظر صوب مارك، الذي يركز نظره على اللوحة).

(تمضي فترة طويلة، تُتَرجَم جميعُ المشاعر أثناءها، دون أدنى تعبير بالكلام).

مارك : أهي غالية؟

سيرج : مائتا ألف.

مارك : مائتا ألف؟!...

سيرج : هاندينغتـون قـادر على شـرائها منـي باثنتين وعشرين.

مارك : مَن؟

سيرج : هاندينغتون!

مارك : لا أعرفه.

سيرج : ألا تعرف هاندينغتون؟! رواق هاندينغتون؟!

مارك : هل سـيقتنيها منـك رواق هاندينغتـون باثنتين وعشرين؟...

سيرج : لا، ليس الرواق. هو نفسه. هاندين غتون بالذات. سيقتنيها لنفسه.

مارك : ولماذا لم يكن هاندينغتون هو الذي اشتراها؟

سيرج : لأن جميـع هـؤلاء لهـم مصلحة فـي أن يبيعوا للخواص. ينبغي للسوق أن تروج.

مارك : بالتأكيد...

سيرج : وما رأيك أنتَ، إذن؟

مارك : .....

سيرج : أنت لا تقف في المكان المناسب. أنظر إليها من هنا. أتلمح الخطوط؟

مارك : وما اسم الـ...

سيرج : الـ ... فنان؟ أنتريوس.

مارك : وهل هو مشهور؟

سيرج : جدا، جدا!

(تمضي برهة).

مارك : أصْدقنـي القول، يا سـيرج: هل اشـتريت هذه

اللوحة حقا، بمائتي ألف فرنك؟

سيرج : ذاك هــو ثمنهــا، يا صديقي. ثم إنهــا من توقيع أنتريوس!

مارك : دفعت في هذه اللوحة مائتي ألف!

سيرج : كنتُ واثقا من أنك لن تدرك أهمية الأمر.

مارك : أحقا اشتريت هذه الزبالة بمائتي ألف فرنك؟!

***

(سيرج، وكأنه بمفرده).

سيرج : صديقي مارك، الشــاب الذكي الــذي أقدره تمام التقدير منذ مــدة، ويحظى بوضــع اعتباري مميز، ويعمل مهندس طيران؛ هو من هذه الفئة الجديدة من المثقفين، الذين لا يكتفون بأن يكونوا أعداء للحداثة وحسب، وإنما يتباهون بذلك بشكل غير مفهوم.

لقــد أخذت تظهر على نصيــر العهد القديم هذا، ومنذ حين، غطرسة مدهشة حقا.

***

(نفس الشخصيتين).

(نفس المكان).

(نفس اللوحة).

سيرج (بعد برهة) : ... كيف سمحتَ لنفسك بقول: «هذه الزبالة»؟

مارك : قليلا من الهزل، يا سـيرج! اضحك! اضحك، يا صاح!

(مارك يضحك).

(بينما يبقى سيرج متحجرا).

سيرج : أن تـرى بأن هذا الاقتناء أعجوبة، فذلك أفضل؛ وأن يجعلك هذا تضحك، فإنه أحسـن؛ لكني أريد أن أعرف منك فقط، ما الذي تقصده بعبارة: «هذه الزبالة»؟

مارك : أنت بلا شك تسخر مني!

سيرج : أبـدا. لكن، بالنسـبة إلى أي شـيء تكون «هذه الزبالـة» زبالـة؟ فنحن حين نقول مثـلا، إن هذا الشـيء زبالة، معنى هذا أننـا قيمنا الأمر بمعيار محدد، جعلنا نقدره حق تقديره.

مارك : مع من تتحدث، يا سـيرج؟ مـع من تتحدث، في هذه اللحظة؟ هيه! هيه!...

سيرج : أنت لا تهتم بالفن التشـكيلي المعاصر، ولم تكن فـي يوم من الأيام تهتم بـه، أبدا. أنت لا تملك أي

معرفــة بهذا، فكيف أمكنك أن تثبت إذن، بأن هذا الأمر الخاضع لقوانين تجهلها، مجرد زبالة؟!

مارك : إنها ليســت بالنســبة إليّ، واســمح لي في هذا، سوى زبالة!

***

(سيرج، وحيدا).

سيرج : إنــه لا يحــب اللوحة. حســنا... ما فــي موقفه أي رقــة. ولا فيه أي جهــد. ولا في طريقة حكمه تعاطف. ثم إن ضحكته متكلفة ومخادعة. ضحكة من كان يحيط بكل شيء علما، ويعتبر نفسه أفضل من الجميع...

أكره تلك الضحكة.

***

(مارك، وحيدا).

مارك : أن يقتني سيرج تلك اللوحة، فذلك أمر يتجاوزني، ويحيرني، ويثير في فزعا غير محدد.

لقــد اضطررتُ، وأنا أخرج من بيته، إلى أن أمتص ثلاث حُبيّبات من الجليســيميوم ٩ سي أتش، التي نصحتني بها بولا (وقد ســألتني، بالمناسبة: أيهما

تفضل، الجليسيميوم أم الإغناسيا؟ وكأني أفهم في الأمر!)؛ لأني لا أستطيع بالمطلق، أن أستوعب كيف أمكن لسيرج، الذي هو صديقي، أن يشتري تلك اللوحة!

وبمائتي ألف فرنك!

إنه بالفعل شاب ميسور، لكنه لا يملك منجم ذهب.

هو ميسور وحسب، ميسور وكفى. ومع ذلك، يشتري لوحة بيضاء بعشرين مليونا. ينبغي أن أراجع إيڤان، ونتحادث في الأمر، بحكم أن سيرج صديقنا المشترك. حتى ولو كان إيڤان شابا متسامحا، وهو ما يعد عيبا كبيرا في مسألة العلاقات الاجتماعية.

إن إيڤان متسامح، لأن الأمر سيان بالنسبة إليه.

وإذا ما تساهل إيڤان مع سيرج، في شراء تلك الزبالة بعشرين مليونا، فذلك لن يكون إلا لأن الأمر سيان بالنسبة إليه.

هذا واضح.

***

(في شقة إيڤان).

(على الحائط لوحة رديئة).

(إيڤان راكع على يديه وركبتيه).

(يبدو أنه يبحث عن شيء ما تحت الأثاث).

(أثناء المشهد، يلتفت ليقدم نفسه إلى الجمهور).

إيڤان : اسمي إيڤان.

أنا متوتر قليلا، لأني بعدما قضيت حياتي في صناعة النسيج، عثرت أخيرا على وظيفة وكيل شركة في مصنع للورق، الذي يتعامل بالجملة.

أنا شاب لطيف. وحياتي المهنية كانت دائما فاشلة، وسوف أتزوج خلال الأسبوعين القادمين بفتاة مهذبة، وذكية، ومن عائلة طيبة.

(يدخل مارك).

(يركع إيڤان من جديد على يديه وركبتيه، وينهمك في البحث).

مارك : ماذا تصنع؟

إيڤان : أبحث عن غطاء قلم اللبدة (*).

(برهة)

(*) اللبدة: الحبر السائل (المحرر).

مارك : حسنا، هذا يكفي.

إيـڤـان : كان بحوزتي منذ خمس دقائق.

مارك : ما في ذلك أي بأس.

إيـڤـان : كلا.

(مارك ينحني ليساعده في البحث).

(ينهض مارك واقفا).

مارك : إيڤان، توقف! ستشتري عوضه قلما آخر بغطاء.

إيـڤـان : إنه من جملة أقلام اللبدة الاستثنائية، بحيث يمكنك من الرسم على جميع الأسطح، بكيفية... تبا، هذا يزيد من توتري. لو أنك تدرك مقدار القلق الذي تتسبب لي فيه مثل هذه الأشياء. لقد كنت أمسك به بين يدي، منذ خمس دقائق فقط.

مارك : هل ستقيمان هنا؟

إيـڤـان : وهل تجد هذا أفضل، بالنسبة إلى زوجين غريّن؟

مارك : زوجين غريّن؟! ها ها! ها ها!

إيـڤـان : رجاء، تجنب مثل هذا الضحك أمام كاترين.

مارك : وأحوالك في مصنع الورق؟

إيـڤـان : لا بأس. أنا في طور التعلم.

مارك : لقد صرت نحيفا.

إيـڤـان : شيئا ما. من المزعج عدم العثور على ذلك الغطاء، لاسيما أن قلم اللبدة قد يجف، الآن. اجلس.

مارك : إذا واصلت البحث عن ذلك الغطاء، سأنصرف.

إيـڤـان : طيب. سأتوقف. أتريد أن تشرب شيئا؟

مارك : كأس ماء غازي، إذا كان هذا متوفرا.

هل رأيت سيرج، أخيرا؟

إيـڤـان : لا، لم أره. وأنت؟

مارك : رأيته البارحة.

إيـڤـان : وهل هو بخير؟

مارك : على ما يرام. وقد اقتنى أخيرا لوحة فنية.

إيـڤـان : حقا؟

مارك : ممّم.

إيـڤـان : جميلة؟

مارك : بيضاء.

إيـڤـان : بيضاء؟

مارك : بيضاء... تخيل معي لوحة في حوالي متر وستين على متر وعشـــرين ســـنتمترا... بعمـــق أبيض... وكلهـــا بيضاء... وذات خطيطـــات مائلة بالعرض، خطيطات دقيقة جـــدا وبيضاء... وربما بها كذلك خط أفقي أبيض، مضاف إلى ذلك على مســـتوى الأسفل، على أنه موتيف تكميلي...

إيـڤـان : وكيف استطعت أن تراها؟

مارك : عفوا؟

إيـڤـان : الخطيطات البيضاء! كيف استطعت أن تراها، ما دام العمق أبيض؟

مارك : لأنـــي رأيتهـــا. لأن من المفتـــرض أن تكون بلون مخفف، أو العكس؛ على كل حال، هناك في النهاية بعض الفروق الصغيرة ضمن اللون الأبيض نفسه! ثمة أبيض نسبي وسط الأبيض.

إيـڤـان : لا تغضب. لماذا أنت غاضب؟

مارك : لأنك عكفت بسرعة، تدقق في التفاصيل التافهة. أنتَ لم تتركني أنهي الكلام!

إيـڤـان : طيب. وماذا بعد؟

مارك : عليك أن تتخيل إذن، لوحة بتلك المواصفات.

إيـڤـان : طيب. فعلت.

مارك : والآن، عليك أن تحزر المبلغ الذي أنفقه سيرج في اقتنائها.

إيـڤـان : ومن يكون الفنان؟

مارك : أنتريوس. أتعرفه؟

إيـڤـان : لا. وهل تحمل اللوحة توقيعه؟

مارك : كنت متأكدا من أنك ستطرح هذا السؤال!

إيـڤـان : أمر منطقي...

مارك : لا، ليس منطقيا...

إيـڤـان : بل منطقي، ما دمت طلبت مني أن أحزر السومة؛ وأنت تعلم جيدا بأن الثمن رهين بتوقيع الفنان...

مارك : أنا لا أطالبك بتقييم اللوحة، بناء على هذا المعيار أو ذاك، لا أطالبك بتقييم مهني يا إيڤان، وإنما كل ما أطلبه منك هو مقدار ما يمكنك أن تعطيه أنت، مقابل لوحة بيضاء تزينها خطيطات بيضاء منكسرة، على مستوى العرض.

إيـڤـان : ولا سنتيم واحدا.

مارك : حسنا. وسيرج؟ كم سيعطي في نظرك؟ هيا، قل أي رقم، قدر.

إيـڤـان : عشرة آلاف.

مارك : ها ها! ها ها!

إيـڤـان : خمسون ألفا!

مارك : ها ها! ها ها!

إيـڤـان : مائة ألف...

مارك : واصل... استمر في رفع السعر...

إيـڤـان : خمسة عشر مليونا؟... عشرون؟!

مارك : عشرون!... عشرون مليونا!

إيـڤـان : أنتَ تبالغ!

مارك : بل الأمر كذلك.

إيـڤـان : عشرون مليونا؟!

مارك : عشرون مليونا.

إيـڤـان : إنه لأخرق، إذن!...

مارك : أليس كذلك؟

(برهة)

إيفان : إنما لاحظ...

مارك : ألاحظ ماذا؟

إيفان : إذا كان هـذا يحلـو له، فله ذلك... إنه يكسب الكثير...

مارك : أبهذه الكيفية تنظر أنت إلى الأمور؟

إيفان : ولمـاذا لا أنظر إليها بهـذه الكيفية؟... ثم كيف تراها، أنت؟

مارك : ألست ترى في المسألة خطيرا ما؟

إيفان : همهم... لا...

مارك : من المثير للاستغراب ألا تكون قد رأيت الجوهري في هذه الحكاية! أنت لم تدرك منها غير الجانب السطحي وحسب، ولم ترَ ما هو خطير.

إيفان : وما الخطير في هذا؟

مارك : ألا ترى ما يترجمه هذا السلوك؟

إيفان : ... أترغب في بضع حبات من جوز البلاذُر؟

مارك : ألسـت تـرى بأن سـيرج صار فجـأة يتصرف، وبكيفيـة أدعى للسـخرية، وكأنه مـن هواة جمع التحف الفنية؟!

إيڤان : هممم... هممم...

مارك : صاحبنا سيرج صار ينتمي من الآن، إلى زمرة هواة التحف الفنية الكبار!

إيڤان : بالكل!

مارك : الأمر ليس بالتأكيد كذلك يا إيڤان، لأن المرء لا يمكن أن يُحشَر ضمن أي زمرة من زمر الصفوة، بتلك السومة. لكن سيرج يعتقد نفسه أنه كذلك.

إيڤان : آه، نعم... نعم.

مارك : وأنت. ألا يزعجك هذا؟

إيڤان : لا. ما دام ذلك يروق له.

مارك : ماذا تعني بـ«ما دام ذلك يروق له»؟ أي فلسفة هذه التي تجعلك تقول: «ما دام ذلك يروق له»؟

إيڤان : ما دام أن ما من ضرر هناك للغير، ولا هناك أي أذى...

مارك : إنما في هذا مضرة بالغير! فأنا مبلبل الخاطر يا صاح، بل وأشعر حتى بالإهانة أجل، لأنني أرى صديقي سيرج، الذي أحبه، ينساق بتباه وحذلقة مع من يسلبه المال، دون القدرة حتى على امتلاك ولو ذرة صغيرة من الوعي والتبصر.

إيـڤـان : يبدو وكأنك تكتشف أمره لأول مرة. لقد كان يتردد دوما على أروقـــة العرض، بكيفية تثير الضحك... كان دوما بمثابة جرذ المعارض...

مارك : صحيح أنه كان دائما جرذ الأروقة والمعارض؛ إلا أنه كان ذلك الجرذ المدمن الذي بمســـتطاع المرء أن يداعبـــه ويضحك معه. لكن ما يؤلمني حقا في أمره، هو أننا لم نعد نســـتطيع الضحك معه، على الإطلاق.

إيـڤـان : على العكس!

مارك : بالمرة.

إيـڤـان : وهل حاولت معه؟

مارك : بالتأكيد، ضحكت. ومن قلبي الخالص. وإلا ماذا تريدنـــي أن أفعل؟... لكنه زم فمه ولم يفتحه... ثم إن عشرين مليونا ســـعرٌ لا يشجع المرء، لارتفاعه النسبي، على الانخراط في الضحك، مثلما ترى!

إيـڤـان : أجل. (يضحكان). معي أنا سيضحك.

مارك : ســـأندهش للأمر إن وقع. مزيدا من حبات جوز البلاذر.

إيـڤـان : سوف ترى، إنه سيضحك.

***

(في شقة سيرج).

(سيرج برفقة إيڤان. اللوحة لا تُرى).

سيرج : ... ومع حمويْك، العلاقة جيدة؟

إيڤان : ممتازة. يرددان في قرارهما بأن هذا الفتى، الذي استبدل شغلا عارضا بآخر عارض، سيتلمس طريقه الآن وسط ورق الرق... لدي شيء ما هنا، في اليد. ما هذا؟ (سيرج يفحص الموضع المشار إليه في اليد)... أهو شيء خطير؟

سيرج : لا.

إيڤان : هذا أفضل. أثمة من جديد؟

سيرج : لا شيء. مجرد شغل. شغل كثير ومتعب. تسرني رؤيتك. أنت لا تتصل أبدا بالتلفون، يا صاحبي.

إيڤان : لا أجرؤ على الإزعاج.

سيرج : أنت تمزح. لن يتطلب منك الاتصال سوى ترك اسمك للسكرتيرة، كي أعيد الاتصال بك فيما بعد.

إيڤان : معك حق. يوما بعد يوم، ينحو بيتك صوب الرهبنة.

سيرج (ضاحكا) : أجل!... هل رأيت مارك، في هذه الأيام الأخيرة؟

إيـڤـان : لا، ليس في الأيام الأخيرة. وأنت، هل رأيته؟

سيـرج : منذ يومين، أو ربما ثلاثة.

إيـڤـان : وهل هو بخير؟

سيـرج : أجل، ومن غير شيء إضافي.

إيـڤـان : حقا؟!

سيـرج : لا، إنما هو بخير.

إيـڤـان : كنت قد تحادثت معــه في التلفون، ويبدو لي أنه بخير.

سيـرج : أجل، أجل، هو بخير.

إيـڤـان : بــدا عليك قبل قليل، وكأنك تشــير إلى أنه ليس على ما يرام.

سيـرج : لا، أبدا. قلت إنه بخير.

إيـڤـان : ولكنك قلت: ومن غير شيء إضافي.

سيـرج : أجل، إنه بخير. لكن، من غير شيء إضافي.

(فترة صمت طويلة).

(يتجــول إيڤــان مــن غيــر هــدف محــدد، في الحجرة...)

إيـڤـان : هل تفسحت بعض الشيء؟ وهل رأيت أشياء ما؟

سيـرج : لا شيء. لم تعد بحوزتي موارد كافية للخروج.

إيـڤـان : حقا؟!

سيرج (بابتهاج) : لقد أفلست!

إيـڤـان : حقا؟!

سيـرج : أترغب في رؤية شيء نادر؟ أتريد؟

إيـڤـان : ولم لا؟ هات!

(يخرج سيرج، ثم يعود إلى الحجرة، محتضنا لوحة أنتريوس. يديرها، ويضعها أمام إيڤان).

(يمضي وقت طويل، يستغرقه إيڤان في فحص اللوحة، بينما يقضيه سيرج في فحص إيڤان).

إيـڤـان : آه! نعم. نعم.

سيـرج : أنتريوس.

إيـڤـان : نعم، نعم.

سيـرج : إنه أسلوب أنتريوس في السبعينيات. لذلك، حذار من الخلط. لديه اليوم مرحلة مشابهة لهذا الأسلوب، لكن هذه اللوحة بالضبط، وليدة مرحلة السبعينيات.

إيفان : نعم، نعم... وهل هي غالية؟

سيرج : مــن الناحية النظرية العامة، نعم. أما في الواقع، فلا... هل أعجبتك؟

إيفان : نعم! نعم، نعم.

سيرج : بديهي.

إيفان : بديهي، نعم... نعم... وهي في نفس الوقت...

سيرج : ذات جاذبية.

إيفان : همممم... نعم.

سيرج : وهنا... تشعر باهتزاز.

إيفان : ... شيئا ما...

سيرج : لا، لا. كان ينبغــي أن تصل فــي منتصف النهار. اهتزاز اللون الوحيد لا يُرى بإضاءة اصطناعية.

إيفان : همممم...

سيرج : مع أن الأمر لا يتوقف على مجرد لون وحيد!

إيفان : لا!... وبكم؟

سيرج : مائتا ألف.

إيفان : ... كذلك، إذن.

سيرج : نعم، كذلك.

(صمت)

(فجأة، يجلجل فم سيرج بالضحك، فيضحك على إثره إيڤان، فورا).

(يقهقه الاثنان سوية من صميم القلب).

سيرج : مجنون، أليس كذلك؟

إيڤان : مجنون!

سيرج : وبعشرين مليونا!

(يضحكان ضحكا صادقا).

(يتوقفان فجأة عن الضحك، فينظر كل منهما إلى الآخر).

(ثم يستأنفان الضحك مرة أخرى).

وحين يستعيدان هدوءهما، يقول سيرج: هل تعلم أن مارك رأى هذه اللوحة؟

إيڤان : حقا؟!

سيرج : أجل. وأصيب بالذعر.

إيڤان : حقا؟!

سيرج : قال لي إنها زبالة. وهي صفة غير مناسبة، على الإطلاق.

إيڤان : هذا صحيح.

سيرج : لا ينبغي للمرء وصف لوحة مثل هذه بالزبالة.

إيڤان : لا، بالكل.

سيرج : يمكننا أن نقول مثلا: لا أفهم في أمرها شيئا، ولا أستوعب من المسألة أي شيء، غير أنه لا يمكن أن نقول أبدا، بأنها «زبالة».

إيڤان : أرأيت ما ببيته؟

سيرج : لا شيء ليُشاهد.

وبيتك أنت أيضا، هو... على كل، أنا أريد أن أقول في النهاية، بأنك غير مهتم.

إيڤان : مارك شاب كلاسيكي الذوق، شخص كلاسيكي بكل المقاييس... فكيف تريد بعد هذا أن...

سيرج : أخذ يضحك بكيفية ساخرة ومستخفة. دون أدنى سحر... ولا حتى أي حس هزلي.

إيڤان : إنك لم تكن في حاجة إلى أن تنتظر إلى غاية اليوم، لتكتشف بأن مارك عصبي ومندفع.

سيرج : لا يملك حس الدعابة. معك أنت، أنا أضحك. أما معه، فأبقى جامدا.

إيڤان : هذا صحيح. إنه مغتم وكئيب هذه الأيام.

سيرج : أنا لا ألومه لأنه لم يتفاعل مع هذه اللوحة، إذ هو يفتقر إلى التربية التي من شأنها أن تؤهله إلى ذلك، بحيث ينبغي أن تتوافر لذلك عملية تعلم كاملة، وهو لم يحققها، لأنه لم يرغب قط في القيام بذلك، أو لأنه يعدم أي ميل خاص للقيام بذلك.

على أي، هذا لا يهم.

ما ألومه عليه هو نبرته، هو ادعاؤه، هو انعدام رقته وذوقه. إني ألومه على فظاظته. أنا لا ألومه على كونه لا يهتم بالفن المعاصر، ما دام الأمر لا يعنيني. ثم إني لأحبه، بعد كل هذا...

إيڤان : وهو كذلك!

سيرج : لا، لا، لا. لقد لمست لديه يومها، نوعا من... نوعا من العجرفة... ومن التهكم الفظ...

إيڤان : غير ممكن!

سيرج : بلى، ممكن! لا تقف دائما موقف من يحاول تلطيف الأجواء وتبسيط الأمور. اعدل عن رغبتك

الدائمة في أن تكون مصلح الجنس البشـــري كله! اعترف بأن مارك يتهلهل. لأن مارك بالفعل يتهلهل، ويتآكل.

(صمت)

***

(في شقة مارك).

(علـــى الحائط، لوحة من الفن التصويري تجســـد منظرا طبيعيا، منظورا إليه من خلال نافذة.

إيـڤـان : ضحكنا.

مارك : وهل ضحكت أنت؟

إيـڤـان : ضحكنا. ضحكنا سوية نحن الاثنين. أجل. أقسم برأس كاترين. ضحكنا نحن الاثنين.

مارك : قلتَ له بأنها مجرد زبالة، وضحكتما؟

إيـڤـان : لا، لـــم أقل له بأنها زبالة، وإنما ضحكنا بشـــكل تلقائي.

مارك : وصلت عنده، ورأيت اللوحة، فضحكت، ثم ضحك هو أيضا؟

إيـڤـان : نعم، كذلك حصل، إن شـــئت. حدث ذلك كذلك.

بعد كلمتين أو ثلاث تبادلناها.

مارك : وضحك من صميم القلب؟

إيـڤـان : من صميم القلب.

مارك : وإذن، هــا أنت ترى بأنــي أخطأت التقدير. ذلك أفضل. أنت حقا طمأنتني.

إيـڤـان : وسأذهب إلى حد مكاشفتك بالأفضل. سيرج هو الذي ضحك في البداية.

مارك : سيرج هو الذي ضحك في البداية؟!

إيـڤـان : أجل.

مارك : ضحك، فضحكت أنت بعده؟

إيـڤـان : أجل.

مارك : لكن، لماذا ضحك، هو؟

إيـڤـان : ضحك لأنه شــعـر بأني كنت على وشك الضحك. ضحك ليشعرني - إن شئت - بالارتياح.

مارك : لا قيمة لذلك، إن ضحك هو في البداية.

إن ضحك في البداية، فإنما لينتزع منك الضحك. هذا يدل على أنه كان يضحك من صميم القلب.

إيـڤـان : كان فعلا يضحك من صميم القلب.

مارك : كان بالفعـــل يضحك من صميم القلب، لكن ليس لسبب سديد.

إيـڤـان : وما السبب السديد؟ فقد وقعْتُ في لخبطة.

مارك : إنـــه لم يكن يضحك ســـاخرا من لوحته. أنتما لم تضحكا، لا أنت وهو، لنفس الســـبب: أنت ضحكت مـــن اللوحة، وهو ضحك ليجعلك ترتاح، ليجاريك، ليبين لك بأنه إلى جانب كونه يتذوق الفن، يستطيع أن يستثمر في لوحة واحدة مقدار ما تتقاضاه أنت في ســـنة كاملة، ومع ذلك يبقـــى صديقك القديم المحارب للتقليد، الـــذي يمكنك أن تغرق معه في الضحك!

إيـڤـان : همممم... همممم... (برهة صمت). تعرف...

مارك : ماذا؟

إيـڤـان : ستندهش...

مارك : نعم؟

إيـڤـان : أنا ما أحببت... كما أني ما كرهتُ تلك اللوحة.

مارك : بالتأكيد. لا يمكن للمرء أن يكره شيئا غير مرئي. لا يمكن للإنسان أن يكره اللاشيء.

إيـڤـان : لا، لا ... ثمة شيء.

مارك : وماذا هناك؟

إيڤان : ثمة شيء ما. فالأمر لا يتعلق بلا شيء.

مارك : أتمزح؟

إيڤان : أنا لست شـــديد الصرامة مثلك. إنها عمل فني. ومن وراءها ـ ولا شك ـ فكرة .

مارك : فكرة؟!

إيڤان : فكرة.

مارك : وما تلك الفكرة؟

إيڤان : إنها فكرة إتمام المسار.

مارك : ها ها ها!

إيڤان : إنها ليســـت لوحة منجزة بالصدفة، وكيفما اتفق، وإنما هي عمل فني يندرج ضمن مسار ما...

مارك : ها ها ها!

إيڤان : اضحك. اضحك كما يحلو لك.

مارك : أنـــت لا تقوم ســـوى بترديد الـــكلام الأخرق كله، الذي يقوله سيرج! وإذا كان الأمر معه مؤسف، فهو معك مضحك!

إيڤان : أتعلم بأنه صار يتعين عليك أن تحذر من غرورك،

يا مارك؟! لقد صرت خشنا وفظا ومنفرا بطبعك.

مارك : هــذا أفضل. بقدر ما أتقدم في الســن، بقدر ما أرغب في إثارة الاستياء.

إيڤـان : برافو.

مارك : وراءه فكرة!

إيڤـان : لم يعد الحديث معك ممكنا.

مارك : ... وراء ذلــك فكرة مــا!... ما رأيته يا صاح، هو مجــرد زبالة! إنمــا، اطمئن. اطمئــن، فثمة فكرة وراءها!... أتعتقد أن هناك فكرة وراء هذا المنظر الطبيعي المصور في هذه اللوحة؟... (يشــير بيده إلــى اللوحة المعلقــة على الحائــط)... لا، أليس كذلك؟ فهي مفرطــة الإيحاء. والقول بوجود فكرة فيه إفراط. إذ كل شيء موجود على القماش! ومن ثم، لا يمكن أن تكون هناك فكرة!...

إيڤـان : أنت تمزح، وهذا جيد.

مارك : إيڤان، اشرح لي بصيغتك الخاصة، أنت. حدثني عن أمــور هذه اللوحــة، وكيف شــعرت بها أنت، بالذات.

إيڤـان : أحسست باهتزاز.

مارك : هل أحسست باهتزاز؟

إيڤان : أتنفي أن أكون قادرا على تذوق تلك اللوحة، بشكل شخصي؟

مارك : بالطبع.

إيڤان : ولماذا؟

مارك : لأنـــي أعرفــك. لأنك إلــى جانــب الانحرافات المتســـاهلة التي تميزك، أنتَ شـــخص بســـريرة صافية.

إيڤان : ليـــس من الممكن أن يقال في شـــخصك أقل من هذا، أنت كذلك.

مارك : إيڤان، انظر إلي مباشرة، واجعل عينيك تركزان على عيني.

إيڤان : ها أنذا أنظر إليك.

مارك : هل حركت فيك لوحة سيرج شيئا ما؟

إيڤان : لا.

مارك : لذا، أجبني. أنت مثلا، حين تتزوج غدا من كاترين، فيهديك أحدهم تلك اللوحة بمناسبة الزواج... هل ستكون مسرورا؟... هل ستسر بها؟...

(إيڤان وحيدا).

إيڤان : بالتأكيد، لن أكون مســرورا. لن أكون مسرورا، غير أني لســت ذلك الشخص الذي يمكن أن يقول بشكل عام، أنا مســرور... أنا أبحث... أبحث عن مناســبة مـن شــأنها أن تجعلني أقــول إني مســرور وراض عنها... «هل أنت مســرور بزواجك؟»، ســألتني أمي ذات يوم، بطريقة غبية؛ «هل أنت على الأقل، مسرور بزواجك؟»... «بكل تأكيد، بكل تأكيد يا أمي»... كيف لك أن تقول: «بكل تأكيد؟»، فنحن إما نكون مسرورين، أو لا نكون. فما دخل «بكل تأكيد»، هذه؟...

***

(سيرج، وحيدا).

سيرج : بالنسبة إلي، هي ليست بيضاء.

حين أقول «بالنســبة لي»، فإني أعنــي بهذا أنها، بصفة موضوعية، ليست بيضاء.

هي ذات عمــق أبيض، وصباغة تميــل نحو اللون الرمادي...

وفيها حتى بعض الأحمر.

ويمكن القول إنه شاحب جدا.

أما أن تكون بيضاء وحسب، فهذا لن يروق لي.

مارك رآها بيضاء... وتلك حدود رؤيته.

مــارك رآها بيضاء فقط، لأنه تمســك بفكرة أنها بيضاء.

إيڤان، لا. إيڤان يرى أنها ليست بيضاء.

أما مارك، فبإمكانه أن يتصور أي شيء يريد، لأني ضجرت منه.

***

(مارك وحيدا).

مارك : كان ينبغــي علــي بوضــوح، أن أتنــاول حبيبات الإنياسيا.

لمــاذا لا ينبغــي أن أكــون صريحا، بشــكل قاطع جدا؟

فيم يعنيني أساسا، أن ينقاد سيرج من تلقاء نفسه مع خدعة الفن المعاصر؟!...

كلا، هــذا شــأن خطير. إنما كان مــن الممكن أن أوضح له الأمر، بكيفية مختلفة.

أن أعثر على صوت تطبعه نبرة استرضاء.

إذا لــم أتحمــل، جســدا وروحــا، أن يقتني أعز

أصدقائي لوحة بيضـــاء، فيتعين علي بالعكس، أن أتجنب مهاجمته. ينبغي أن أتحدث إليه بلطف.

من الآن فصاعدا، سأبلغه الأمور بلطف.

***

(بشقة سيرج).

سيرج : هل أنت مستعد للضحك؟

مارك : هيا، تكلم. قل ما عندك.

سيرج : إيفان أحب الأنتريوس.

مارك : وأين هو؟

سيرج : إيفان؟

مارك : لا. الأنتريوس.

سيرج : أتريد رؤيته مجددا؟

مارك : اعرضه عليّ مرة أخرى.

سيرج : كنت أعرف بأنك ستعود كي تراه ثانية!...

(يذهب، ثم يعـود برفقة اللوحة. فاصل قصير من الصمت، تخلله تأمل).

(إيفان أحاط به، والتقطه بسرعة).

مارك : هممم، هممم...

سيرج : طيب. اسمع: نحن لن نثقل على بعضنا بكلام مسهب يدور حول هذه اللوحة! فالحياة قصيرة... بالمناسبة، هل قرأت هذا؟ (يتناول كتاب «الحياة السعيدة» لسينيك[1]، ويلقي بها فوق المائدة المنحدرة، أمام مارك تحديدا). اقرأه، فهو من أمهات الكتب.

(مارك يتناول الكتاب، ويفتحه، ويتصفح المحتوى).

سيرج : قمة المعاصرة. إذا قرأته، لن تحتاج إلى شيء آخر بعده، أبدا. أنا لم يعد لدي الوقت الكافي للقراءة، لأني موزع بين شغل العيادة، المستشفى وما قررته لي فرانسواز، حين فرضت عليّ زيارة الأطفال كل نهاية الأسبوع؛ جديد فرانسواز: الأطفال بحاجة إلى أبيهم!.. مضطر أنا إلى الذهاب مباشرة إلى ما هو جوهري.

مارك : مثلما وقع لك مع الفن التشكيلي، أخيرا... حين

(١) سينيك Sénèque فيلسوف حكيم ورجل سياسة وشاعر ومسرحي روماني، عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، وهو أحد الأعمدة الرئيسية في المدرسة الفكرية الرواقية، بمعية زينون والإمبراطور مارك أوريل. ألف سينيك عدة مؤلفات، ظل أهمها تحفته الرائدة: الحياة السعيدة (المراجع).

أقصيّتَ بشـــكل عملي الشكل واللون معا... هاتين الشائبتين!

سيرج : أجل... لكني ما زلــت قادرا مع ذلك، على تذوق الصباغـــة المغرقة فـــي التصوير. مثـــلا لوحتك: منخفض الفلاماند[٢]. إنها سائغة للغاية.

مارك : ومـــا علاقتها بمنطقـــة الفلامانـــد؟ إنها لمنظر طبيعي في الكاركاسون[٣].

سيرج : أجـــل، معك حق. ولكن لها فـــي النهاية... بعض الجنوح النسبي نحو الأســـلوب الفلاماندي... من حيث اعتماد النافذة، والمنظور، و... على كل حال، هي جميلة جدا.

مارك : هي لا تساوي شـــيئا، كما الشأن بالنسبة لعملك أنت.

سيرج : بالنســـبة لهذا، لا أبالي!... زد على ذلك، أن الله وحده هو الذي يعلم كم سيُساوي في يوم من الأيام، هذا الأنتريوس!...

---

(٢) منطقة بلجيكية شهيرة ببواديها المخضرة، التي استهوت مجموعة كبيرة من الفنانين التشكيليين، الذين اشتهروا بصباغة تصويرية خاصة، ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر(المراجع).

(٣) الكاركاسون Karkason جهة محددة في البادية الفرنسية، تقع بالجنوب (المراجع).

مارك : ... لعلمــك، لقــد فكرت في الأمــر. فكرت فيه، وغيرت رأيي.

قبل أيام، فكرت فيك، وأنا أقود ســيارتي بباريس، فقلت في نفســي: أليس ثمة في العمق، شــاعرية حقيقية في ما أقدم عليه ســيرج؟... أليس إقدامه التلقائــي على ذلك الاقتناء غير المتســق، إنجازا شاعريا من الدرجة الرفيعة؟

سيرج : لكم تبــدو مهذبا ولطيفا، اليــوم! أكاد لا أتعرف عليك.

مارك : لا، لا. أؤكد لك. أنا أقر بالذنب.

سيرج : ولماذا تقر بالذنب؟

مارك : أنا شــديد الانفعال وعصبي بشكل فظيع، وأنظر إلى الأمور من منظور ســطحـي... إن الحكمة ـ إذا شئت ـ تعوزني.

سيرج : اقرأ سينيك.

مارك : حســنا. ها آنتذا ترى مثلا، الآن، بأنك تقول لي: «اقرأ ســينيك»، ومن شــأن هذا الكلام أن يستثير غيظي. وقد أقوى على أن تستثار أعصابي، لكونك قلت: «اقرأ سينيك»، أثناء محادثتنا. إنه لعبث!

سيرج : لا، لا. ليس عبثا.

مارك : حقا؟

سيرج : لا، لأنك اعتقدت بأنك كشفت عن...

مارك : أنا لم أقل بأني اغتظت، ولا سخطت...

سيرج : قلت إنك قد تقوى على أن تستثار أعصابك...

مارك : أجل. أجل، قلت إني قد أقوى على أن تستثار أعصابي...

سيرج : ... أن تستثار، وأن تسخط، وأنا أتفهم هذا. لأنك اعتقدتَ بأنك اكتشفتَ في عبارتي: «اقرأ سينيك»، ادعائي، وغروري! أنتَ قلت لي إنك تفتقر إلى الحكمة، فرددتُ عليك أنا بأن «اقرأ سينيك»، وهذا شنيع!

مارك : أليس كذلك؟

سيرج : هذا يعني أنك تفتقر بحق إلى الحكمة، لأني لم أقل لك «اقرأ سينيك» بلهجة آمرة، وإنما قلت «اقرأ سينيك»، على سبيل الاقتراح الودي، وحسب!

مارك : هذا صحيح! هذا صحيح!

سيرج : أنتَ ببساطة تفتقر في الأساس، إلى حس الدعابة.

مارك : بالتأكيد.

سيرج : أنت تفتقر إلى حس الدعابة، يا مارك. تفتقر بحق إلى حس الدعابة، يا صاحبي. في المرة السابقة، اتفقنا أنا وإيڤان، حــول هذا، وخلصنا إلى القول بأنك تفتقــر إلى حس الدعابة. مــا الذي يصنعه هــذا؟ إنه عاجز عــن الوصول تمامــا في الوقت، وهذا شأن لا يطاق! لقد ضيعنا علينا الحفل!

مارك : ... أيــرى إيڤــان بأنــي أفتقــر إلــى حــس الدعابة؟...

سيرج : إيڤان مثلي، يقول إنك صرت في الأيام الأخيرة، تفتقد حس الدعابة.

مارك : أقال لك إيڤان، خلال المرة الأخيرة التي رأيتما فيها بعضكما، بأنه يحب لوحتك، وبأني أفتقر إلى حس الدعابة؟...

سيرج : بالتأكيــد، قال ذلــك. نعم. اللوحــة أحبها، نعم. بصدق. أحبها... بالله عليك... ما الذي تتناوله؟

مارك : إنياسيا.

سيرج : أصــرت تؤمــن الآن بالعلاج عن طريــق الدواء المثيل؟

مارك : أنا لا أؤمن بأي شيء.

سيرج : ألم تلاحظ بأن إيڤان هزل كثيرا؟

مارك : وهي كذلك.

سيرج : هذا الزواج ينخرهما.

مارك : أجل.

(يضحكان).

سيرج : وهل باوّلا بخير؟

مارك : بخير. (مشيرا إلى لوحة الأنتريوس). أين ستضعها؟

سيرج : لم أحسم بعد. مرة أقول إن علي أن أعلقها هنا. ومرة أخرى أتراجع... قد تبدو هنا مفرطة في التباهي...

مارك : وهل ستضعها في إطار؟

سيرج (ضاحكا بشكل لطيف): لا!... لا، لا...

مارك : ولم لا؟

سيرج : هذا النوع من اللوحات لا يوضع في إطار.

مارك : حقا؟

سيرج : إنها مشيئة الفنان. لا ينبغي أن يوضع له حد. ثمة محيط من... (يشير على مارك بالاقتراب، ليعاين

القطع). تعال، كي ترى... أرأيت؟..

مارك : أهو لِصاق طبي؟

سيرج : لا، ذلك نوع من ورق الصر... الفنان هو من أعده.

مارك : من المضحك أن تتحدث عن الفنان.

سيرج : وكيف تريدني أن أسميه؟

مارك : تنعته بالفنان، في حين يمكنك أن تقول مثلا صباغ، أو... ذكرني باسمه... آه، نعم! أنتريوس...

سيرج : أهذا رأيك؟

مارك : تتحدث عن الفنان، كما لو كان نوعا من... على كل، هذا غير مهم. ما الذي سنشاهد الليلة؟ لنحاول مشاهدة شيء يستحق المشاهدة، ولو لهذه المرة.

سيرج : الساعة الآن، الثامنة. وكل الحفلات السينمائية ضاعت منا. من الغريب أن يكون صاحبنا، الذي لا يبالي بأي شيء، مثلما ترى أنت كذلك، دائم التأخر! إذ ما همه؟!

مارك : لنذهب إلى مكان ما لتناول طعام العشاء.

سيرج : معك حق. الساعة الآن تشير إلى الثامنة وخمس

دقائق. كان الموعد الذي ضربناه بيننا، بين السابعة والسابعة والنصف... ما الذي كنت تريد أن تقوله؟ بأني أنعت صاحب اللوحة ـ هكذا ـ بالفنان؟

مارك : لا شيء. كدت أتلفظ بكلام أخرق!

سيرج : لا، لا. رجاء. انطق.

مارك : تتحـــدث عـــن الفنان، كما لـــو كان... كما لو كان كائنا لا يُمس. وكأن الفنان... من فصيلة الكائنات المقدسة...

سيرج (ضاحكا) : لكنـــه بالنســـبة لي من هذه الفصيلة المقدســـة! أتعتقـــد بأني كنت ســـأنفق كل تلك الثـــروة، التي اقتنيت بها هذه اللوحة، على آدمي مبتذل؟!...

مارك : بالتأكيد، لا.

سيرج : ذهبت يـــوم الاثنين إلى بوبـــورغ(٤)... فهل لديك أي فكرة عـــن كم اللوحات التـــي كانت هناك، من توقيـــع أنتريوس؟... ثلاث! ثلاث لوحات من توقيع أنتريوس!... وفي بوبورغ!

مارك : مدهش.

سيرج : ولـــو حتـــي لا تقـــل جمالا، عـــن تلـــك اللوحات

(٤) بوبرغ Beaubourg منطقة في باريس كانت تضم مجموعة من الأروقة والمعارض، وهي الآن تضم معلمة جورج بومبيدو الثقافية والفنية (المراجع).

الثلاث!...

اسمع. سأقترح عليك شيئا... إذا لم يحضر إيڤان خلال ثلاث دقائق بالضبط، نخلي المكان. فقد اكتشفت مطعما رائعا يتخصص في الوجبات الليونية[5].

مارك : ولماذا أنت متحفز للغضب، بهذه الكيفية؟

سيرج : أنا لست متحفزا للغضب.

مارك : بلى، أنت كذلك.

سيرج : أنا لست متحفزا للغضب، أو بالأحرى نعم... أنا كذلك بالفعل، لأن من غير الجائز أن نرضى عن هذه الرخاوة... من غير الجائز أن نرضى عن هذا التقصير في التقيد بالمواعيد!

مارك : أنا في الواقع من يثير حنقك، فتتصدى أنتَ للانتقام من إيڤان المسكين.

سيرج : أنت بحق تسخر مني، بتحدثك عن «إيڤان المسكين»! إنك لا تقلقني... ثم لماذا ستقلقني؟

***

(٥) ليونية نسبة إلى ليون، وهي مدينة معروفة تقع جنوب باريس (المراجع).

سيرج : إنـه بصدق، يقلقنـي... يثير حنقـي... يتظاهر بالتحدث بنبـرة متأدبة. ويمكن للمـرء أن رصد، وراء كل كلمة يتلفظ بها، ابتسـامة مبطنة صغيرة وسـاخرة... من يراه على هذه الحال، يتكون لديه الانطباع بأنه يُلزم نفسـه بالبقـاء ودودا. لا تجبر نفسـك علـى البقـاء ودودا، يـا صـاح! إياك أن تفعل!...

أيكون اقتنائي لأنتريوس هو سـبب هذا؟... أيكون اقتنائـي للوحة الأنتريوس اسـتثار كل هذا الحرج بيننا؟... أهـو اقتنائي... الذي لم يحظ بسَـنَده، ربما؟...

لكن، أنا لا أبالي بسَـنَده! أنا لا أبالي بسَـنَدك، يا مارك!...

***

مارك : أيكون الأنتريوس، اقتناء الأنتريوس؟...

لا...

العلة قديمة... قديمة جدا...

إنها تمتد إلى ذلك اليوم الذي تلفظتَ فيه تحديدا، ونحـن نخوض فـي الحديث عـن الفـن، بلفظة

التفكيك، دون أن يكون الدافع دعابة.

ليست كلمة التفكيك هي التي أربكتني، وإنما النبرة الرصينة التي نطقت بها تلك اللفظة. إنك رددت يا صديقي، كلمة تفكيك بكيفية جادة، ومن غير تلميح منك لأية سخرية.

ودون أن أعـرف كيـف ينبغي لـي أن أواجه هذا الموقف، أعلنت بأني صرتُ مبغضا للبشر وكارها للمجتمع، فرددت علي بشكل حاسم: لكن، من تكون أنت؟ ومن أي موقع تتحدث؟...

وكيف استطعت استبعاد نفسك من دائرة الآخرين؟ رد علي سـيرج، قائلا بشكل حاسـم للغاية. والرد الأكبر الذي لم يكن منتظرا منه هو: ... من تكن يا صغيري مارك، حتى تظن بنفسك الظنون، وتتصور بأنك أعلى شأنا من الآخرين؟!

يومها، كان علي أن أهوي على وجهه بقبضتي.

وحيـن ينبطـح علـى الأرض، وهو نصـف ميت، أقـول له: وأنت؟ أي صديق أنـت؟ ومن أي صنف من الأصدقاء تكون يا سـيرج، حتى لا تقدر شـأن صديقك، وتعتبره كبير القَدر؟!

***

(بشقة سيرج، دائما).

(مارك وسيرج، مثلما تركناهما).

مارك : ذكــرت المطبخ الليوني. لكــن، ألن يكون الطعام الــذي يقدمه عســير الهضــم؟ ألا تعتقد أن يكون دسما شيئا ما، ونقانقه...؟

(يرن جرس الباب).

سيرج : الثامنة واثنتا عشرة دقيقة.

(يذهب سيرج ليفتح لإيڤان الباب).

(يقتحم إيڤان الحجرة، وهو يتحدث).

إيڤان : الوضــع إذن مأســاوي، مشــكلة لا حــل لهــا، ومأساوية فوق كل ذلك! تريد الحَماتان معاً أن يرد اســمهما على بطاقة الدعوة. كاترين تحب حماتها التي ســهرت تقريبا على تربيتهــا، لذلك تريد أن يُشــار إليها على البطاقة؛ أجل، تريــد لها، وهذا طبيعي، إذ أمها ميتة، أنّ يرد اســمها بجوار اســم الأب، والحماة لا تأمل في ذلك؛ وأنا أكرهها، أكره حماتي، وأرى أن من المســتحيل ذكر اســمها على تلك البطاقات، ووالدي لا يريد ذكر اسمه عليها إن لم يُذكَر اســمُها هي، إلا في حالة واحدة: حين لا

تعود حماة كاترين علـــى قيد الحياة، وهذا بالطبع مســـتحيل؛ لذلك، اقترحت ألا يتـــم ذكر أي قريب مـــن أقربائنـــا على البطاقـــات، مادام أنـــا لم نعد صغـــارا، ومـــادام أن بالإمكان أن نعلـــن عن قراننا لوحدنا، ومـــادام أنا قادريْن بمفردنا على أن ندعو المدعوين؛ فـــإذا بكاترين تصرخ، متعللة بحجة أن هذا، إن تـــم بهذه الكيفية، لن يكون ســـوى بمثابة صفعة على خد الأبويْن معا، الوالد والحماة، اللذين ســـيتكلفان بأداء نفقات الحفل المكلفة، بل ستكون بالأحرى صفعة للحماة خاصة، هي التي تجشـــمت الكثير من أجلها، أي من أجل كاترين، في حين أنها ليست حتى من صُلبها، فخلصت أنا في النهاية إلى الإذعان تماما ضد إرادتي، بسبب الإرهاق والتعب وحســـب، وقبلتُ بأنْ تذكر حماتـــي التي أكرهها، وهـــي امرأة دنيئة وقذرة، على بطاقات الدعوة إلى الفـــرح؛ فهاتفت والدتي لأخطرها بالأمر، قلت لها إني فعلت يا أمي كل ما كان في وسعي لأتفادى هذا الأمر، لكني انتهيت بـــأن رأيت بأن ما من مفر لنا من ذلك، وأن إيفـــون ينبغي أن تذكر على بطاقات الدعوة، فأجابتني أمي قائلة إذا ذكرت إيفون على البطاقات، فأنا لا أرغـــب في أن أذكر عليها، قلت

لها يا أمي، أنا أتوسل إليك، لا تزيدي في تعقيد الأمور، فقالت لي كيف تجرؤ على السماح لنفسك بأن تقترح علي أن يرد اسمي مفردا ووحيدا على البطاقة، كاسم امرأة متخلى عنها، تحت اسم إيفون المتصل باسم والدك، فقلت لها إن بعض الأصدقاء ينتظرونني يا أمي، وإني سأقطع المكالمة الهاتفية، في انتظار أن نستأنف الحديث في كل هذا بشكل هادئ، فأجابتني قائلة لماذا أكون دائما تلك الإنسانة التي لا يتم إشعارها، إلا لتنفذ ما قرره غيرها؛ كيف لك أن تقولي هذا يا أمي؟! أنت لست عجلة الاحتياط، بلى، أنا كذلك، ما دمت طالبتني بأن لا أزيد في تعقيد الأمور، وما مطالبتك لي بذلك إلا دليل على أن الأمور تقررت من قبل، وأن كل شيء تم ترتيبه من قِبَل غيري، وأن جميع الأشياء دبرت وراء ظهري، وأن ما على هيغيت الطيبة والمطواعة سوى قول «آمين» على كل شيء؛ أمي، قلت لها مضيفا، ثمة أصدقاء في انتظاري، أجل، أجل، قالت، لديك دائما أفضل ما ينبغي أن تقوم به، وكل الأمور عندك أهم، إلا أنا، الوداع، ثم قطعت الخط، وابتدرتني كاترين بالسؤال، وكانت بجانبي، غير أنها لم تسمع ما كان

يدور بيننا: ماذا قالت؟ فأجبتها بأنها لا ترغب في ذكر اسـمها على البطاقات مع اسـم إيفون، وهذا طبيعي بالنسـبة إليهـا، أنا لا أتحـدث عن هذا، قالت، وإنما عما قالته بصدد الزواج، لا شيء، أنتَ تكذب، كلا يا كاتي، أقسم لك، هي لا تريد أن يبرز اسمها مع اسـم إيفون، اتصل بها من جديد، وقل لها بأن الأم حين تعزم على تزويج ابنها، فإن عليها أن تتـرك كبرياءها جانبا، وهل بمسـتطاعك قول هذا الكلام لحماتك، لا علاقة لهذه بتلك، صاحت كاترين، لأني أنا من يتمسـك بحضورها، وليسـت هي، فلو أن المسكينة ـ بل بالأحرى اللطيفة ـ علمت بالمشاكل التي تولدت عن ذكر اسمها، لتوسلت لي بقوة كي لا تظهر علـى البطاقة، وإذن، اتصل مرة أخـرى بوالدتك؛ فاتصلت بها من جديد، ومما زاد من حدة التوتر أن كاترين كانت في الاستماع: لقد قُدتَ قاربـك إلى الآن، يا إيفـان، بأرعن طريقة ممكنـة في الملاحة، قالت لي أمي، ولأنك أقدمت اليوم فجأة، على الإعـداد لحفل القران، فأجدني مضطرة إلـى قضاء نصف يوم كامـل مع والدك، ذلك الإنسان الذي لم أره منذ سبع عشرة سنة، ولم أكن أنوي قط أن أعرض أمامه خلقتي البدينة التي

ترهلت، وكذلك مع إيفون التي أبلغك بالمناســبة، أنها وجدت لنفسها سبيلا كي تباشر لعبة البريدج، وهذا علمته مــن فيليكس بيــرولاري، أمي كذلك تلعب البريدج؛ كل هذا أســتطيع تفاديه، أضافت، لكن البطاقات، الشيء الذي سيتوصل به الجميع، وســيخضعه الجميع للفحــص، فإني أرغب في أن أبــرز عليها وحــدي؛ حركت كاترين رأســها على الســماعة، وقد ندتّ عنها تكشيرة مقززة، فقلت: أمي، لماذا أنــتِ أنانية إلى هذا الحد، أنا لســت أنانية، بالكل، أنا لســت أنانية يــا إيڤان، وأتمنى ألا تكــرر على مســمعي أنت الآخــر، ما حدث لي مع الســيدة روميرو، فتقول لي مثلما قالت لي هي هــذا الصباح، بأن قلبي من حجــر، وبأننا جميعا في العائلــة لنا، عوض القلب، قطعــة من الحجر بين الضلوع، هكذا قالت لي الســيدة روميرو هذا الصباح، لأني رفضت. وقد صارت مجنونة بشــكل تام! ما طلبته مني، أي أن أرفع لها سومة الساعة غير المُصرح بها إلى ٦٠ فرنكا، ومع ذلك، تجرأت فقالت إنا جميعا في العائلة لنا عوض القلب، قطعة حجر بين الضلوع، تقــول هذا في الوقت الذي تم فيه تثبيت الجهاز المنظــم لدقات القلب لأندريه،

نعم، أندريه الذي لم تسمح لنفسك حتى بأن تبعث إليــه بكلمة طيبة في بطاقــة بريدية، نعم، بالطبع هذا مثيــر للضحك، أنت كل شـــيء يضحكك، أنا لســت الشــخص الأناني يا إيڤان، ما زال أمامك الكثير من الأشــياء التي ينبغي تداركها في الحياة، هيا، انصرف الآن يا صغيري، والتحق بأصدقائك الأعزاء...

(صمت).

سيرج : وماذا بعد؟...

إيڤان : لا شـــيء. لا شيء بُتَّ فيه. قطعت الخط، ودخلتُ في مشــادة كلامية مــع كاترين. مشــادة صغيرة ووجيزة، لأني تأخرت عن الموعد.

مارك : لماذا تترك نفســك عرضــة للتضايق والإزعاج، بسبب هؤلاء النساء؟

إيڤان : لســت أدري ما ســبب ترك نفسي عرضة لذلك. إنهن مخبولات!

سيرج : يبدو عليك النحول!

إيڤان : بالتأكيد. فأنا فقدت أربعة كيلوغرامات. بســبب الغم والحصَر النفسي، فقط...

مارك : اقرأ سينيك.

إيڤان : ... هــذا كل ما بقي لي أن أفعله، أن أقرأ «الحياة السعيدة»! وما الذي يحتويه؟...

مارك : إنه تحفة رائعة، ومن أمهات الكُتُب!

إيڤان : حقا؟!...

سيرج : هو لم يقرأه.

إيڤان : الأمر كذلك، إذن!

مارك : لا، لم أقرأه، وإنما قال لي ســيرج قبل قليل، بأنه تحفة رائعة ومن أمهات الكُتُب!

سيرج : قلت له لأنه كذلك.

مارك : أجل، أجل.

سيرج : إنه تحفة رائعة.

مارك : ولماذا تغتاظ من غير أي سبب حقيقي؟

سيرج : يبدو عليك ما يشي بأني لا أكف عن القول، في كل وقت وحين، بأنه تحفة رائعة ومن أمهات الكُتُب.

مارك : أبدا...

سيرج : أنت تقول هذا بنبرة ساخرة...

مارك : كلا، وألف كلا!

سيرج : بلـــى، بلى. تـــردد «إنه تحفة رائعـــة، ومن أمهات الكتب»، بنبرة...

مارك : ... هـــو بحـــق مجنون! أبـــدا. أنـــا لا أقول ذلك كذلـــك!... إلا أنك أضفت علـــى العكس من ذلك، عبارة: قمة المعاصرة.

سيرج : أجل. وماذا في ذلك؟

مارك : قلت «قمة المعاصرة» كما لو كانت قمة المعاصرة أفضل ما يكون عليه الإطراء! كما لو أنا لا نستطيع، ونحن نتحدث عن شـــيء مـــا، أن نحدد أقصى ما يمكن أن تناله الأشـــياء من إطـــراء، من غير صفة المعاصرة!

سيرج : وماذا في ذلك؟

مارك : لا شـــيء فيه. مع أني لم أتوقف، مثلما لاحظت، عند لفظة «قمة»... «قمة» المعاصرة...!

سيرج : لا شك أنك تحاول أن تحتك بي، اليوم.

مارك : لا، أبدا...

إيڤـان : الكيّل سيطفح، إنّ وقع بينكما الخصام!

سيرج : ألا تجـد بأن من الأمـور الخارقة جدا، أن يؤلف أحدهـم كتابا منذ ألفي سـنة، فيبقى ما كتبه فيه راهنيا، على الدوام!

مارك : بلـى. بلـى. تلـك ميـزة تختـص بهـا الأعمال الكلاسيكية.

سيرج : المسألة مسألة ألفاظ.

إيڤان : إذن، ما الذي سـنفعله؟ أعتقد أن وقت السـينما قد فات، للأسف. أنخرج لتناول وجبة العشاء، في محل ما؟

مارك : أخبرني سيرج بأنك تأثرت كثيرا لرؤية لوحته.

إيڤان : أجل... تأثرت كثيرا لرؤيـة تلك اللوحة، أجل... لعلمك، أنا لست مثلما...

مارك : لا... هيا نخرج، لنتعشـى. فسـيرج يعرف محلا متخصصا في الطبخ الليوني الشهي والمغذي.

سيرج : لكنك قلت بأن ذلك قد يكون دسما للغاية.

مارك : رأيتُ بأنه قد يكون دسـما شيئا ما، لكني أرغب في تجريبه.

سيرج : كلا. إن رأيت بأنه سيكون دسما للغاية، فرأيي أن نذهب إلى مكان آخر.

مارك : لا، أنا حقا أرغب في تجريبه.

سيرج : إذن، ســنذهب إلــى ذلك المطعــم، إن كان هذا سيروقك. (موجها الكلام إلى إيڤان). أتريد تناول الطعام الليوني، أنت؟

إيـڤـان : أنا مثلكما. سأصنع ما ترغبان في صنعه.

مارك : هو سيلتزم بما نرغب فيه. هو دائما ما يلتزم بما نرغب فيه!

إيـڤـان : بالله عليكمــا، ما الذي دهاكما اليوم؟ أنتما بحق عجيبان!

سيرج : معه حق. نتمنى أن يكون لك رأي خاص بك، أنت وحدك، في يوم من الأيام.

إيـڤـان : اسمعا أيها الصديقين، إذا كنتما تنويان أن تجعلا مني موضوعا لسخريتكما، فإني سأعلن انسحابي! يكفيني ما أصبته، اليوم!

مارك : هيا، إيڤان. اقبل ببعض الدعابة.

إيـڤـان : عفوا؟

مارك : اقبل ببعض الدعابة، يا صاح!

إيـڤـان : بعــض الدعابة؟ أنا لا أرى بأن هناك ما يســتثير

الضحــك. تبـدو غريب الأطـوار بقولـك: بعض الدعابة.

مارك : أرى بـأن الدعابة تعوزك، هــذه الأيام. احترس، وانظر إليّ!

إيـڤـان : ما بك؟

مارك : ألا ترى بأن القليل من الدعابة ينقصني أنا أيضا، هذه الأيام؟

إيـڤـان : حقا؟

سيرج : طيــب. هذا يكفي. لنقرر في أمرنا. أنا بصراحة لا أشعر حتى بالجوع.

إيـڤـان : أنتما بصدق كارثيان هذا المساء!...

سيرج : أتريــد أن أعطيــك وجهــة نظري، فــي حكاية نسائك؟

إيـڤـان : مرحبا برأيك.

سيرج : أشدهن إثارة للأعصاب في نظري، هي كاترين. وعن بُعد.

مارك : ذلك بديهي.

سيرج : وإذا تركـت نفسـك من الآن عرضـة لإزعاجها،

فستهيئ نفسك بهذا لمستقبل مروع.

إيـڤـان : وماذا بوسع المرء أن يفعل؟

مارك : الإلغاء.

إيـڤـان : إلغاء الزواج؟

سيرج : معه حق.

إيـڤـان : لكني لا أستطيع. أنتما أخرقان!

مارك : ولماذا؟

إيـڤـان : لأني ببساطة، لا أستطيع! لقد وقع الترتيب لكل شيء. ثم إني أتردد على الوراقة، من شهور...

مارك : وما علاقة هذا بذاك؟

إيـڤـان : الوراقة في مِلْك خالها، الذي لم يكن في حاجة إلى تشغيل أي كان، وأحرى تشغيل شخص آخر مثلي، لم يسبق له أن اشتغل من قبل سوى في النسيج.

سيرج : اعمل ما بدا لك. المهم أني أبديت لك رأيي.

إيـڤـان : اسمح لي بأن أقول لك يا سيرج، من دون أي قصد في جرح عواطفك، بأنك لست الإنسان الذي يمكن للمرء أن يقبل منه النصائح المتصلة بالزواج،

على الخصوص. لا يمكن للمرء أن يقول بأن حياتك نموذجية في هذا الشأن...

سيرج : تماما.

إيـڤـان : أنا لا أستطيع إلغاء الزواج. أعرف بأن كاترين عصبية، إلا أن لها مزايا أخرى وفضائل. إن كفة حسناتها ترجح، حين يتزوج من كان مثلي مثلها... (مشيرا إلى الأنتريوس). أين ستضع هذه اللوحة؟

سيرج : لحد الآن، لا أعرف.

إيـڤـان : لماذا لا تضعها هنا؟

سيرج : لأن ضوء النهار سيسحقها هنا.

إيـڤـان : آه، تذكرت! لقد فكرت فيك اليوم، حين استنسخنا في الورشة خمسمائة ملصق، لشخص يرسم ورودا بيضاء. بيضاء بالكامل، على خلفية بيضاء هي الأخرى.

سيرج : الأنتريوس ليست لوحة بيضاء.

إيـڤـان : بالتأكيد، هي ليست كذلك. لكن ما قلته كان على سبيل الإشارة وحسب.

مارك : أترى بأن هذه اللوحة ليست بيضاء، يا إيڤان؟

إيـڤـان : لا، ليست كذلك، بالكل...

مارك : هكذا، إذن! وأي لون من الألوان ترى فيها؟...

إيـڤـان : أرى ألوانا كثيرة... بعض الأصفر، وبعض الرمادي، وخطوطا تميل قليلا نحو الأحمر...

مارك : فتتحرك أعماقك لمرأى هذه الألوان!

إيـڤـان : أجل... أنا أتأثر لها... لهذه الألوان.

مارك : شـــخصيتك تنقصها الكثافة، يا إيـڤـان. أنت كائن هجين ورخو.

سيرج : لماذا أنت عنيف مع إيـڤـان، هكذا؟

مارك : لأنــه مداهن صغير، خنــوع ومنخدع بالمال وبما يعتقــد بأنه ثقافة، تلك الثقافة التي أنا في الواقع، أبصق أنا عليها كلية!

(لحظة صمت).

سيرج : ... ما الذي دهاك؟

مـارك (متجهـا صـوب إيـڤـان) : كيف تســتطيع، يا إيـڤــان؟... وأمامي أنا؟... أمامي أنا، يا إيـڤـان؟...

إيـڤـان : أمامك أنت، ماذا؟ ... أمامك أنت، ماذا؟... فعلا، تلك الألوان تحرك أعماقي. مهما يكن رأيك فيها،

فهـــي تحركني. فلتقلـــعْ عـــن إرادة التحكم وتلقين الدروس.

مارك : كيف تســـتطيع أن تقول أمامي، بأن هذه الألوان تحركك؟

إيـڤـان : لأن هذا حقيقة.

مارك : حقيقة؟! أهذه الألوان تحركك، حقا؟!

إيـڤـان : نعم. هذه الألوان تحركني.

مارك : أهذه الألوان تحركك، يا إيـڤـان؟

سيـرج : هذه الألوان تحركه! وهذا من حقه!

مارك : لا، ليس هذا من حقه.

سيـرج : وكيف لا يكون من حقه؟

مارك : لا، ليس من حقه.

إيـڤـان : ليس من حقي؟!...

مارك : لا.

سيـرج : ولماذا ليس من حقه؟ أعلم بأنك. في هذه الأثناء. لست على ما يرام. عليك بزيارة طبيب!

مارك : ليس من حقه أن يقول بـــأن تلك الألوان تحركه، لأن ذلك ليس صوابا.

إيڤان : لا تحركني هذه الألوان، في نظرك؟

مارك : لا. لأن لا ألــوان هناك. ثم لأنــك لا تراها. ومن ثمة، فهي لا تحركك.

إيڤان : هذا رأيك، أنت.

مارك : يا للانحدار، يا إيڤان!...

سيرج : إنمــا من تكون أنــت بالذات، يا مــارك؟!... من تكون، لتفرض قانونك؟ أنت شــخص لا يعجبه أي شيء، ولا يحب أي شيء، ويحتقر الجميع، ويتمسك بشرفه كي لا يواكب عصره...

مارك : وما معنى أن يواكب المرء عصره؟

إيڤان : الوداع. أنا سأنصرف.

سيرج : إلى أين؟

إيڤان : إلــى حال ســبيلي. لا أرى ســببا يجعلني أمكث، لأتحمل قدح زنادكما.

سيرج : ابــق، من غيــر أي محاولة منــك للتباهي بعباءة العفة!... ثــم إنك حين تنصرف، ســتعطيه الحق بذلك، فيما قال. (يقف إيڤان مترددا، لا يدري أي موقف سيتخذ: البقاء أم الانصراف). أما الإنسان العصري فهو الإنسان الذي يعيش عصره!

مارك : يا للهراء! وكيف يمكن للإنســـان أن يعيش عصرا آخر غير عصره؟! هيا، اشرح لي هذا.

سيرج : إنسان عصره هو الشخص الذي يمكننا أن نقول عنه بعد عشرين سنة، أو حتى بعد مائة سنة، بأنه ممثل لعصره.

مارك : همممم، همممم... ولأي غاية؟

سيرج : كيف، لأي غاية؟

مارك : فيم ســيعنيني أن يُقــال عني ذات يوم، بأني كنت ممثلا لعصري؟

سيرج : الأمــر لا يتعلق بك أنت بالذات، يا صاح! أنت، لا أحد يعنيه أمرك! إنسان عصره، كما أرى ذلك، هو إضافة إلى الإنســـانية، من بين جميع أولئك الذين تنتقدهم... إنسان عصره لا يوقف تاريخ الصباغة الفنيــة عند حدود منظر طبيعي من ريف كافايون، تم رسمه بطريقة تصويرية خاصة...

مارك : ذلك الريف لا يسمى كافايون، وإنما كاركاسون.

سيرج : أجل. إنما ريف كافايون مثله مثل كاركاســون... إن إنســـان عصره يســهم في الحركــة الجوهرية والأصيلة للتطور...

مارك : وهذا في نظرك، أمر جيد.

سيرج : هو ليس بالجيد ولا بغير الجيد في ذاته، وإنما تلك طبيعة الأشياء. ثم لماذا تريد أن تضفي على الأمور تصورات أخلاقية؟

مارك : أتسهم أنتَ مثلا، في حركة التطور الجوهرية والأصيلة؟

سيرج : نعم.

مارك : وإيڤان؟...

إيڤان : لا. إن شخصا هجينا مثلي لا يشارك في أي شيء.

سيرج : إيڤان، بطريقته الخاصة، إنسان عصره.

مارك : وفي أي شيء ترى ذلك عنده؟ على الأقل، ليس بلوحة «الفتات» الموضوعة فوق مدفأته!

إيڤان : إنها ليس بالكل «فتات».

سيرج : بلى. هي «فتات».

إيڤان : كلا.

سيرج : مهما يكن. فإيڤان نموذج لنمط حياة معينة، نمط فكري معاصر، بشكل تام. مثلك أنت أيضا.

أنت في نمطيتك، وأنا آسف لهذا، إنسان معاصر. وكلمـــا تمنيــت حقيقة ألا تكون كذلـــك، إلا صرت ذلك، وأكثر.

مارك : إذن، كل شيء على ما يرام. فأين المشكلة؟

سيرج : المشكلة مشكلتك أنتَ، وحسب. أنت الذي يتمسك برغبة منقطعة النظير في الخروج عن دائرة البشر، فلا يســـتطيع تحقيق ذلك. وكأنك وسط دوامة من الرمل. بقدر مـــا تحاول الخروج من دائرتها، بقدر ما تغرق أكثر. هيا، قدم اعتذارك لإيڤان.

مارك : إيڤان جبان.

(علـــى إثر ســـماع إيڤان لهذه العبـــارة، يعزم على تنفيذ ما قرره: الانصراف بشكل سريع).

(يمضي وقت قصير).

سيرج : برافو.

(صمت).

مارك : الأفضل ألا نعود إلى رؤية بعضنا، ابتداء من هذا المساء... أليس كذلك؟...

سيكون من الأفضل لي أن أنصرف، أنا أيضا...

سيرج : ممكن.

مارك : طيب...

سيرج : أنت هو الجبان... تهاجم شابا عاجزا عن الدفاع عن نفسه... مع أنك تعرف هذا جيدا.

مارك : معك حق... معك حق. ثم إن ما قلته الآن، زاد من حجم انهياري... لاحظ أني ما عدت بغتة أفهم، ولا عدت أدري أبدا ما الذي يربطني بإيڤان... ما عدت أفهم بالكل على أي قاعدة تتبني علاقتي بهذا الشاب.

سيرج : لقد ظل إيڤان على مثل ما كان عليه من قبل.

مارك : لا. كان له بعض الجنون، وكان له بعض الفظاظة... كان هشا، إلا أنه ظل مثيرا للتسامح بجنونه...

سيرج : وأنا؟

مارك : وأنت، ماذا؟

سيرج : هل تعرف ما الذي يربطك بي؟...

مارك : ... هذا سؤال قد يجرنا إلى ما هو أبعد...

سيرج : هيا بنا.

(تسود فترة صمت وجيزة).

مارك : يزعجني أن أكون تسببت لإيڤان في بعض الألم.

سيرج : هكذا! أخيرا، تتلفظ بعبارة مفعمة نسبيا ببعض الإنسانية!... زد على ذلك أني أخشى أن تكون لوحة «الفتات» الموضوعة فوق المدفأة، من صنع والده!

مارك : بحق؟ يا لها من ورطة!

سيرج : أجل...

مارك : لكنك أيضا تـ...

سيرج : أجل، أجل. تذكرت ذلك، وأنا أقول له ما قلته.

مارك : يا للورطة!...

سيرج : هممممم...

(فترة وجيزة).

(يدق الجرس).

(يذهب سيرج لفتح الباب).

(إيڤان يدخل على الفور إلى الحجرة، فينخرط كالمرة السابقة في الحديث، بمجرد وصوله).

إيڤان : عودة إيڤان! كان المصعد مشغولا، فاندفعت

صوب السـلالم مـرددا في نفسـي، وأنا أتدحرج على الدرجات: جبان، هجين، وشـخص بلا كثافة. ثم فكرت في البحث عن مسـدس، والعودة به إلى هنا، لأقتله. حينها، سـيرى إن كنتُ رخوا ووضيعا. ولما وصلت الطابق السفلي، قلت في قرار نفسي: إيـه، يا صـاح! أنت لم تنفق في التحليل النفسـي سـت سـنوات، لتنتهي بقتل صديقك العزيز. أنت لم تنفق سـت سنوات في التحليل النفسي، لكي لا تـرى بأن وراء الهذر والخرف المنطوق بهما، أزمة وجودية، فشـرعت مجددا في الصعود، وأنا أردد في دخيلتي، بينما كنتُ أرتقي درجات السلم: اجنح إلى الصفح. فمـارك يلتمس منك النجدة. وعليك تقديـم النجدة، حتـى ولو كان ذلك على حسـاب شـخصيتك... زد على ذلك، أنـي تحدثت عنكما يومها، إلى فينكيلزوهن...

سيرج : تحدثت عنا إلى فينكيلزوهن؟!

إيفان : أنا أتحدث إلى فينكيلزوهن عن كل شيء.

سيرج : ولماذا تحدثت عنا؟

مارك. أنا لا أسـمح لك بالتحـدث عني إلى ذلك الأبلة.

إيـڤـان : أنت لن تمنع عني شيئا.

سيـرج : ولماذا تحدثت عنا؟

إيـڤـان : أحسست بأن علاقتكما متوترة، فأردت أن يمدني فينكيلزوهن بنصيحة...

سيـرج : وما الذي قاله عنا ذلك الأخرق؟

إيـڤـان : قال شيئا مسليا.

مارك : أيدلي مثل هؤلاء برأي؟!

إيـڤـان : لا، لا يدلـون عادة برأي، لكنـه أعطاني رأيه في هذا الشأن، بل وأقدَمَ حتى على سلك سلوك محدد معي، هو الذي لا يقدم على أي سلوك أبدا، ويشعر دائما بالبرد، وأقول له بأن يتحرك!...

سيـرج : حسنا. وماذا قال، إذن؟

مارك : ولماذا نأبه بما قاله؟!

سيـرج : ماذا قال؟

مارك : وفي ماذا سينفعنا هذا؟

سيـرج : أريد أن أعرف ماذا قال ذلك الأخرق... !

إيـڤـان (وهـو يفتش في جيب سترته): تريـدان أن تعرفا... (يُخرج ورقة صغيرة مطوية).

مارك : هل سجلت كلامه على هذه الورقة؟!

إيڤان (وهو يفتح الورقة الصغيرة المطوية): سجلته، لأنه معقد... هل أقرأ؟

سيرج : اقرأ.

إيڤان : ...«إذا كنتُ أنا هو أنا، لأني أنا بالفعل موجود، وإذا كنتَ أنتَ هو أنت، لأنك أنت بالفعل موجود، فإني أنا موجود وأنت موجود. وعلى العكس، إذا كنتُ أنا هو أنا، لأنك أنتَ بالذات هو الموجود، وكنت أنتَ هو أنت، لأني أنا بالذات هو الموجود، فأنا لست إذن أنا، ولا أنت هو أنت...». بهذا، ستفهمان لماذا اضطررت إلى الكتابة.

(برهة صمت).

مارك : كم تدفع له؟

إيڤان : أربعمائة فرنك للحصة الواحدة. وأتردد عليه مرتين في الأسبوع.

مارك : هذا جميل.

إيڤان : زد على ذلك، أني أدفع له نقدا. لأني تعلمت شيئا مهما: أنت لا تستطيع أداء ما يترتب عليك بالشيك. لقد قال فرويد: ينبغي عليك أن تحس

بالأوراق النقدية، وهي تختفي من بين يديك!

مارك : أنت محظوظ لكونك تحت رعاية ذلك المدرب.

سيرج : هذا صحيح!... وأتمنى أن تتكرم علينا بنسخة من هذه القاعدة الذهبية التي استنسختها على الورق.

مارك : أجل. بالتأكيد ستنفعنا.

إيڤان (وهو يطوي الورقة بعناية فائقة): أنتما على خطأ. إنها بالغة العمق.

مارك : إذا كنتَ بفضله قد عدت إلينا من جديد، حتى تمنحنا الخد الأيسر لنصفعه، فبإمكانك في هذه الحالة شكره. لأنه قد يكون صنع منك شخصا ضعيفا، إلا أنه مع ذلك سعيد، وهذا هو المهم!

إيڤان (متحدثا إلى سيرج): كل هذا لأنه لا يريد أن يصدق بأني تذوقت لوحتك الأنتريوس.

سيرج : لا يهمني ما تتصورانه، لا أنت ولا هو، بشأن تلك اللوحة.

إيڤان : بقدر ما أتمعن فيها، بقدر ما يزداد حبي لها. أؤكد لك.

سيرج : أقترح أن نوقف الحديث عن هذه اللوحة، مرة

واحــدة وإلى الأبد. مفهوم؟ إنــه حديث لا يعنيني، ولا يهمني.

مارك : ولماذا تتأثر سلبيا، وبهذه الكيفية؟

سيرج : أنا لا أتأثر سلبا بأي شيء، يا مارك. لقد عبرتما معا عن رأيكما، وانتهى الأمر. إذن، لنعتبره موضوعا مغلقا.

مارك : ها أنتذا ترى كيف تأثرتَ بكلامنا تأثرا سلبيا!

سيرج : أنا لم أتأثر سلبيا بكلامكما، أبدا. إنما تعبت.

مارك : إذا انجرحت مشــاعرك، فهــذا يعني أنك متعلق بأحكام الغير...

سيرج : أنــا متعب، يــا مارك. كل هذا الــكلام واهٍ... أنا في الحقيقة على مشارف الضجر منكما، هنا وفي هذه اللحظة بالذات.

إيڤان : لنخرج كي نتعشى!

سيرج : اذهبــا أنتما الاثنين. لمــاذا لا تكتفيان بالذهاب معا، أنتما الاثنين؟

إيڤان : لا! ما دمنا ثلاثة، فبثلاثتنا ينبغي أن نذهب.

سيرج : هذا على ما يبدو، غير مناسب بالنسبة لي.

إيـڤـان : لا أفهم ماذا يجري لنا. لنهدأ جميعا. ليس هناك أي سبب من شأنه أن يجعلنا نتعارك، خاصة بسبب لوحة.

سيرج : هل تعـي بأنك تصب الزيت على النار، بترديد عبارة «لنهدأ جميعـا»، التي تتصرف فيها بطريقة واعظ من القساوسة؟! أهذا أمر مستظرف منك؟

إيـڤـان : لن تبلغ مرادك في التأثير عليّ سلبيا.

مارك : إنـك تدهشـني! سـأزور طبيبـك المدعـو فينكيلزوهن.

إيـڤـان : لن تستطيع، لأن مواعيده كلها محجوزة سلفا. ما الذي تأكله؟

مارك : حُبيبات الجيلسيميوم.

إيـڤـان : إني انخرطتُ في مسـار الحياة المنطقي: زواج، وأبناء، ثم موت... أما تلك الورقة، فلست أدري ما الذي يمكنه أن يقع لي فيها؟

(يتناول سـيرج ـ وقد حركه دافع غريزي مفاجئ ـ لوحة الأنتريوس، فيعيدها إلى الموضع الذي كانت توجد فيه، خارج الحجرة).

مارك : ما عدنا جديرين برؤيتها؟!..

سيرج : تماما.

مارك : أو ربمــا خشــيتَ أن تنتهي، في حضــوري، إلى النظــر إليها وفحصها بنفس العينين اللتين نظرتُ بهما إليها، وأنا أتفحصها!...

سيرج : أبدا. أتعرف ما الذي قاله بول فاليري؟ ســأصب مزيدا من الماء في طاحونك.

مارك : لا يهمني ما قاله بول فاليري.

سيرج : ألا تحب بول فاليري هو أيضا؟

سيرج : لا تستشهد لي ببول فاليري.

سيرج : لكنك كنتَ من قبل، تحب بول فاليري!

مارك : لا يهمني ما قاله بول فاليري.

سيرج : أنت من جعلني أكتشــفه. أنت نفسك من جعلني أكتشف بول فاليري!

مارك : لا تستشــهد لي بما قاله بول فاليري، لأن ما قاله بول فاليري لم يعد يهمني.

سيرج : وما الذي لا تجعله موضوع عدم مبالاتك؟

مارك : أن تكــون أنــتَ قــد اقتنيت تلك اللوحــة!... أن تكون أنفقتَ عشــرين مليونا، في سبيل اقتناء تلك

الزبالة!

إيـڤـان : هل ستعود من جديد يا مارك، إلى ما طوينا صفحته؟

سيـرج : ما دمنا في لحظة المصارحة، سأكاشفك أنا أيضا بما لا أهمله، أو لا أكترث به. أنا لست غير لا مبالٍ بتلك الطريقة التي أوحيت لي بها، من خلال ضحكك الساخر وتلميحاتك، بأني وجدت أنا نفسي، بأن هذا العمل الفني فظ. إنك أنكرتَ عليّ إمكانية التعلق به تعلقا صادقا. أردتَ أن تخلق بيننا نوعا من التواطؤ المقيت. وحتى أعيد تكرار عبارتك يا مارك، أقول إن هذا هو ما يربطني بدرجة أقل بك، في هذه الفترة الأخيرة، هذا الشك المتواصل الذي تُظهره.

مارك : صحيح أني لا أقوى صراحة، على استيعاب حبك لهذه اللوحة.

إيـڤـان : ولكن لماذا؟

مارك : لأني أحب سيرج، وغير قادر على أن أحب سيرج، وقد اقتنى هذه اللوحة!

سيرج : ولمــاذا تقــول: «وقــد اقتنى»، ولا تقــول: «وهو يحب»؟

مارك : لأني لا أستطيع أن أقول: «وهو يحب»، لا أستطيع أن أتصورك تحبها.

سيرج : وإذن، لماذا أنا اقتنيتها، إن كنتُ لا أحبها؟

مارك : هذه هي كل المشكلة.

سيرج (متحدثا إلى إيڤان): لاحظ كيف يجيبني بغرور! أنا أتغابى عن قصــد، ويجيبني هو بزهو وغرور!... (إلى مارك). ولــم يدُر بخلدك ولو لثانية واحدة، بأن مشــاعري - حتــى فــي الحالة غيــر المحتملة! - قــد تُجرح، وأنا أســتمع إلى رأيك الحاســم فــي تلك اللوحة، والمتواطئ ضدها بتقزز؛ بينما أحببتها أنا بالفعل، حبا صادقا؟!

مارك : لا.

سيرج : حين طلبتَ مني أن أعطيك رأيي في باوْلا، الفتاة التي آزرتني خلال المدة التي اســتغرقها عشاؤنا، حيــن كنتُ أؤكد لك بأننا نســتطيع معالجة مرض إليرس دانلوس(٦) بحبيبات من الدواء التجانســي؛

(٦) إليرس دانلوسElhers Danlos.

أنا لم أقل لك بأني وجدتها دميمة، خشـــنة وبغير سحر. مع العلم أن ذلك كان بمقدوري!

مارك : أهذا رأيك في باولا؟!

سيرج : وماذا يكون في نظرك؟

إيڤان : كلا. هـــذا ليس هو رأيه فيهـــا! لا يمكن أن نرى باولا بهذه الشاكلة!

مارك : أجبني.

سيرج : أرأيت؟ أرأيت التأثير الذي يفعله هذا؟!

مارك : هل ما قلته عن باولا هو رأيك فيها؟

سيرج : وأكثر حتى.

إيڤان : لا، لا.

مارك : وأكثر، يا ســيرج؟ أكثر من خشنة؟! ألا تشرح لي ماذا تقصده بأكثر من خشنة؟...

سيرج : ها أنت ذا ترى! ما أن يتعلق الأمر بك شــخصيا، حتـــى يصبـــح للكلمات طعـــمٌ مر للغايـــة... أليس كذلك؟

مارك : ســيرج، اشـــرح لي مـــا الذي تقصـــده بأكثر من خشنة...

سيرج : لا تتكلـم بهذه اللهجة الجافـة. ذلك يكمن على الأقل... سـأجيبك... ذلك يكمـن على الأقل، في طريقة إبعادها لدخان السيجارة...

مارك : طريقة إبعادها لدخان السيجارة؟!...

سيرج : أجل. طريقة إبعادها لدخان السيجارة! تلك حركة قـد تبدو لك أنتَ تافهة، حركة لا ضير فيها، مثلما قد تتصور، إلا أنها ليسـت بالكل، كذلك. طريقتها فـي إبعاد السـيجارة هـي بالضبط، مـن صميم الخشونة!

مارك :... أنتَ تحدثني عن باولا، المرأة التي تشـاركني حياتي، بهذه الكلمات غيـر المحتملة، لأنك فقط تستهجن طريقة طردها لدخان السيجارة؟!...

سيرج : أجـل. طريقة طردها للدخان تدينها، من غير ما حاجة إلى كلام.

مارك : اشرح لي أكثر يا سـيرج، قبل أن أفقد السيطرة على أعصابي. فما تقوله خطير للغاية.

سيرج : أية امرأة في مكانها من المفترض أن تقول: عفوا، الدخان يضايقني بعض الشـيء، فهلا اسـتطعتَ تغييـر موضع المرمدة. لكن، لا. هي لا تقول ذلك.

تترفع عن الكلام، تكتفي برســم حركات مدروسة منها فيها رسالة احتقار. تكتفي بإشارات من يدها في الهواء، يُفهم منها التأفف المُشبع نسبيا ببعض الشــر. تكتفي بحركة من يدهــا، تريدها أن تكون غير مدركة، ترسل عبرها رسالة مقصودة، تقول ما معناه: «هيا، دخن، دخن. فهذا مخيب للآمال، إنما ما جدوى أن يشار إليه؟!». وهذا ما يجعلك تتساءل إن كنتَ أنت بالذات من يزعجها، أم سيجارتك.

إيڤان : إنك تبالغ!...

سيرج : ها أنتذا ترى. إنه لا يقول إني لست على صواب، وإنمــا يقول بأني أبالــغ. لم يقل إني لســت على صواب! طريقتها في إبعاد دخان الســجائر توحي بطبيعتها الباردة، بتســامحها المتعجرف والمنغلق علــى الذات. وهذا هو ما تميــل إليه أنت بالذات، وتنحــو لتصيره. هذا مؤســف، يا مارك. حقا، من المؤسف جدا يا مارك، أن يقع اختيارك على امرأة سلبية بهذا القدر...

إيڤان : باوّلا ليست سلبية!...

مارك : اسحبّ كل ما قلته لحد الآن، يا سيرج.

سيرج : لا.

إيـڤـان : بلى، اسحبه!...

مارك : اسحبْ كل ما قلته، إلى حد الآن...

إيـڤـان : اسحبْ، اسحبْ! فهذا سخيف!

مارك : أحذرك للمرة الأخيرة، يا سـيرج. اسحبْ كل ما قلته، لحد الآن.

سيرج : أرى أنكما زوجـان من الطراز النادر. زوجان من الطراز الأحفوري!

(ارتمى مارك على سيرج).

(أسرع إيڤان للتدخل، كي يفصل بينهما).

مارك (لإيـڤـان) : انسحب!...

سيرج (لإيـڤـان) : لا تتدخل فيما بيننا...

اسـتتبع ذلك نوع مـن المصارعة الفظـة، ولكنها قصيرة جـدا، بين مارك وسـيرج. انتهت بضربة أصابت لسوء الحظ، إيڤان.

إيـڤـان : تبا!... الويل لكما!...

سيرج : أرني. أرني... (إيڤان يئن، على ما يبدو أكثر من اللـزوم). إنما أرني!... لا شـيء، تقريبا... ما بك شـيء... انتظر... (يخرج، ويعود بضمادة طبية).

خــذ، ضع هذه فــوق المكان الــذي يؤلمك، لمدة دقيقة.

إيڤان : لستما معا طبيعيين، بالمرة. ما الذي دهاكما، حتى تحولتما فجأة، من شابين عاديين إلى أخرقين!

سيرج : لا تغضب!

إيڤان : أشــعر حقيقة، بالألم! ربمــا أصبتما طبلة أذني بأذى رهيب.

سيرج : كلا.

إيڤان : ومن أدراك بهذا؟ أنت لســتَ متخصصا في طب الأذن والحنجرة!... ثم، لــمَ أنتما هكذا؟!... أنتما صديقان متعلمان بما يكفي!...

سيرج : هيا، اهدأ.

إيڤان : ليس من حقك أن تدمر شخصا ما، لأنك لا تحب طريقته في إبعاد دخان السجائر!...

سيرج : بلى.

إيڤان : إنما هذا في النهاية، بلا معنى!

سيرج : ومــا الــذي تعرفــه أنت، عــن معنى شــيء من الأشياء؟!

إيـڤـان : هيا، اعْتَدِ علي... زدْ في اعتدائك عليّ!...

ربما هناك نزيف ما بداخل أذني، لأني رأيت شيئا شبيها بفأر، يمضي أمامي...

سيـرج : إنه فأر.

إيـڤـان : فأر!

سيـرج : نعم. فأر يعبر من هنا، بين الفينة والأخرى.

إيـڤـان : في شقتك فأر؟!

سيـرج : لا تزل الضمادة. اتركها.

إيـڤـان : ماذا حل بكما؟... ما الذي حل بينكما؟ أحصل شيء ما جعلكما تصبحان إلى هذا الحد معتوهين؟

سيـرج : اشتريت عملا فنيا لم يناسب ذوق مارك.

إيـڤـان : أتتمادى في غيك؟!... لقد علقتما معا في دوامة، ولا تستطيعان الكف عما تتماديان فيه أبدا... إن وضعكما أشبه ما يكون بوضع إيڤون. العلاقة الأشد اعتلالا مما هو موجود!

سيـرج : ومن تكون هذه؟

إيـڤـان : حماتي!

سيـرج : مضى وقت طويل لم تحدثنا عنها.

(برهة صمت).

مارك : لماذا لم تكاشفني برأيك في باولا، في حينه؟

سيرج : لم أكن أرغب في أن أتسبب لك في أي حزن.

مارك : لا، لا...

سيرج : ما الذي تعنيه بلاءاتك؟

مارك : لا.

حين طلبت رأيك في باولا، أجبتني قائلا: إنكما تلائمان بعضكما بكيفية تامة.

سيرج : أجل...

مارك : كان رأيك فيها إيجابيا.

سيرج : دون شك...

مارك : كان بالفعل إيجابيا، في تلك الفترة. إيجابيا.

سيرج : طيب. وماذا تريد أن تثبت بهذا.

مارك : إن محاكمتك لباولا اليوم، وهي في الحقيقة محاكمة لي أنا، تجنح إلى الأسوأ.

سيرج : ... لم أفهم...

مارك : بلى. أنت تفهم.

سيرج : كلا.

مارك : منذ الوقت الذي لـم أعد أقوى فيه على مجاراة نزوعك الأهوج نحو ملاحقة كل جديد وعصري، مع أنك حديث العهد بهذه النزعة الهوجاء، أصبحتُ ـ في نظرك ـ «متعجرفا» و«منغلقا» في وجه العالم... و«متحجرا»!..

إيـڤـان : ينتابني دوار!... يعبر دماغي دوار!

سيرج : أتريد بعض الشراب؟

إيـڤـان : أتعتقـد بأنـه ينفـع؟... أتعتقـد بأن الشـراب شـيء منصوح به، في حالة مـا إذا أصيب الدماغ بوعكة؟...

سيرج : أتريد قرص أسبيرين؟...

إيـڤـان : لست أدري إن كان الأسبيرين...

سيرج : طيب، ما الذي تريده إذن؟!

إيـڤـان : لا تباليا بأمري. تابعا حديثكما العبثي، ولا تكترثا بي.

مارك : هذا صعب.

إيـڤـان : ألا يمكـن أن يكون فـي قلبيكما نزر ولو قليل من

الرحمة والشفقة؟

سيرج : أنا أحتمل حياتك مع باولا. ولا أحقد عليك بسبب حياتك مع باولا.

مارك : ليس لك الحق في أن تحقد علي.

سيرج : وأنــت؟ ألديك الحــق في أن تحقــد علي، حين أكون... كدتُ أقــول، مثلما ترى: حين أكون برفقة الأنتريوس؟!

مارك : أجل.

سيرج : ... ثمة شيء ما يفلت مني في ردك.

مارك : أنا لم أستعض بباولا عنك.

سيرج : أتعتقد بأني استعضدت عنك بالأنتريوس؟

مارك : نعم.

سيرج : ... هل استعضت عنك بالأنتريوس؟!

مارك : أجل. بالأنتريوس... وما يرافقه.

سيرج (موجها الكلام إلى إيفان): أتفهم ما يقوله؟...

إيفان : أنا لا أبالي بكما، إنكما مخبولان!

مارك : مــا كنت لتتقــدم في عهــدي، على اقتنــاء هذه اللوحة.

سيرج : ما الذي تعنيه بقولك: في عهدي؟

مارك : في العهد الذي كنتَ تميزني خلاله عن الآخرين، لما كنتَ تقيس أمورك وفق مقاسي لها.

سيرج : أكان ثمة بيننا عهد ما، بهذه الطبيعة؟

مارك : لكم أنت فظ!

سيرج : لا، أبدا. أؤكد لك. إنما اندهشت!

مارك : لو لم يصر إيڤان بلا ذاكرة، لأكد لك ما قلته.

إيڤان : واصل، واصل شتيمتك. فقد سبق لي أن قلت بأني لا أبالي.

مارك (متحدثا إلى سيرج): مضى ذلك العهد الذي كنت فيه فخورا، باتخاذي صديقا لك... كنت تهنأ نفسك على غرابتي، وعلى ميلي إلى البقاء خارج اللعبة. كنتَ، أنتَ الذي يحيا بكيفية طبيعية للغاية، تحب عرض توحشي على العموم. كنتُ أنا ذريعتك، ولكن... ينبغي أن يسلم المرء بأن هذا النوع من العاطفة، سينضب على المدى البعيد... فأخذتَ استقلالك، على المدى المتأخر جدا...

سيرج : أستحسن استعمالك لعبارة: «على المدى المتأخر جدا».

مارك : وأنا أكره هذا الاستقلال. عنف هذا الاستقلال. لقد هجرتني، وخنتني. أنتَ بالنسبة لي خائن.

(صمت).

سيرج (متحدثا إلى إيڤان):... إنه كان، إذا استوعبت جيدا مقالته، كان مرشدي!.. (إيڤان لا يجيب. مارك يتفرس في وجهه باحتقار. تمضي فترة وجيزة على ذلك)... وإذا كنتُ أنا أحببتك، بصفتك مرشدا... فما الشكل الذي كانت عليه مشاعرك نحوي، أنت؟

مارك : إنك كنتَ تحزر به.

سيرج : أجل، أجل. لكني أريد أن أسمعه منك.

مارك :... كنتُ أحب نظرتك. كنتُ أشعر بالإطراء. كنت دائما ممتنا لكونك تعتبرني خارج السرب... وقد اعتقدت حتى بأن الخروج عن السرب كان شأنا عظيما، إلى أن حل اليوم الذي قلت لي فيه عكس ذلك.

سيرج : إن هذا لمروع!

مارك : إنها الحقيقة.

سيرج : يا له من فشل!!...

مارك : أجل، يا له من فشل!

سيرج : يا له من فشل!

مارك : بالنسبة لي، على الأخص... أما أنتَ فعثرت على أسرة جديدة. طبيعتك المولعة بتقديس الأوثان أوْجَدت لها أصناما أخرى. الفنان!... التفكيك!...

(لحظة وجيزة).

إيڤان : ما معنى التفكيك؟...

مارك : لا تعرف التفكيك؟!... اسأل سيرج، فهو يعرف جيدا هذا المفهوم... (إلى سيرج): لكي تجعل عملا فنيا ما يخضع لقراءة واضحة، فتشت في سجل الأشغال العمومية عن مصطلحات!... ها أنتذا تبتسم! أرأيت؟ حين تبتسم بهذه الكيفية، أستعيد الأمل... يا للأبله!...

إيڤان : عليكما أن تتصالحا! ولنقض معا ليلة سعيدة، لأن كل هذا شيء مضحك!

مارك : ... هذا بسبب غلطتي. لم نعد نتزاور كثيرا، خلال هذه الفترة الأخيرة. كنتُ متغيبا، وكنتَ أنتَ تتردد على أهل الدرجة الرفيعة... على آل روبز... آل ديسبيرز كودير... وعلى ذلك الطبيب المختص في علاج الأسنان، غيه هابييه... ذلك الطبيب الذي...

سيرج : لا، لا، لا، بالكل. ليس هذا عالمه على الإطلاق... إنه لا يحب الفن التجريدي...

مارك : أجل، إنما ذلك الشيء نفسه، على كل حال.

سيرج : لا، ليس ذلك الشيء نفسه.

مارك : هـا أنت ترى، هـذه حجة أخرى تؤكـد لي بأني تركتُكَ تنحرف... لم نعد حتى نتفاهم على مستوى المحادثة العادية.

سيرج : أجهـل تمامـا بأني كنتُ ... بأنـي كنتُ إلى هذا الحد، تحت سيطرتك!...

مارك : ليـس تحت سـيطرتي، لا ... لا يتعين على المرء أبـدا، أن يترك أصدقاءه مـن دون مراقبة. ينبغي أن نراقب أصدقاءنا على الدوام. وإلا فسـيفلتون منا ... انظر إلى هذا البائس، إيڤان، وكيف تركناه ليصير مذعورا، وراقـا وزوجا عما قريب!... هذا الشـاب الذي كان يُتحفنا معـا بطرافته الفريدة، يبذل قصارى جهده الآن، ليمحو كل ذلك!...

سيرج : «يتحفنـا معا»؟! أتدرك حقيقة ما تتفوه به؟ تريد لكل شيء أن يكون متوافقا مع ما ترغب فيه!.. تعلم يا مارك، أن تحب الناس لذاتهم!

مارك : ما معنى «لذاتهم»؟!

سيرج : مثل ما هم عليه.

مارك : ومـاذا هم عليه؟ ما الكيفيـة التي هم عليها؟!... أبعد مـن الأمل الذي أضعه فيهـم؟... إني أبحث عبثا عن صديق يسبق وجوده وجودي. ولحد الآن، لم يحالفنـي الحظ. وكان علـي أن أصوغك وفق شكل محدد... لكنك رأيت بأن هذا غير مجدٍ. من يوم لآخر، يذهب المخلوق المصاغ ليتعشى عند آل ديسـبيريز كودبير، فيشتري لوحة فنية بيضاء، كي يثبت بها منزلته الجديدة ووضعه الاعتباري.

(صمت).

سيرج : إذن، ها نحن على مشـارف وضـع نهاية لعلاقة دامت خمس عشرة سنة!...

مارك : أجل.

إيڤان : إنكما تستحقان الرثاء!...

مارك : إنك لتـرى بأنا لو اسـتطعنا أن نتحادث بكيفية طبيعيـة، أو على الأقل لو أني اسـتطعت أن أعبر عما أتصوره، وأنا أحافظ على هدوئي...

سيرج : ماذا كان سيحدث؟...

مارك : لا، لا شيء.

سيرج : بلى، بلى. تكلم. هيا، لنحاول أن نتجاذب فيما بيننا ولو القليل من الكلام الهادئ، ومن غير أعصاب.

مارك : ... أنا لا أؤمن بالقيم التي تنتظم الفن اليوم، وتتحكم فيه... قانون الجدة... قانون المباغتة... ثم إن المباغتة لشيء ميت في الأصل. ميت بمجرد ما أن يتم تمثلها في الذهن، يا سيرج.

سيرج : طيب. وماذا في ذلك؟

مارك : هذا كل شيء... لقد كنت بالنسبة إليك أيضا، جزءا من قانون المباغتة، على وجه التقريب.

سيرج : ما هذا الهراء الذي تحكيه؟!

مارك : كنتُ ـ وفق ما ينبغي أن أقول ـ مباغتة دامتْ لفترة محدودة.

إيڤان : فيلكينزوهن رجل عبقري! أؤكد لكما بأنه فهم كل شيء.

مارك : أود لو تتوقف عن الفصل بيننا، والكف عن التأمل في هذا الحديث من الخارج، يا إيڤان.

إيڤان : أتريد إقحامي فيه؟! لا مجال لذلك. ثم ماذا يعنيه ذلك؟ لقد تمزقت طبلة أذني. عليكما أن

تصفيا حسابكما بمفردكما، الآن!

مارك : هل تكـــون طبلة أذنـــه تمزقـــت؟ فالضربة التي وجهتها إليه كانت عنيفة جدا.

سيرج (ضاحكا بسخرية): رجاء، من غير زهو ولا خيلاء!

مارك : أرأيت، يـــا إيڤـان؟! ما لا أتحملـــه فيك في هذه اللحظة بالذات، علاوة على ما ســبق لي أن أشرت إليـــه، وهو جزء مما أراه، هو رغبتك في التســوية بيننا. تريدنا أن نكون متعادلين، لتخفف من جُبنك. تريد أن ترانا نِديّن في النقاش، ونِديّن في صداقتنا القديمة. لكنا لسنا نديّن، يا إيڤـان. عليك أن تختار صفك.

إيـڤـان : لقد اخترته.

مارك : ممتاز.

سيرج : أنا لست في حاجة إلى مُؤازر.

إيـڤـان : لمـــاذا نصر علـــى رؤية بعضنا البعـــض، إذا كنا نتباغض؟ واضح أننا نتباغض! على كل حال، أنا لا أكرهكما، لكنكما تتباغضان، وتكرهاني! إذن، لماذا نتزاور؟... أنا كنت مستعدا لقضاء ليلة مريحة، بعد أسبوع من المشاغل العبثية، واحتجت إلى لقاء أعز

صديقيـــن عندي، لأذهب برفقتهما إلى الســـينما، والمشاركة في الضحك، لتلطيف المزاج...

سيرج : لاحظ أنك لا تتحدث سوى عن نفسك.

إيـڤـان : وأنتمــا؟ عمن تتحدثــان؟ إن كلا منا يتحدث عن نفسه.

سيرج : لقد تسببت لنا في ضياع هذه الأمسية، و...

إيـڤـان : أأضعت عليكما الأمسية؟!

سيرج : أجل.

إيـڤـان : أأضعت عليكما الأمســية؟ أنا؟! أأضعت عليكما الأمسية، أنا؟

مارك : أجل، أجل. وبلا احتدام المشاعر، أرجوك!

إيـڤـان : أأنا من أضاع عليكما الأمسية؟

سيرج : كم مرة ستكرر هذا؟

إيـڤـان : بالله عليكمــا، أجيباني: أأنا مــن أضاع عليكما الأمسية؟

مارك : جئت متأخرا بساعة إلا ربع، وظل حضورك بيننا حضور المتفرج الضعيف والمحايد، الشــيء الذي دفعنا إلى تصعيد خطير في النقاش، أنا ومارك.

إيڤان : أنت أيضا تلومني؟! أنت أيضا تقف ضدي؟!

سيرج : أجل، لأني في هذه النقطة متفق معه بشـكل تام. إنك أسهمت في خلق شروط النزاع بيننا.

مارك : تلـك النبرة الباهتة والمتخاذلة، التي يصطبغ بها صوت العقل عندك، وتحاول أن تسمعها لنا منذ أن وصلت، هي نبرة لا تطاق!

إيڤان : إنكما تعلمان بأني أستطيع أن أبكي... بأني قادر علـى الانخراط في البكاء، حـالا... ثم إن حالتي ليست الآن، إلى جانب هذا، ببعيدة عن البكاء...

مارك : إذن، ابك.

سيرج : لك أن تبكي.

إيڤان : ابك؟!... أتقولان: ابك؟!..

مارك : كل أسباب البكاء تجمعت لديك، يا إيـڤان... فأنتَ فقدت الآن، صديقين ظللت تعتقد بأن صداقتهما أبدية، وستتزوج قريبا من امرأة مسيخة، و...

إيڤان : أتعتقدان بأن كل شيء انتهى؟! بأن كل شيء صار في خبر كان؟!

مارك : أنت نفسك من قال: «لماذا نُصر على رؤية بعضنا، إذا كنا نتباغض»؟!

إيـڤـان : وزواجي؟ أنسيتما أنكما مدعوان لتكونا شاهدين، يوم عقد القران؟

سيرج : مـــازال أمامك متســـع مـــن الوقـــت للبحث عن غيرنا.

إيـڤـان : بالمرة. ثم إني ســـجلت اســـميكما في سكرتارية البلدية.

مارك : يمكنك أن تختار شهودا آخرين، في آخر لحظة.

إيـڤـان : ذلك لا يحق لي.

سيرج : بلى!

إيـڤـان : كلا!

مارك : لا تتعصب. سنكون حاضريْن.

سيرج : عليك أن تلغي هذا الزواج.

مارك : صحيح.

إيـڤـان : تبا لكما. ما الذي فعلته لأنال منكما كل هذا؟!

(يشرق في الدمع).

(يمضي وقت).

بشع ودنيء هذا الذي تقومان به! كان بمستطاعكما أن تتخاصما بعد الثاني عشـــر من هذا الشهر، لا

هــذا اليوم. أنتمــا تحاولان إفســاد حفل زواجي. هذا الزواج الذي يعد ســلفا كارثــة، أفقدني أربع كيلوغرامات من مجموع وزني، بينما أنتما تفسدانه عليّ بكيفية تامة! الشخصان اللذان كان حضورهما سيمنحني يوم الاحتفال، رصيدا غامرا من الرضا والطمأنينة، يحاولان الآن الاقتتال فيما بينهما؛ أنا بهذا ولد محظوظ حقيقة!... (إلى مارك): أتعتقد بأني أحب المغلفات البلاســتيكية المثقوبة ولفات اللصاق؟ أتظن أن الإنســان العادي يمكن أن يكون في حاجة ذات يوم، إلى أن يبيع الملفات والأوراق؟ ما الــذي تريدني أن أفعله؟ أديــت دور الأبله إلى أن بلغــت الأربعين من عمــري. بطبيعة الحال، أنا أســليك، أسلي صديقي كثيرا بحماقاتي، لكني في المســاء، ما الذي يحدث لي حيــن أبقى كالجرذ، وحيدا؟ ماذا يفعل من يعود إلى جحره في المساء، وحيدا؟! هل فكرت في المهرج، وهو يعاني بمفرده ولوحده، بعد أن يشغل كل الأدوات والوسائط التي تتكلم في شــقته، فلا يجد بأن أحدا ما قد اتصل به، وســجل اسمه على جهاز تســجيل المكالمات التلفونية غير أمه؟ أمه، وحسب؟!

(فترة صمت قصيرة).

مارك : ما كان ينبغي أن يصل بك الأمر إلى هذه الحال!

إيـڤـان : ما كان ينبغي أن يصل بك الأمر إلى هذه الحال!... ومن أوصلني إليها؟ قدرتكما على التحمل ليست لي، أنا. أنا الذي من يكون؟ شـــخص لا قيمة له، ولا رأي. أنــا رقاص الضغط. كنت دائما مجرد رقاص لقياس الضغط.

مارك : اهدأ.

إيـڤـان : لا تأمرني بالهدوء! ليس لي أي سبب لأهدأ؛ وإذا رغبــت في أن توصلني إلى حد الجنون، فما عليك إلا أن تطلــب منــي الهدوء! «اهــدأ» هي أفظع ما يمكن أن نطلبه من شـــخص فقد هدوءه! أنا لست مثلكما. لا أريد أن تكون لي سلطة. لا أريد أن أكون مرجعــا. لا أريد أن أكون موجودا بذاتي. إني أريد أن أكــون صديقكما. أن أكون إيـڤــان المتذبذب! إيـڤـان المتذبذب والمتشيطن!

(صمت).

سيرج : لو بمســتطاع المرء أن يكف عن المســاهمة في استثارة الشفقة!

إيـڤـان : لقد انتهيت... هل لديك شـــيء يصلح للقضم؟...

أي شيء. حتى أتجنب فقط، حالة الإغماء.

سيرج : لدي حبات زيتون.

إيڤان : إليّ بها.

(يناوله سيرج قدحا صغيرا به حبات زيتون، كان طوع اليد).

سيرج (متحدثا إلى مارك): أتريد زيتونا؟

(مارك يوافق).

(يناوله إيڤان القدح).

(يقضمان معا حبات الزيتون).

إيڤان : ... أليس لديك أي صحن، لنضع به الـ...

سيرج : بلى.

(يتناول طبقا، ويضعه فوق المنضدة).

(يمضي وقت).

إيڤان (وهو يتناول حبات الزيتون): أن يبلغ بنا الأمر إلى هذه الحدود القصوى... فمعناه أن تلك اللوحة البيضاء ابتلتنا بنكبة...

سيرج : ليست بيضاء.

إيـڤـان : هـــي زبالـــة بيضـــاء!... (ينخـــرط فـــي ضحك هســـتيري)... لأنها زبالة بيضاء!... اعترف بهذا، يا صاح!... إن ما اقتنيته ليس له معنى!...

(مارك يضحك، منساقا مع الضحك الهستيري الذي انخرط فيه إيـڤـان. يخرج سيرج من الحجرة).

(يعود على الفور بعدها، وبرفقته الأنتريوس. يضعه في المكان نفسه الذي كان وضعه فيه، من قبل).

سـيـرج (متحدثا إلى إيـڤــان): هل معك قلم من أقلامك اللبدة الذائعة الصيت؟

إيـڤـان : انتظر... (يفتش في جيوب سترته). نعم... معي قلم أزرق...

سيـرج : هاته.

(إيـڤـان يناول سيرج قلم اللبدة).

(ســـيرج يتناوله، فيزيح غشـــاءه، ثم يتفحص سنه الحادة للحظة، ويعيد الغشاء إلى مكانه).

(يرفع عينيه صوب مارك، ثم يرمي إليه بالقلم).

(مارك يلتقط القلم).

(تمضي لحظة وجيزة).

سيرج (متحدثا إلى مارك): هيا. (صمت). هيا.

(مارك يقترب من اللوحة).

(يزيح الغشاء عن القلم، بعد ذلك).

إيڤان : هل ستفعلها؟

(مارك ينظر صوب سيرج).

سيرج : هيا.

إيڤان : إنكما لمجنونان يستحقان معا أن يُشدا بوثاق!

(مارك ينحني بجذعه قليلا ليتقابل مع اللوحة، بكيفية أفضل).

(تحت نظرات إيڤان التي جمدها الرعب، يرسم خطا منكسرا، يساير حاشية مائلة تقع بعرض اللوحة).

(يبقى سيرج هادئا، لا تظهر عليه أي علامة من علامات التأثر).

(بعدها، يرسم مارك بتركيز شديد فوق ذلك المنحدر، قامة متزحلق صغير بطاقية على الرأس).

(وحين ينتهي، يصلح من هيئة وقوفه، ويتأمل عمله

الفني).

(يبقى سيرج جامدا، وكأنه قطعة رخام).

(إيڤان تحجر).

سيرج : طيب. أنا جائع. أين سنتناول طعام عشائنا؟

(يرسم مارك على شفتيه ابتسامة).

(يضع الغشاء على رأس القلم، ويقذفه بحركة بهلوانية إلى إيڤان، الذي يلتقطه في الهواء).

***

(في شقة سيرج).

(في العمق، الأنتريوس معلق على جدار).

(واقفا أمام اللوحة، مارك يحمل دسّتا بين يديه، يبلل فيه سيرج قطعة من القماش).

(مارك مشمرا على ساعديه، بينما سيرج يرتدي وزرة مصمم عمارات قصيرة جدا. بالقرب منهما يمكن للمرء أن يلمح بعض أدوات التنظيف، من قبيل القارورات، أو القنينات التي تضم بعض السوائل، مثل الكحول المنظف والمياه القرمزية، إلى جانب خرق وإسفنجات)...

(بحركة دقيقة جدا، يضيف سـيرج آخر لمسة من لمسات تنظيف اللوحة).

(استعادت لوحة الأنتريوس بياضها الأصلي الناصع كله).

(يضع مـارك الدسـت علـى الأرض، وينظر إلى اللوحة).

(يلتفت سيرج نحو إيڤان، الذي جلس في الخلف.

إيڤان يستحسن العمل).

(سيرج يتراجع إلى الخلف، ويتأمل بدوره اللوحة).

(صمت).

إيڤـان (وكأنـه وحيـد. يتحـدث إلينـا بصـوت مصطنـع بكيفيـة مخففـة): ... بعد اليـوم الموالي لحفل الزفاف، وضعـت كاترين على قبر أمها، بمقبرة مونبارناس، باقة الزهور المخصصـة لها كعروس، إضافة إلى كيس صغير من الحلوى الملبسة. أنا تواريت خلف المُصلى، لكي أبكي. وفي المساء، بكيت مرة أخرى في سـريري بصمت، حين فكرت في ذلك السلوك المؤثر من جديد. ينبغي علي حتما أن أتحدث عن ميولي إلـى البكاء إلى فينكيلزوهن، لأني أبكي في

كل الأوقات، الشيء لا يعتبر طبيعيا ولا عاديا، لدى شاب في مثل سني. هذا بدأ، أو على الأقل ظهر بوضوح عندي، مساء حادثة اللوحة البيضاء، لدى سيرج. إذ بعدما أوضح سيرج لصديقنا مارك، بسلوك مشبوب بالجنون المحض، بأنه يتمسك به أكثر مما يتمسك بتلك اللوحة، خرجنا لنتعشى سوية لدى إميل. ولما وصلنا إلى المطعم، قرر سيرج ومارك أن يعيدا ترميم علاقتهما، التي دمرتها الوقائع والكلمات. وفي لحظة معينة، استعمل أحدنا عبارة «فترة الاختبار»، فأجهشت بالبكاء.

عبارة «فترة الاختبار» المطبقة على علاقة صداقتنا، استثارت في أعماقي زلزالا عبثيا وغير قابل للتحكم فيه.

أنا لا أحتمل في الواقع أي خطاب عقلاني، إذ كل ما أنشأه هذا العالم، وكل ما كان في هذا العالم جميلا ورائعا وكبيرا، لم يولده بالكل أي خطاب عقلاني.

(برهة صمت).

(يجفف سيرج يديه. يأخذ الدسّت المملوء

بالمـــاء ليفرغه، ثم ينخرط فـــي جمع كل الأدوات والمنتجـــات الملقاة علـــى الأرض، بحيث لا يبقى منها أي شيء).

(يرسل نظرة أخرى صوب اللوحة. بعد ذلك، يلتفت نحونا، ويتقدم إلى الأمام باتجاهنا).

سيرج : حين توصلنا أنا ومارك إلى مسح المتزحلق على الثلج، بواســـطة منظف سويسري صُنع أساسا من مـــرارة العُجول، وصفتـــه لنا بـــاولا؛ تأملت لوحة الأنتريوس، ثم التفت صوب مارك، وقلت:

ـ هل كنت تعلم بأن مداد أقلام اللبدة تمسح؟

ـ لا. أجابني مارك... لا، وأنت؟

ـ ولا أنا، أجبت بسرعة، وأنا أكذب. وكنت على وشك أن أجيبه من فوري، بأني كنت على علم بذلك. لكن، أكان مـــن الممكن لي أن أبدأ فتـــرة الاختبار بيننا باعتـــراف كهذا، يخيب الآمال أكثر؟!... فهل بدأتُ من جهة أخرى، فترة الاختبار بحالة غش؟... حالة غـــش؟! علينا ألا نبالغ. من أيـــن لي بهذه الفضيلة الخرقاء؟ لماذا ينبغي أن تكون العلاقات معقدة إلى هذه الدرجة، يا مارك؟

(وشيئا فشيئا، تبدأ الإضاءة في عزل الأنتريوس).

(مارك يقترب من اللوحة).

مارك : تحـــت الغيوم البيضاء، تتســـاقط الثلوج. لا نرى الغيـــوم، ولا الثلـــوج كذلـــك. لا نرى البـــرودة، ولا نصاعة الأرض التي تكسوها الثلوج كذلك.

(ثمة شخص واحد، يتزحلق فوق الثلج).

(الثلوج تتساقط).

تتســـاقط، وتتســـاقط إلى أن يختفـــي المتزحلق، فتستعيد اللوحة كثافتها.

صديقي سيرج، الذي هو صديق لي منذ زمن بعيد، اقتنى لوحة.

إنهـــا لوحة تقع فـــي حوالي متر وســـتين على متر وعشرين سنتمترا.

لوحة تمثل شخصا، يعبر الفضاء، ثم يختفي.

انتهت

في مديح أم الفنون

الصداقة

«إذا أوضح لك صديقك فكرَه، فلا تخش

أنْ تُصرح بما في فكرك من النفي، أو أنْ تحتفظ بما في ذهنك من الإيجاب».

جبران خليل جبران[1]

١) انتهت ياسمينا رضا من تأليف مسرحية في «فن» العام ١٩٩٤، فقدمتها إلى مسرح القطاع الخاص[2] في السنة نفسها، كي تعرض على

(١) جبران خليل جبران: النبي، ترجمة الأرشمندريت أنطونيوس بشير، ص: ٧٠، منشورات عالم الشباب، بيروت، لبنان.

(٢) بدأت ياسمينا رضا انتماءها إلى المسرح التابع للدولة، لكنها بعد ذلك تخلت عن المسرح العمومي، لتدخل تجربة المسرح الخاص بلاكوميدي دي الشانزيليزي Comédie des Champs-Elysées. تقول عن هذه المرحلة: «بدأت ضمن المسرح التابع لوزارة الثقافة. لكن، يتعين على المرء أن يفهم ما يفرضه عليه مسرح القطاع العام: لا تُقدم المسرحية إلا لشهر واحد، أو لشهر ونصف الشهر على أقصى حد. أو أنها في أحسن الأحوال، تقدم بالتناوب ضمن ريبرتوار مسرحي معين. وعليه، فإن المسرحيات لن تقدم، حتى وإنْ كانت ناجحة وعلى أحسن هيئة، إلا ستين مرة. حينها، قلت في نفسي: هذا أمر مخيف! ستون مرة ليست بشيء ذي بال!... لن تتوافر للناس سوى ستين ليلة وحسب، لمشاهدة العرض. بينما يمكن للمرء في مسرح القطاع الخاص، إن نجحت أموره، أن يقدم مسرحيته من ثلاثة أشهر، إلى أربعة وخمسة أو ستة. ومن ثم، يمكن أن يوفر للناس إمكانية مشاهدة العرض لمائة مرة، كحد أدنى. ثم لا ينبغي أن ننسى البُعد المادي في القضية، إذ ينبغي للكاتب أن يضمن مصدر عيشه. يتعين علي أن أكسب قوت يومي. لم يكن لي حينها أي أحد لأعول عليه في توفير حاجاتي المعيشية. ثم إني لم أكن أرغب في استشعار ذلك التمزق الداخلي، الذي يولده في المرء الشعور بالتوقف السريع للعمل الذي عمل على إنجازه، بمجرد ما أن يبدأ. لم أفكر في الأمر طويلا، لأن فرصة ذهبية عرضت علي، حين انتهيت من كتابة فن، فالتحقت فورا

الركــح لأول مرة بتاريخ: ٢٨ أكتوبر ١٩٩٤، بلمســات فنية نافذة من خيال المخرج الفرنسي المتميز باتريس كيربرات Kerbrat، وتشخيص احترافي تولت تقديمه ثلة منتخبة من نجوم السينما والمسرح، منهم على التوالي: فابريس لوشــيني Luchini في دور سيرج، وبيير فانيك Vaneck في دور مارك، وأخيرا بيير أرديتي Arditi في دور إيفان. كان عرض المســرحية على خشــبة مسرح لاكوميدي دي شانزيليزي ناجحا بكل المقاييس، سواء على مســتوى التلقي النقدي من جهة، أو الاســتقبال الجماهيري الواسع النطاق الذي دأب على الاستمتاع بفن الفرجة الدرامية عند ياسمينا رضا، منذ مسرحيتها الأولى: أحاديث ما بعد مراسم دفن.

ومع توالي عروض «فن» في فرنسا، اتسع صيت ياسمينا رضا أكثر، ليفيض باســمها الفني عن دائرة الوطن، ويمتد به مشعا ومتألقا ضمن دوائر فنية أخرى في أوروبا، ثم ســرعان ما طبقت شهرتها الآفاق، ليخترق اسم هذه الكاتبــة حدود أوروبا الضيقة، ويصل إلى العالمية في مدة قصيرة، وذلك بفعل ما حصدته مسرحية «فن» من جوائز تقديرية رفيعة في عدة محافل فنية دولية[٣]. وعلى إثر ذلك، تهافت مترجمون كثر، إلى جانب العديد من

بالمسرح الخصوصي». من كتاب: جلسات الرواية، ص: ١٦١، منشورات كريستيان بورجوا، بشراكة مع فيلا جيل وصحيفة لوموند، باريس، ٢٠١١، بالفرنسية.

(٣) من بين تلك الجوائز نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر، جائزتي موليير: واحدة لأفضل نص والأخرى لأفضل ممثل، سنة ١٩٩٥. جائزة إيفنينغ ستاندار أوارد Evening Standard Award لأفضل نص كوميدي، سنة ١٩٩٦. جائزة لورانس أوليفييه أوارد Laurence Olivier Award عن أحسن نص كوميدي، سنة ١٩٩٧. جائزة دراما سيركل كرتيكز أوارد Drama Circle Critic's Award، سنة ١٩٩٨. جائزة توني أوارد Tony Award لأفضل مسرحية، سنة ١٩٩٨.

الفرق المسرحية العالمية على تشخيص هذا النص، وتقديمه على خشبات مســرح مختلفة، منها الأوروبية والأمريكية بشمالها وجنوبها، إضافة إلى مسارح أخرى في أفريقيا الجنوبية وآسيا الوسطى[٤].

٢) وقبل مباشــرة الحديث عن المســرحية، لابد من الإشــارة إلى ظرف خاص كان بمثابة الحافز المباشــر، الذي أســهم فــي تأليف هذا النص. فواقعة التأليف تؤول فــي أصلها إلى مجرد الصدفة، وهي صدفة جميلة استثمرتها ياسمينا رضا لفائدة المســرح، بعدما استعانت بالخيال لتملأ الفجوات والمشاهد المتخيلة بحوارات ومواقف ساخرة وهزلية، ضمن بناء فنــي يروم طرح قضية جادة. فقد ذكرت ياســمينا رضا في معرض حوار أجري معها[٥]، بأن ظروف كتابة مسرحية «فن»، تتصل مباشرة بفترة كانت تتردد خلالها على عيادة طبيب مختص في علاج أمراض الجلد والبشرة، هو الدكتور ســيرج كولدزال Serge Goldszal، فلفت انتباهها، وهي تتردد على تلك العيادة، تواجد لوحات فريدة من نوعها، للفنان التشكيلي مارتان باري[٦]. لذلك، وقعت الإشــارة إلى هذا الطبيب في مســتهل المسرحية،

(٤) تشير بعض الإحصائيات إلى أن مسرحية «فن» لياسمينا رضا تُرجمت إلى خمس وثلاثين لغة، وتم تقديمها على مسارح وطنية عدة سواء في مدينة لندن، برلين، طوكيو، ليشبونة، سان بطيرسبورغ، بومباي، جوهانس بورغ، بوينس آيرس أو براتيسلافا، ما عدا الوطن العربي بالطبع، بحكم أن اسم ياسمينا رضا ظل غير معروف إلا ضمن الوسط النخبوي الضيق من المثقفين والفنانين المتشبعين بالثقافة الفرانكفونية، خاصة في تونس حيث تم تقديم هذا النص المسرحي هناك، ولكن باللغة الفرنسية.

(٥) أجرته معها الصحافية الأمريكية رودا كوينغ Rhoda Koenig، ونشر في صحيفة نيويورك تايمز ١٩٩٩.

(٦) مارتان باري Martin Barré (١٩٢٤/١٩٩٣) فنان فرنسي معروف بطريقته التجريدية، التي تعتمد على استثمار الحد الأدنى من الأشكال والألوان في التعبير،

حين كتبت ياســمينا رضا الإهداء الممتن لملهمها، بهذه الصيغة: الشــكر موصول إلى سيرج كولدزال.

بالفعــل، كان تردد ياســمينا رضا على عيادة هذا الطبيب هي المناســبة المفصلية، التي أيقظت خيال الكاتبة، وألهمتها، وفتحت ملكتها الإبداعية على تأليف مســرحية تســتثمر فيهــا مواهبها الكوميديــة، لطرح قضية التجريــب في الفن التشــكيلي، الذي طبع جيلا بأكمله مــن فئة الفنانين الطلائعييــن المنتمين إلى مرحلة ما بعد الحــرب العالمية الثانية، وذلك كإطار تخيلي يســمح بفتــح النقاش في قضية، تتصــل بإحدى معضلات الوضع البشــري. ولهذا الغــرض، اختارت الكاتبة ثلاث شــخصيات من الذكور(٧) لا غير، لتتفاعل داخل نص المســرحية، هي على التوالي مارك،

وهي الطريقة نفسها التي طبعت جيلا بأكمله من الفنانين التشكيليين، سُمي بجيل سنوات الخمسينيات من القرن العشرين، سواء في أوروبا أو أمريكا.

(٧) تعلل الكاتبة اختيارها للذكور بهذه الحجة، التي تقول فيها، ردا على سؤال الصحافية الأمريكية رودا كوينغ Rhoda Koenig، التي لاحظت اقتصار المسرحية على شخصيات ذكورية وحسب: «I thing if women had a fight، a split، it would not be over an object، a piece of art. If we gad an argument about this، we would say، “OK، let’s a cup of tea، then we will talk about beauty cream”. There are many other things. But a man، his opinion is him... وهي الكلمة التي يمكن ترجمتها إلى ما يلي: «أعتقد بأن امرأتين إذا ما تنازعتا بينهما، فإن ذلك لن يكون أبدا، حول موضوع أو تحفة فنية. وإذا حصل هذا، فسنقول لبعضنا: طيب، لنحتس أولا فنجان شاي، ولنتحدث فيما بعد عن كريمة التجميل. أما حين يتعلق الأمر بالرجل، فرأيه هو كيانه الشخصي بالذات».

لكن تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن حضور الذكور في المسرحية، لا يعني تغييب الإناث بصفة تامة، وإنما يحبل النص أيضا بأسماء أنثوية تتم الإشارة إليها في سياق بعض الحوارات، التي يتفاعل من خلالها سيرج مع مارك وإيفان. ومن الشيق أن نلاحظ بأن صفات وخصائص هذه الشخصيات النسائية، ما تفتأ تتغير في النص من حال إلى

المهنـــدس الذي يعمل في الطيـــران المدني، ويتميز بكونـــه متزوجا، وله شـــخصية قوية تتســـم بنزوعها العقلي البحت. لذلـــك، يعمد مارك كثيرا إلى طرح الأســـئلة المفعمة بالشـــك والارتياب، خاصـــة حين يتعلق الأمر بتجارب الفن التشكيلي المعاصر، التي لا يبالي بها. وهناك سيرج الطبيب المختص في أمراض الجلد، وهو شخصية من الطبقة الوسطى الميسورة نســـبيا، كان متزوجا في وقت من الأوقات ولـــه طفلان، لكنه طلق زوجته، وصار يعيش حياة الأعزب التي يملأها بانضباطه للشغل أولا، ثم اهتمامه الكبير بتقليعات الفن التشـــكيلي. يجد ســـيرج متعـــة لا تعادلها متعة في زيارة المعـــارض والأروقة الفنية، والتباهي بذلـــك علنا، في نزعة تبلغ به حـــد التبجح. ثم هناك في الأخير إيفان، وهو «شـــاب متســـامح، مما يعد

أخرى، بفعل تطور الصراع الدرامي بين الأصدقاء الثلاثة. فكاترين Catherine خطيبة إيفان مثلا، تبدو في البداية «فتاة مهذبة وذكية ومن عائلة طيبة»، لكنها سرعان ما تصير «كائنا يحول غيره إلى جلمودِ صخر une gorgone»، لتتحول هي فيما بعد إلى امرأة من «أشد النساء جميعا إثارةً للأعصاب». ثم هناك أم إيفان التي لا تتنازل عن أنانيتها، وتصر على أن تضع اسمها وحيدا على بطاقة الدعوة لحضور مراسم الزفاف، ولا تقبل بأن تشترك معها في البطاقة حماة ابنها. والى جانب هاتين المرأتين، هناك باولا Paula، صديقة مارك التي وُصفت في البداية بأنها «خلقت على مقاسه»، لتصبح بعد تنامي الصراع بين مارك وسيرج بأنها «دميمة، وخشنة، وبغير سحر»، وبأن «طريقة طردها لدخان السيجارة، تلك الحركة الصادرة عنها قد تبدو... تافهة، كحركة لا ضير فيها، مثلما قد يتصور المرء، إلا أنها ليست كذلك بالكل. طريقتها في طرد السيجارة هي بالضبط، من صميم الخشونة... طريقتها في طرد دخان السجائر توحي بطبيعتها الباردة، بتسامحها المتعجرف والمنغلق على الذات». وبهذا نؤكد أن النساء رغم غيابهن عن سيرورة الفعل الدرامي في المسرحية، فهن حاضرات بقوة في تفاعل الأصدقاء الثلاثة فيما بينهم، وفي تعميق الخلاف بينهم، والدفع بهم إلى حد المواجهة والصدام البدني!

عيبا كبيرا في مسألة العلاقات الاجتماعية»، مثلما يقول عنه مارك في قرار ذاته[٨]. وهو بالفعل شخصية ضعيفة بالمقارنة مع صديقيه الآخرين، ودائمة الاضطراب والتردد والحيرة[٩]. ليس لإيفان عمل قار، وإنما مارس مجموعة من الأشغال كان آخرها ممثلا تجاريا لإحدى الوراقات، وبذلك يعيش وضعية اقتصادية أقل من صديقيه، ويستعد لخوض تجربة الزواج، لكنه غير قادر على الحسم في مواقف شتى من حياته، ويظهر بمظهر المتهيئ دوما للتسليم وتجنب أسباب المواجهة والنزاع، سواء داخل محيطه العائلي، أو في إطار علاقته بمارك وسيرج.

وقد ظلت عُرى الصداقة المتينة والصلبة تجمع بين هؤلاء الأصدقاء لمدة خمس عشرة سنة، إذ لم تتأثر خلالها علاقتهم الثابتة في أي يوم من الأيام، إلى حين دخول لوحة فنية غريبة وملغزة على الخط، هي بمثابة العنصر المخلخل L'élément perturbateur الذي تقترحه المسرحية مضمارا لامتحان المشاعر الصادقة لتلك الشخصيات، وقياس نقاء دواخلها وصفائها من شوائب الغل والحقد والبغضاء.

٣) بالفعل، تدور أحداث مسرحية فن حول لوحة تشكيلية من توقيع فنان طلائعي يدعى أنتريوس Antrios، اقتناها سيرج بمائتي ألف فرنك

---

(٨) ياسمينا رضا، فن، ص: ١٩٨، بالفرنسية

(٩) يعرف إيفان بنفسه قائلا: «أنا إيفان. أنا متوتر بعض الشيء، لأني بعدما قضيت حياتي في صناعة النسيج، عثرت أخيرا على وظيفة وكيل شركة في مصنع للورق، الذي يتعامل بالجملة. أنا شاب لطيف. وحياتي المهنية كانت دائما فاشلة، وسوف أتزوج خلال الأسبوعين القادمين بفتاة مهذبة، وذكية، ومن عائلة طيبة» (ص: ١٦٨).

فرنسي. وهي «لوحة على قماش يقع في حوالي متر وستين على متر وعشرين سنتمترا، مطلية بالأبيض. العمق أبيض، وإنّ ضيقنا الناظِرَيْن قليلا - مثلما يقول مارك - يكون بإمكاننا رؤية بعض الخطوط البيضاء الصغيرة، التي تتناثر على مستوى العرض»[١٠]. وبذلك، فهي عمل طريف جدا ومخالف للذائقة الفنية العامة، يترجم توجها فنيا لإحدى تقليعات التشكيل المعاصر، بحكم أنه أبيض بالكامل، ولا تظهر وسطه سوى خُطيطات دقيقة هي الأخرى بيضاء. وبمناسبة هذا الاقتناء، يدعو سيرج صديقه مارك إلى شقته ذات مساء، فيقدم له كالعادة العملَ الفني الذي اشتراه، في نوع من التباهي والتفاخر. ولما اكتشف مارك اللوحة البيضاء، لم يتفاعل معها إيجابيا بالمرة مثلما كان يتمنى سيرج، وإنما ارتاع كثيرا عند سماع المبلغ الهائل، الذي أنفقه هذا الصديق في سبيل اقتنائها. لذا، انتفض دون مراعاة منه لأصول المجاملة أو حتى المداهنة، التي من شأن المرء أن يراوغ بهما غيره، حين يروم مجرد ملاطفته في مصانعة ومداراة؛ فنزل باللائمة على سيرج، ساخرا من سذاجته التي قادته إلى إنفاق مبلغ لا يستهان به من المال، لحيازة مجرد «زبالة»(ص: ١٨٤).

بعد ذلك، يلتقي مارك بإيفان الصديق الثالث المشترك بينه وبين سيرج، ويبلغه استياءه مما أقدم عليه هذا الأخير، وعدم استيعاب تلك الخطوة المجنونة، التي قادته إلى حيازة لوحة بيضاء خالية من أي رسم أو تشكيل، مقابل ثروة هائلة. لكن إيفان لم يشف غليل مارك، بحكم التذبذب والتردد وغياب الحسم الدائم عنده في مجموعة من المواقف والأمور، أولا لأنه

(١٠) ياسمينا رضا، فن، ص: ١٩٥، بالفرنسية.

رأى فيهـــا ما لم يره مارك، وهو تضمنها لفكرة، هي «فكرة إتمام مســـار» (ص: ١٨٧)، ثـــم لكونه يعيش أيضا فتـــرة اضطراب خاصة، اقترنت عنده باقتراب موعد القران مع كاترين، المرأة التي ستكون زوجته.

وفي المشـــهد الأخير من المســـرحية، يلتقي الأصدقاء الثلاثة في شـــقة ســـيرج مرة أخرى، بعد أن حددوا سلفا موعدا بينهم، لتناول طعام العشاء ســـوية في مطعـــم بالمدينـــة. ولأن إيفان المضطرب دائمـــا في مواعيده وحياته لم يحضر في الوقت المناسب، وإنما جاء متأخرا عن ذلك الموعد بوقت لا يســـتهان به، فقد اضطر الجمع إلى المكوث في شـــقة ســـيرج، ومواصلـــة النقاش حول الفن المعاصر وتقليعاته الغريبة، التي أفرزت مثل تلك اللوحة البيضاء الواقعة في ملكية ســـيرج. وفـــي خضم هذا التناحر والصـــراع المحتدم في المواقف والأفكار، يحمى الوطيس بين الأصدقاء، ويتجاوز مجال الفن والفنانين والمناصرين لهم، أو المعارضين لتقليعاتهم، ليندفـــع على إثر ذلك كل واحد منهم في انتقاد ســـيرة الآخر، والقدح في مسار حياته واختياراته، بل يصل الأمر بسيرج ومارك حد العراك!

في البداية، كان ســـيرج هو الذي شرع في اقتحام حمى مارك، في هجمة خرقاء منه، جازف فيها بصداقته القديمة، حين كشف لهذا الأخير حقيقة رأيه في الزواج من المرأة التي اقترن بها، مما أساء كثيرا إلى مارك. وفي نفس السياق المتصاعد والمحتدم في المشاعر، ينتقد هذا الأخير إيفان انتقادا لاذعا، بل يذهب به الأمر إلى حد المطالبة بضرورة أن يلغي إيفان زواجـــه من المرأة التي قرر الارتباط بها، مؤكدا بأن ذلك القران ســـيكون خطـــوة خاطئة منه، وغير محســـوبة العواقب. لكن فيـــضَ هذه الهجمات

والمرتدات المضادة فيما بين هؤلاء الثلاثة سينحسر شيئا فشيئا، لأن سيرج سيقدم في الأخير على التضحية باللوحة البيضاء، ضمن خطوة منه سخية حرص من خلالها على الاحتفاظ بصداقته، ما دام أن أصل هذا الشقاق لم يكن سوى بسبب تلك اللوحة بالذات. لذلك، طلب من مارك ملء بياضها بما شاء، فهب هذا يرسم فوقها رسومات طريفة بطريقة ساذجة، ثم سرعان ما انتهى من ذلك، ليبادر الجميع إلى طمس تلك الرسوم والأشكال، بعدما انخفضت حدة التوتر والانفعال.

بالفعل، أخذ الكل ينشغل بترميم اللوحة من جديد، وكأن هؤلاء الأصدقاء ما كانوا إلا يشتركون في طي صفحة الماضي التي تقادمت، بغية فتح صفحة أخرى صافية ونقية تهفو إلى مستقبل أفضل، بعدما وقع تعاونهم على رسم ملامح القبح والدمامة العابرين، فوق بياض تلك اللوحة البكْر الذي لم يكن يليق سوى بأن يُملأ بالشناعة والفظاعة، ثم عادوا للتعاون على إزالة معالم تلك البشاعة والقبح.

٤) أمام تلك اللوحة إذن، التي لم تكن سوى حافز Catalyseur يتوخى قياس صدق المشاعر التي تجمع بين هؤلاء الأصدقاء، يستفيق مارد المسكوت عنه Le non-dit في أعماق هؤلاء، فتحتد الأعصاب وتتهيج، مثلما تتوتر النفسيات وتتأزم، بعد أن يكون الشر قد انفلت فجأة من عقاله، وخرج من قمقم باندورا، ليدفع بالكل إلى مهاجمة الكل، والتصدي له دون مراعاة للكياسة، ولا اكتراث باللباقة. وعلى إثر هذا، يدخل هؤلاء الأصدقاء/الأعداء في حالة تنازع محتدة الوطيس، دون أن يفكر منهم أحد في تجنب ما قد يؤول إليه مصير ذلك الصدام، أو ما قد يفضي

إليه ربما من خســـارة، من شـــأنها إفقاد المرء صداقة يعز على الزمان أن يجود بمثلها. لا يأبه هؤلاء لهذا أبدا، وإنما يتجرأ كل منهم على الإســـاءة اللفظيـــة لغيره[١١]، بـــل والتمادي في فضح نواقصـــه، بكيفية لا تخلو من وقاحة وسفاهة.

إن الوضع المحتد بين مارك وســـيرج وإيفان، وسوء التفاهم والفهم بينهم كذلك، إضافة إلى الخصومات العارضة التي سرعان ما برز طيفها القديم علـــى الســـطح، كادت جميعها تهـــدد بتقويض صرح صداقـــة طويلة، دام عمرها خمس عشـــرة سنة. وبذلك، تكون هذه اللوحة الفنية الملغزة وغير المفهومة قد أســـهمت في إبراز هذا الجانب المتواطئ ضده والمظلم من تلك النفســـيات، بعد أن ظل الجميع يتجنب الكشف عن رأيه صراحة في صديقـــه، أو في اختياراته ومواقفه، مخافة الاقتراب من الوقوع في مطب النزاع والخصام.

ففـــي «فـــن» إذن، ليـــس المهم هو النقد الـــلاذع الموجه إلـــى التقليعات الطليعيـــة، التي كادت تفرغ الفن التشـــكيلي من محتـــواه وبُعْده الجمالي وقتها[١٢]، حتى إن احتل الحديث عن الفن حيزا مهما في المسرحية، وإنما

(١١) لابد من الإشارة إلى أن هذه الملاحظة لا تنطبق على إيفان بالطبع، لكونه شخصية لا تستطيع أن تتجرأ على ذلك، وإنما ظلت تتلقى من سيرج ومارك معا، ما يسيء إليها ويثير أعصابها، ويدفع بها إلى حد البكاء والألم، وكأنها بذلك مجرد كبش فداء الجماعة، أو ما يسمى بالفرنسية Tête de turc.

(١٢) تراجع بهذا الصدد الدراسة الرائدة التالية، على سبيل التمثيل لا الحصر، التي قدمتها الأستاذة هيلين تريسبييش Hélène Trespeuch، بعنوان: أزمة الفن التجريدي: محكيات وانتقادات في فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، La crise de l'art abstrait، Récits et critique en France et aux Etats-Unis، منشورات جامعة رين Presses

يتعلــق الأمر بفن الفنون كلها: تدبير علاقة الصداقة؛ إذ يبدو أن كل واحد من هؤلاء الأصدقاء يفهم منذ ســنوات خلت، الصداقة بطريقة خاصة به. ثم إذا باللوحة تحل فجأة بينهم، لتعكس على صفحتها ذلك الفهم المختلف والمتناقض، الذي يسهم في توسيع الهوة بين الجميع، ويهدد بتقويض تاريخ علاقة عتيدة. وكأن تلك اللوحة ما جاءت ناصعة البياض، إلا كي يستطيع كل من هؤلاء الثلاثة أنّ يكتب عليها، ما ظل يســكن بأعماقه من مشــاعر وأحاسيس دفينة، وكأنها ورقة عذراء؛ أو أنها بالأحرى صفحة مرآة ثقيلة، قادرة على جعل المرء يرى صورته ماثلة أمامه، في أدق تفاصيلها الصغيرة والبشــعة، بحكم ما ينعكس على صفحتها من ســواد غير مكشوف، يغلي باستمرار في أغوار النفس المريضة(١٣).

وهكــذا يتوالى أمامنا ظهور الوجه المخبوء من كل شــخصية، وهي تنظر بالتنــاوب إلــى تلك اللوحة البيضــاء التي ما تنفك تظهــر ثم تختفي في شــقة ســيرج، إلى أن يكشــف إيفان (الحلقة الأضعف في سلسلة هؤلاء الأصدقــاء!)، عن أصل العطب في تلك الصداقة المعضلة. لقد اســتطاع إيفان وحده أن يفهم أصل الداء، الذي أفضى إلى توسع رقعة سوء التفاهم بين الجميع، فأخرج من جيبه ورقة كتب فيها ما أملاه عليه طبيبه النفسي

Universitaires Rennes، فرنسا، ٢٠١٤، بالفرنسية.

(١٣) يوحي اللون الأبيض بالطهارة والنظافة والنقاء والإتقان والشرف. وهو يعتبر لونا باردا بحكم أنه يجلب معه اللمعان والإشعاع. كما أنه يرمز إلى البراءة والعذرية. أما البياض بالمعنى العلمي للفظة، فيمثل اتحاد الألوان الأخرى كافة. انظر مادة: أبيض Blanc، في: معجم الرموز Dictionnaire des symboles تأليف جان شوفالييه Jean Chevalier وألان غيربران Alain Gheerbrant منشورات روبير لافون، باريس، ٢٠١٤، بالفرنسية.

(حتى يســاعده على فهم ذاته، بضعفها وتذبذبهــا!)، وأخذ يتلو محتواها علــى صديقيّه، وكأنه بذلك يردد تعويذة ســحرية، يحاول بها أن يفك لغز العطب، الذي طال صداقته بسيرج ومارك، اللذين يعز عليه أن يخسرهما. بل إن إدراكه لفداحة تلك الخسارة، جعله يبكي لمرتين في المسرحية(١٤). يقــول إيفان، وهو يقــرأ من الورقة: «إذا كنتُ أنا هــو أنا، لأني أنا بالفعل موجــود، وإذا كنتَ أنتَ هو أنت، لأنك أنت بالفعل موجود، فإني أنا موجود وأنــت موجود. وعلى العكــس، إذا كنتُ أنا هو أنا، لأنــك أنتَ بالذات هو الموجود، وكنت أنتَ هو أنت، لأني أنا بالذات هو الموجود، فأنا لست إذن أنا، ولا أنت هو أنت»(١٥).

بالفعــل، ظل كل واحد من هؤلاء الأصدقاء الثلاثة لســنوات خلت، لا يرى في غيره ســوى ما يريد رؤيته، وما يقبل به، أو يســتطيع أن يقبل عليه من خلال عملية إســقاطات Projections، تلغــي بأنانيتها الطبيعة المختلفة للآخــر، ولا تراعي لهــا حرمة بالمرة. فمارك علــى الخصوص، باعتباره المحرك الأساس لمجموعة من الأدوار في المسرحية، لكونه يشكل حسب ما تسميه آن أوبيرســفيلد ذاتا فاعلة في غيرها من الذوات، ضمن دائرة النمــوذج العاملي(١٦)، يرى الصداقة على أنها شــكل من أشــكال الرقابة

---

(١٤) يتحدث إيفان عن هذا الجانب من شخصيته، فيصف نفسه بأن لديه ميولا للبكاء، هكذا: أنا «أبكي في كل الأوقات، الشيء لا يعتبر طبيعيا ولا عاديا، لدى شاب في مثل سني».

(١٥) ياسمينا رضا: فن، ص: ٢٣٢، بالفرنسية.

(١٦) تقول آن أوبيرسفيلد Anne Ubersfeld : «الذات في نص أدبي ما هي العامل actant الذي ينتظم حوله الحدث، أي النموذج العاملي le modèle actantiel، وهي العامل الذي يمكن اعتباره فاعل الجملة العاملية La phrase actantielle، ومن يستتبع

والتحكـم التي تعطيه الحق في مراقبة غيـره. لذلك، يحرص على البقاء بالمرصاد لسلوك غيره لحظة بلحظة، ومحطة بمحطة. وحتى يبرر ذلك، يقـول: «ينبغي على المرء دائمـا أن يراقب أصدقاءه. وإلا أفضى به الأمر إلى فقدهم». فمن منطلق الحـرص على الصداقة، لا يفهم الداعي الذي دفع بسيرج إلى إنفاق «ثروة هائلة»، من أجل اقتناء «مجرد زبالة!». وبذلك، يتهم سيرج «بالعته والجنون»، وأنه بإقدامه على شراء تلك اللوحة «قد خان صديقيه»! إن مارك لمسـتعد ـ من منطلق اعتقـاده الوثوقي بأنه حريص علـى مصلحة الغير ـ أن يتدخـل في حياة صديقيه سـيرج وإيفان، بغير مهادنة ولا مجاملة. لذلك، تقوده الأنانية المشـبعة بمشاعر الإحباط، إلى عدم التسامح مع سيرج، بل ومحاكمة سلوكه، ثم انتقاد موقف إيفان نفسه، الذي رأى أن اقتناء سيرج تلك اللوحة وبذلك المبلغ، أمر لا ينبغي أن يثير كل هذه الشـحنة من المشاعر السلبية، «ما دام أن ما من ضرر ثمة للغير، ولا هنـاك أي أذى...» (ص: ١٧٥). بـل إن مارك لا يقـف من إيفان هذا الموقف وحسـب، وإنما بعد أن يسخر من تردده وينعته بالضعف والرخاوة والتذبذب، يتجرأ أكثر ليطالبه بفـك الارتباط بكاترين، المرأة التي ينوي إيفان الزواج منها، ولا يفصله عن يوم الاقتران بها سوى أسبوعين!

٥) لقد شـكل تنازع الأصدقاء الثلاثـة حول لوحة أنتريوس، فرصة لإبداء مجموعة من الملاحظات والآراء بصدد الفن التشـكيلي الطليعي، سـواء

ـ بحكم علاقته المقترنة بإيجابية الرغبة، وما تعترضها من معيقات ـ حركة الحدث في النص برمته». قراءة المسرح Lire le théâtre، ص: ٧٢، المنشورات الاجتماعية Editions sociales، باريس، ١٩٨٢، بالفرنسية.

تلــك الآراء المعارضة للتجريب أو تلك المدافعة عنه، إضافة إلى أن هذا غدا مناسبة سانحة لســيرج، استثمرها لفائدته[١٧]، هو الذي يعتبر نفسه مــا زال «مــع ذلك قادرا على تــذوق الصباغة المغرقة فــي التصوير Le figuratif» (ص: ١٩٤)، حتــى وإن كانــت غير حداثيــة وتنتمي إلى القرن التاســع عشــر. وبهذه المناسبة، يســتحضر النص تجارب أخرى من فن الصباغة والرســم، ســواء بمقارنة الأنتريوس بلوحة مارك التصويرية، أو بلوحة إيفان الموسومة بـ «فُتات»[١٨]، وهي التي رسمها والده وتمثل نموذجا بسيطا من التشكيل، الذي يتلاءم تماما مع شخصية إيفان. وبذا، نجد في المسرحية إشارات ضافية إلى أعمال فنية أخرى متنوعة، يرتبط كل منها بشخصية من شخوص المسرحية، يزيدها سمة دالة على بقية الخصائص الاجتماعية والنفســية التي تميزها، فترســخ بذلك بقية تلك الســمات، وتجليها بوضوح. فالأنتريوس مثلا يشي بالتميز الاجتماعي لسيرج، ويعلن بالملموس بأن صاحبه شــخصية ناجحة مهنيا، وتملك ما يكفي من المال والذائقة الفنية، مما يجعلها قادرة على التعاطي لموهبة التردد على أروقة

(١٧) لابد من الإشارة إلى أن أنتريوس سيرج فرض عملية المقارنة بينه وبين أعمال فنية أخرى غيره، يتمايز عنها، وهو الأمر الذي استغله سيرج لصالحه، كي يظهر بمظهر المُلم بمعرفة دقيقة، تمكنه من تمييز ما يملكه وما يملكه غيره. وبهذا، حاول تسجيل نقطة لصالحه، أبرز فيها تفوقه على صاحبيه، تبوؤه لمكانة مرموقة في النقاش حول شؤون الفن الحداثي، ترقى به إلى مصاف هواة الفن التشكيلي الحقيقيين، وتمنحه بذلك صفة المُقدر لجهود الفنانين الحداثيين أمثال أنتريوس. انظر مسرحية فن، ص:٢٢٥/٢٢٦ على سبيل المثال لا الحصر (بالفرنسية).

(١٨) تعني لفظة croute في الفرنسية شيئين اثنين: القشرة أو الفتات، كما تعني أيضا معاش اليوم المرتهن للصدفة، كما في عبارة: gagner sa croute، التي تعني الحصول على رزق اليوم.

العرض، ومســايرة تجارب الفــن المعاصر، واقتناء مــا يرفعها إلى أعلى المراتــب في فئتهــا الاجتماعية. أما مارك الــذي لا يملك غير لوحة من فن التصوير المتأثرة بالتجربة الهولندية التي ســادت في القرن التاســع عشــر، وهي اللوحة التي يعلقها كيفما اتفق في شقته، فيعتبر ـ بالنظر إلى محتواها الذي لا يقدم غير «منظر طبيعي في جهة الكاركاســون». شخصا عديــم الذوق والاهتمــام بالفنون، ولا يعتبر أن الفــن تعبير حضاري ينبع من روح العصر، ويثور على النمطي والســائد والمسكوك، وإنما هو مجرد ديكور بســيط، مثله مثل بقية الإكسسوارات الأخرى التي عادة ما تستعمل بغية تأثيث فضاء الشقق والحجرات. بينما إيفان الذي يبدو بأنه شخصية غيــر ناجحة اجتماعيــا، فلوحته المعنونة بفُتات تلخــص بكيفية إجمالية شــخصه، الــذي لا يعيش إلا على فتات الآخريــن (= أصهاره)، ما دام أن وضعه الاجتماعي أقل بكثير، مقارنة مع وضع صديقيّه.

هذا التنازع الذي بلغ في النص حد التناقض، منح المســرحية بناء دراميا متصاعدا، أشــبه ما يكون بالبناء الســيمفوني في الموسيقى. فالنص لا يتضمن ســوى ثلاث شخصيات كما أسلفنا، هي كل ما يحتل فضاء الركح طوال الوقت، ضمن المتواليات المشــهدية الصغرى[١٩] الست عشرة، التي

(١٩) تعرف آن أوبيرسفيلد المتواليات المشهدية الصغرى Micro-séquences، في كتابها المشار إليه أعلاه هكذا: «يمكننا تحديد المتواليات المشهدية الصغرى، بكيفية جد تقريبية، على أنها شبيهة بجزء ضئيل من الزمن المسرحي (المكتوب أو المُشخص على الركح)، الذي يجري فيه شيء ما يمكننا من عزله أو جرده، بما في ذلك: حدث من الأحداث، علاقة حاسمة بين الشخصيات، أو تجلي «فكرة ما»،،، الخ». قراءة المسرح، ص ٢١٦، معطيات سابقة.

تتكون منها المسرحية برمتها. وحتى تتمايز تلك الشخصيات عن بعضها، عمدت ياسمينا رضا إلى استعمال تقنية المونولوغ بين الفينة والفينة، وهي تقنية تدفع بكل شخصية إلى الإعلان عن نفسها وموقفها بمعزل عن الغير، مما يجعلها تعد كيانا مستقلا بذاته. ومن هنا، تتأسس ثلاثة ألحان مختلفة النغم ومتنافرة في الأداء، تُؤدى بشكل يحافظ فيه على التوالي والتعاقب، مما يوحي للقارئ (كما المشاهد) بالتنافر الكامل في المواقف، والاختلاف التام في التمثلات والرؤى، الشيء الذي يسهم في نشوء احتداد بالغ اللهجة، وتصاعد بالغ في المواجهة، تتولد عنه توليفة بوليفونية تبلغ أوج التناغم، لحظة الوصول إلى مرحلة التفاهم والتلاؤم، وهي اللحظة التي يخف فيها الاحتداد، وتتقلص ضمنها درجة المواجهة، فيلغى التنافر والشذوذ لصالح الوئام والانسجام. وبهذا التوزيع الثلاثي المنتظم، تبقى ياسمينا رضا مخلصة في تصورها الإبداعي، للنموذج الفني الأرقى الذي عادة ما تعتمده، بشكل مباشر أو غير مباشر في أعمالها: التأليف الموسيقي[٢٠].

إلى جانب اللوحات، نجد في النص إكسسوارا آخر يكتسي دلالة مهمة، على رغم أنه لا يذكر إلا بشكل عابر، ويتعلق الأمر بكتاب الحكيم الرواقي

(٢٠)جميع الدارسين لمسرحيات ياسمينا رضا ولرواياتها كذلك، يلاحظون حضور الموسيقى والموسيقيين في كتاباتها، سواء بشكل إشاري واضح أو بكيفية ضمنية. ولعل السبب الرئيس في هذا الإعجاب الكبير بالموسيقى هو تأثر الكاتبة الكبير بموهبة والديْها الموسيقية، خاصة الأب الذي أفردت له سيرتها الروائية المعنونة بإشارة إلى السوناتة التاسعة والعشرين لبيتهوفن: هاميركلافييه Hammerklavier (أنظر الرواية، منشورات: ألبان ميشيل، باريس، فرنسا، ١٩٩٧).

سينيك Sénèque: الحياة السعيدة. فإذا كان هذا الكتاب لا يبرز إلا عرضا في النص، فإن استثماره في الحوار بين الأصدقاء، قد تم بكيفية ذكية في أفق المهمة التي تصبو إلى توسيع الهوة بين الجميع. وإذا كان سيرج يعتبر الكتــاب من أهم ما أنجزه الفكر الإنســاني قاطبة، بحكم تضمنه خلاصة التفكير الحكيم الســاعي إلى تهذيب النفس، والارتقاء بالروح إلى مدارج الغبطــة والمســرة؛ فإن مارك يتخذه تعلة من بيــن تعلات أخرى لمنازعة ســيرج، وســببا إضافيا لمماحكته. لذا، ينفجر في وجه ســيرج غاضبا، حين يوصيه هذا بقراءة ســينيك، حتى يصير أكثر اتزانا ورصانة وحِكمة. ومن باب الســخرية من سيرج وآرائه واختياراته، يستعمله مارك بعد هذا المشــهد، ليســتخف بإيفان أيضا، حين يحيل على الكتاب في ســياق لا يقتضيه بالكل، هكذا:

سيرج (متحدثا لإيفان): يبدو عليك النحول!

إيڤـان : بالتأكيد. فأنا فقدت أربعة كيلوغرامات. بســبب الغم والحصَر النفسي، فقط...

مارك : اقرأ سينيك.

إيڤـان : ... هذا كل ما بقي لي أن أفعله!... قراءة «الحياة السعيدة»!... وما الذي يحتويه؟.

٦) وبالجملــة، فــإن «فن» نص مســرحي كوميدي ناجح، اســتثمرت فيه ياسمينا رضا بذكاء شديد، ثلة متنوعة من السجلات الحوارية، اللاذع منها والطريف، ضمن نســق بوليفوني يتكون من تشكيلة ممتعة، بعض حواراتها

داخلي وأغلبها خارجي؛ وهي تشــكيلة تتفاعل ضمنها ثلاث شــخصيات بكيفيــة هزلية ولاذعة حينا، وبشــكل جاد ومحتد حينــا آخر، الأمر الذي يجعل الشــفاة ما أن تنفرج ضاحكة، حتى تنغلق بســرعة، لتترك الأسنان تصطك مع بعضها.

بالفعل، اســتعانت ياســمينا رضا بذكائها الإبداعي، ولغتها التي تنحو إلى الاختصــار والاختزال، لتقدم لنا في «فن» مســرحية عميقة وجادة، رغم اللبوس الهزلي الكوميدي الذي ألبستها. وبذلك، أسهمت الكاتبة في جعلنا ننظــر دفعة واحدة إلى أنفســنا، ونتأمل في علاقــة بعضنا البعض، وفي التوجه الاســتهلاكي الذي يطبع مجتمعاتنا المعاصــرة أيضا. فإذا كانت رضا ســلطت الضوء في المقام الأول على التقليعــات الفنية المعاصرة، التي أغرقت التشكيل في عمليات التجريب والتغريب بلغت به حد الاكتفاء بمجرد البيــاض؛ فإنها طرحت من خلال هذا الموضوع أحد أهم العيوب التــي تهيمن على مجتمعنا المعاصر، ويتعلــق الأمر بالجري واللهاث وراء الموضات والتقليعات الغريبة والعجيبة، التي تبعدنا عن الجوهري والأساس فينا، وتنســينا قيــم الفن الأصيل الأولى التي ينبغي دائما أن تســعى إلى الخير والمحبــة والجمال بين الناس. وقد عمــدت الكاتبة في طرح هذا الأمر إلى اختيار ثلاث عينات من المجتمع المعاصر، شــكل سيرج ومارك وإيفــان نماذجها الكبرى. ولعل هذا الاختيار تحديــدا هو الذي كان وراء نجاح المسرحية المنقطع النظير في سائر أرجاء المعمورة، بحكم أن تلك النماذج شــكلت المرايا التي تنعكس عليها صورة الشرائح والفئات الأكثر تمثيلية لمجتمعاتنا، بكامل عيوبها ونواقصها ومكامن ضعفها أيضا.

وإذا كانت «فن» توفقت في طرح قضية الاستهلاك الفني القائمة على مبدأ اتباع روح العصر والاندماج في الحداثة، فلأن ياسـمينا رضا عرفت كيف تطرح تلك المعضلة بالضبط، لاسـيما حين اختارت لها مدخل الصداقة والأصدقاء. فإذا كانت «فن» مسرحية كوميدية، لأنها استطاعت أن تنتزع منا الضحك والسـخرية في كثير من المحطات والمشـاهد، فإنها أيضا عمل جدي وجاد، يتوخى دفعنا إلى التفكير في علاقتنا مع أنفسنا وغيرنا، لأنه يجعلنا: «نحن البشـر، نصاب. مثلما يقول الناقد الفرنسـي أوليفييه شـميث. بالارتباك تقريبا، حين نرى ذواتنا أمام أعيننا، وقد وقعت تعرية مخبوئهـا بدقة متناهية، كي يُدّفع بنا دفعا إلى التأمل في جُبننا، واحتداد أعصابنا، واحترازنا، وأنانيتنا، وقلقنا؛ بعدما تمثلت هذه النواقص جميعها أمـام أنظارنا، وصارت على اسـتعداد لتصير، وهـي تركز بالضبط على الموطن الذي نشعر فيه بالألم، تعلة لاستثارة الضحك فينا!»[٢١].

---

(٢١) أوليفييه شميث Olivier Schmitt: التشويق العاشق لياسمينا رضا، صحيفة لوموند، بتاريخ ٧/٦ نوفمبر، ١٩٩٤. بالفرنسية.

هذه السلسلة:

للكويتيين تجربة مبكرة في المسرح، فقد أدرك رواد العمل الثقافي المستنيرون أهمية دوره الحيوي وما يمكن أن يقدمه من تطور وتنمية لمجتمعهم، وعلى الرغم من اقتران انطلاقة المسرح الأولى بالمؤسسة التعليمية المدرسة مع بداية ثلاثينيات القرن الماضي، فإنه لم يكن مسرحا تعليميا تربويا فقط، بل كان مسرحا يشارك بنصوص جادة، قدم بعض قضايا المجتمع والحياة العامة إلى جانب تناوله أمجاد العروبة وتاريخها الإسلامي، وامتدت عروضه خارج أسوار المدرسة خلال العطلات الصيفية وخارج الوطن بصحبة الدارسين في القاهرة في بيت الكويت.

وظلت الدولة على اهتمامها بهذا الفن وتشجيعه ورعايته بالتمويل والإشراف بعد انتقال مسؤوليته إلى دائرة الشؤون الاجتماعية، وتخصيصها إدارة للمسرح والفنون ورعاية شؤون الفرق المسرحية، حتى انتقلت إلى وزارة الإرشاد والأنباء وزارة الإعلام في ما بعد ، وتطور معهد الدراسات المسرحية إلى معهد عال لدراسة الفنون المسرحية أكاديميا.

وفي سبيل تنمية الوعي الفني المسرحي وإثرائه فكريا وأدبيا، ارتأت الوزارة إصدار ونشر سلسلة من المسرحيات العالمية المترجمة، لكبار الكتاب المتميزين على الساحة المسرحية العالمية، وأن تكون ترجمتها للعربية عن اللغة الأصلية للنص المسرحي، وتخضع للتحكيم العلمي، وكان يشرف عليها الشاعر الراحل أحمد العدواني، والدكتور محمد موافي أستاذ الأدب الإنجليزي، والمسرحي الكبير زكي طليمات، وصدر العدد الأول من سلسلة «من المسرح العالمي» في أكتوبر عام ١٩٦٩ يحمل عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم» للكاتب الغواتيمالي مانويل غاليتش، وترجمة الدكتور محمود علي مكي، وتوالى صدورها إلى أن بلغت ٣١٣ عددا

حتى عام ١٩٩٨، قبلها وفي سنة ١٩٩٥ تحديداً انتقلت مسؤولية إصدار السلسلة إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وقد تناولت نحو ٤٢٠ مسرحية عالمية مع ملاحظة أن بعض الأعداد قد اشتمل على أكثر من مسرحية ، ولكل مسرحية مترجم ومراجع ودراسة تحليلية فنية ونقدية شملت خصائص النص وكاتبه.

عندما قرر المجلس الوطني في نوفمبر ١٩٩٨ دمج هذه النصوص المسرحية العالمية المترجمة ضمن نصوص لأعمال أدبية أخرى مختلفة بين القصة والرواية وأدب الرحلات والسير الإبداعية، وصدرت تحت عنوان «إبداعات عالمية»، وبعد مضي تسعة أعوام على ذلك، أبدى كثير من المهتمين بشؤون الحركة المسرحية في البلاد وخارجها الشوق إلى إعادة طباعة بعض هذه النصوص المسرحية الإبداعية المختارة.

لقد اعتبرت سلسلة «من المسرح العالمي» أضخم مشروع قومي عربي من منظور الترجمة والتركيز على مجال فني متخصص واحد، وإنه ليسعد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إعادة هذا الكنز المفقود إلى أيدي عشاق المسرح وهواته في الكويت ومختلف أرجاء الوطن العربي، في هذا الإصدار الثاني الذي بدأ بإعادة طبع رائعة شكسبير «العين بالعين».

الأمانة العامة

يمكنكم الاشـتراك والحصول على نسـختكم الورقية من إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب من خلال الدخول إلى موقعنا الإلكتروني:
https://www.nccal.gov.kw/#CouncilPublications

البيان	عالم المعرفة		الثقافة العالمية		عالم الفكر		إبداعات عالمية		جريدة الفنون		المسرح العالمي	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
مؤسسة داخل الكويت	25		12		12		20		18		20	
أفراد داخل الكويت	15		6		6		10		8		10	
مؤسسات دول الخليج العربي	30		16		16		24			36	24	
أفراد دول الخليج العربي	17		8		8		12			24	12	
مؤسسات خارج الوطن العربي		100		50		40		100		48		100
أفراد خارج الوطن العربي		50		25		20		50		36		50
مؤسسات في الوطن العربي		50		30		20		50		36		50
أفراد في الوطن العربي		25		15		10		25		24		25

قسيمة اشتراك في إصدارات
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الإسم:	
العنوان:	
المدينة:	الرمز البريدي:
البلد:	
رقم الهاتف:	
البريد الإلكتروني:	
اسم المطبوعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقدا / شيك رقم:
التوقيع:	التاريخ: / / 20م

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - إدارة النشر والتوزيع - مراقبة التوزيع
ص.ب: 23996 - الصفاة - الرمز البريدي 13100
دولة الكويت

أسماء وأرقام وكلاء التوزيع

أولاً: التوزيع المحلي – دولة الكويت

م	الدولة	وكيل التوزيع	رقم الهاتف	رقم الفاكس	الإيميل
1	الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	00965 24826820 /1/2	00965 /24826823	im_grp50@yahoo.com
		ثانياً: التوزيع الخارجي			
2	السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	00966 /14419933 – 14418972	00966 /12121766 – 1212774	bander.shareef@saudidistribution.com babiker.khalil@saudidistribution.com
3	البحرين	مؤسسة الأيام للنشر	00973 /17617733 – 36616168	00973 /17617744	cir@alayam.com rudainaa.ahmed@alayam.com
4	الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	00971 43916501 /2/3	00971 /43918354 – 43918019	eppdc@emirates.net.ae info@eppdco.com essam.ali@eppdco.com
5	سلطنة عُمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	00968 /24492936 – 24496748 – 24491399	00968 /24493200	alattadist@yahoo.com
6	قطر	شركة دار الثقافة	00974 /44621942 – 44622182	00974 /44621800	thaqafadist@qatar.net.qa
7	مصر	مؤسسة أخبار اليوم	00202 25782700/1/2/3/4/5 00202 25806400	00202 /25782540	ahmed_isaac2008@hotmail.com
8	لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	00961 1666314 /15	00961 /1653259 00961 /1653260	topspeed1@hotmail.com
9	تونس	الشركة التونسية	00216 /71322499	00216 /71323004	sotupress@sotup.com.nt
10	المغرب	الشركة العربية الأفريقية	00212 /522249200	00212 /522249214	s.wardi@sapress.ma
11	الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	00962 /6535885 – 797204095	00962 /65337733	alshafiei.ankousha@aramex.com basem.abuhameds@aramex.com
12	فلسطين	شركة رام الله للتوزيع والنشر	00970 /22980800	00970 /22964133	wael.kassess@rdp.ps
13	اليمن	القائد للنشر والتوزيع	00967 /1240883	00967 /1240883	alkaidpd@yahoo.com
14	السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	002491 /83242702	002491 /83242703	daralryan_cup22@hotmail.com daralryan_12@hotmail.com

اتحاد الموزعين العرب
ARAB DISTRIBUTORS UNION

المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

من المسرح العالمي

من المسرح العالمي

في هذا العدد

ياسمينا رضا

الأعمال الكاملة

الجزء الثاني

يلتقي القارئ العربي في هذا الجزء من أعمال ياسمينا رضا، مع نصين هما بمنزلة الجسر الذي عبرته الكاتبة للوصول إلى العالمية، بفعل النجاح المنقطع النظير الذي لقيه نصّ: «فن» Art تحديدا، سواء في أوروبا، أمريكا أو حتى آسيا.

ففي «عبور الشتاء»، تقدّم الكاتبة قصّة ستّ شخصيات لا تتعارف من قبل، تقضي عطلتها في نزْل جبليّ. ولأنّ هذا يكاد يخلو إلا من هؤلاء، فإنّ الحياة التي تعيشها تلك الشخصيات، وهي تحتك وتتقاطع يوميا مع غيرها، تقودنا شيئا فشيئا إلى رسم معالم كلّ شخصية، والتعرّف على قصّتها، ومدى النجاح أو الإخفاق الذي راكمته، إلى جانب مواطن القوة أو الضّعف المتحكّمة في تفاعلها، وهي تعيش عزلتها أو مع الغير. وهكذا نتعرّف على الدّواعي التي جعلت كورت بلينسك يبدو شخصية مزعجة وشبه منبوذة؛ وعلى أفنير وحكاية ماضيه وتهرّبه من الشّابة أريان التي أحبّته. مثلما نتعرّف على بالينت الجامعي، وإيما التي ظلّت بلا زوج ولا أولاد، وسوزان وقصة طلاقها وزواجها.

أما في «فنّ»، فتقدّم الكاتبة أنجح نصوصها على الإطلاق، وفيه تتناول حكاية أصدقاء ثلاثة، تتعقّد علاقتهم فجأة بسبب اقتناء أحدهم لوحة فنّية باهظة الثمن، تنتمي إلى تقليعة الفنّ المعاصر. وهكذا يختلف هؤلاء حول طبيعة تلك اللوحة الفنّية، فيمتدّ الخلاف بينهم إلى الفنّ عامة، والحياة بشكلها الأعم. وعلى خلفية هذه الخلافات جميعها، تتأزّم العلاقة بين الجميع، ويكاد الخلاف يعصف بتاريخ صداقة متينة ضاربة في القدم.

إصدارات المجلس متوافرة إلكترونيا على موقعنا:
WWW.nccal.gov.Kw/publications

ISBN - 978-99906-0-649-2